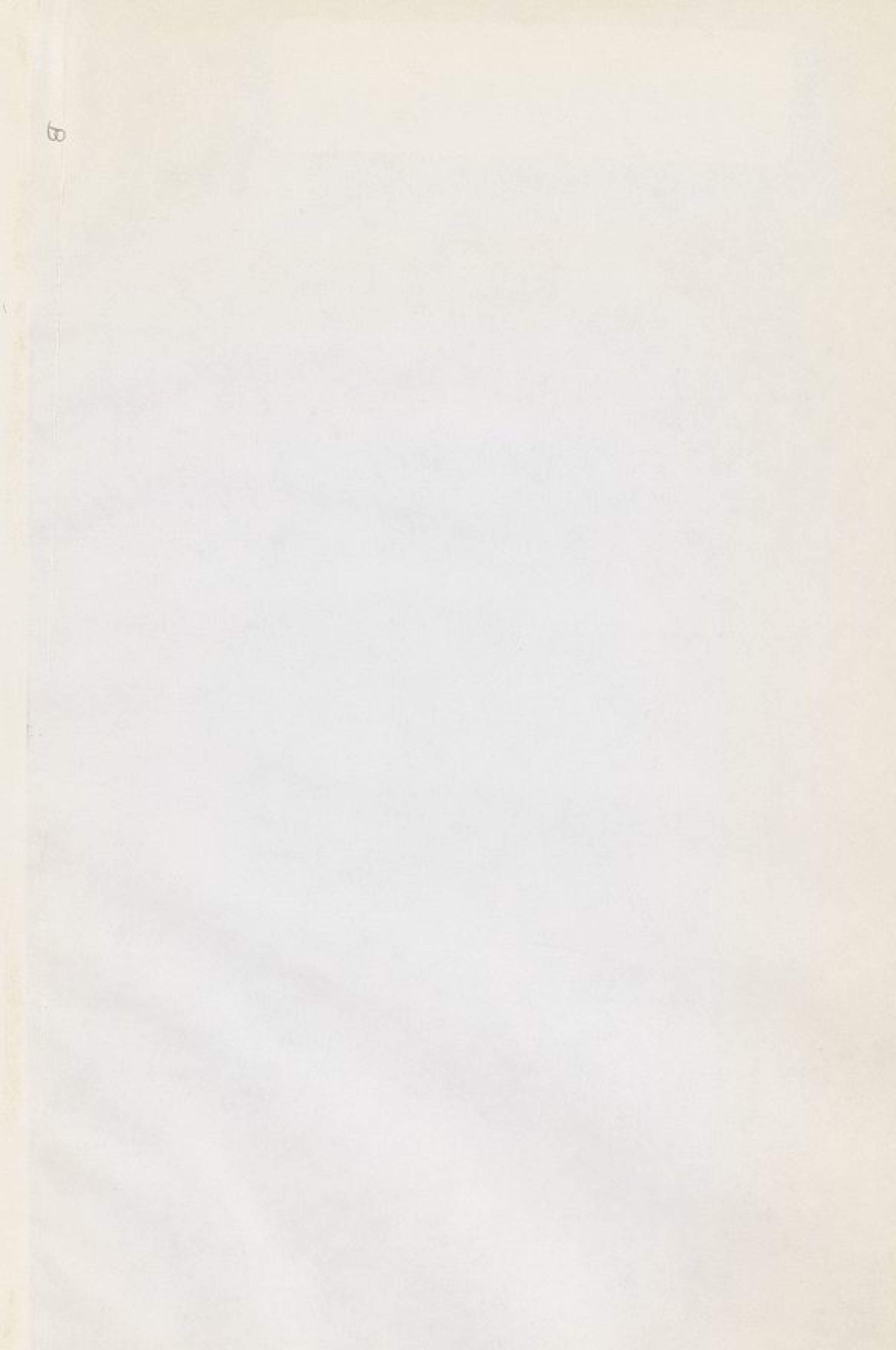
URALIKIRAY

KARITHAT
AL-QIRIM

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
XXXXX	XXXXXX		
RETURNED JUN 15 1984	JUN 11 1984		


a32101 001422045b



كارثة القرم الاسلامية

فى الاتحاد السوفييتي

اغسطس ١٩٥٠

يوسف ولى شاه اورالكبراى

ممثل

اللجنة العليا للدفاع عن مسلمى القرم



كارثة القرم الاسلامية

فى الاتحاد السوفييتى

اغسطس ١٩٥٠

يوسف ولى شاه اورالكيراى

من علماء الازهر ومدرس

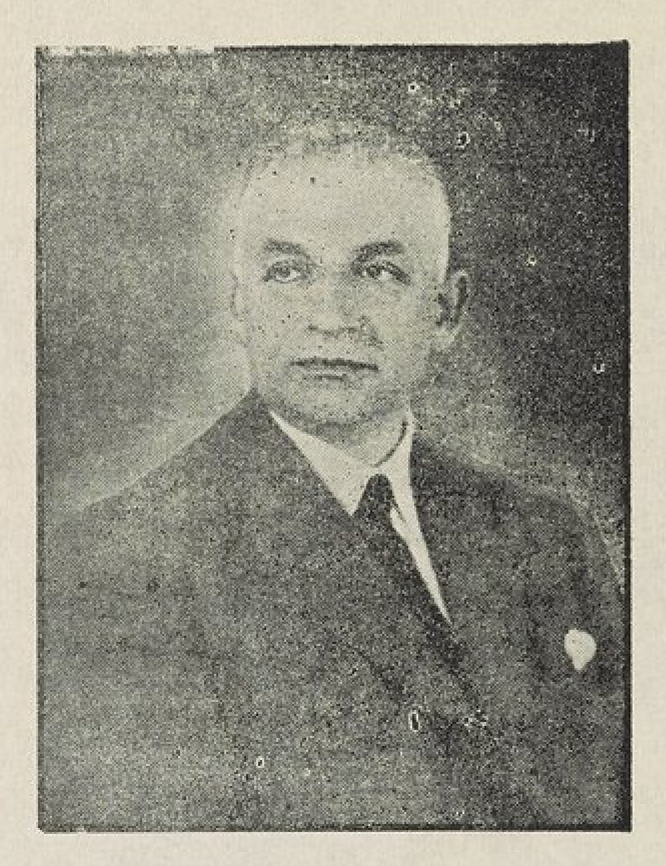
بكلية البنات الفرنسية بالقاهرة

فهرست

الأهداء

تعظيما لشخصك العبقرى الماضى فى إرشاد مدرستك السياسية ، وإجلالا لجنودك الأبطال الذين دافعوا عن كرامة الوطن ، وإتحافا لجهادك المتواصل فى سبيل تحرير القرم والأوطان المستعبدة فى الاتحاد السوفييتى أهديك تاليفى هذا بهتاف من أعماق قلبي يا سعادة الزعيم .

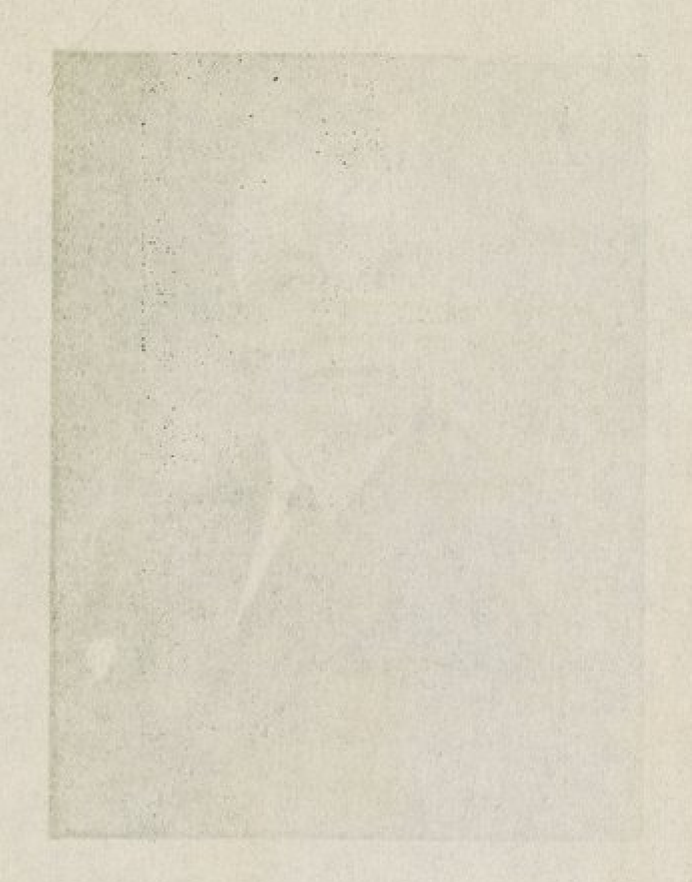
المؤلف

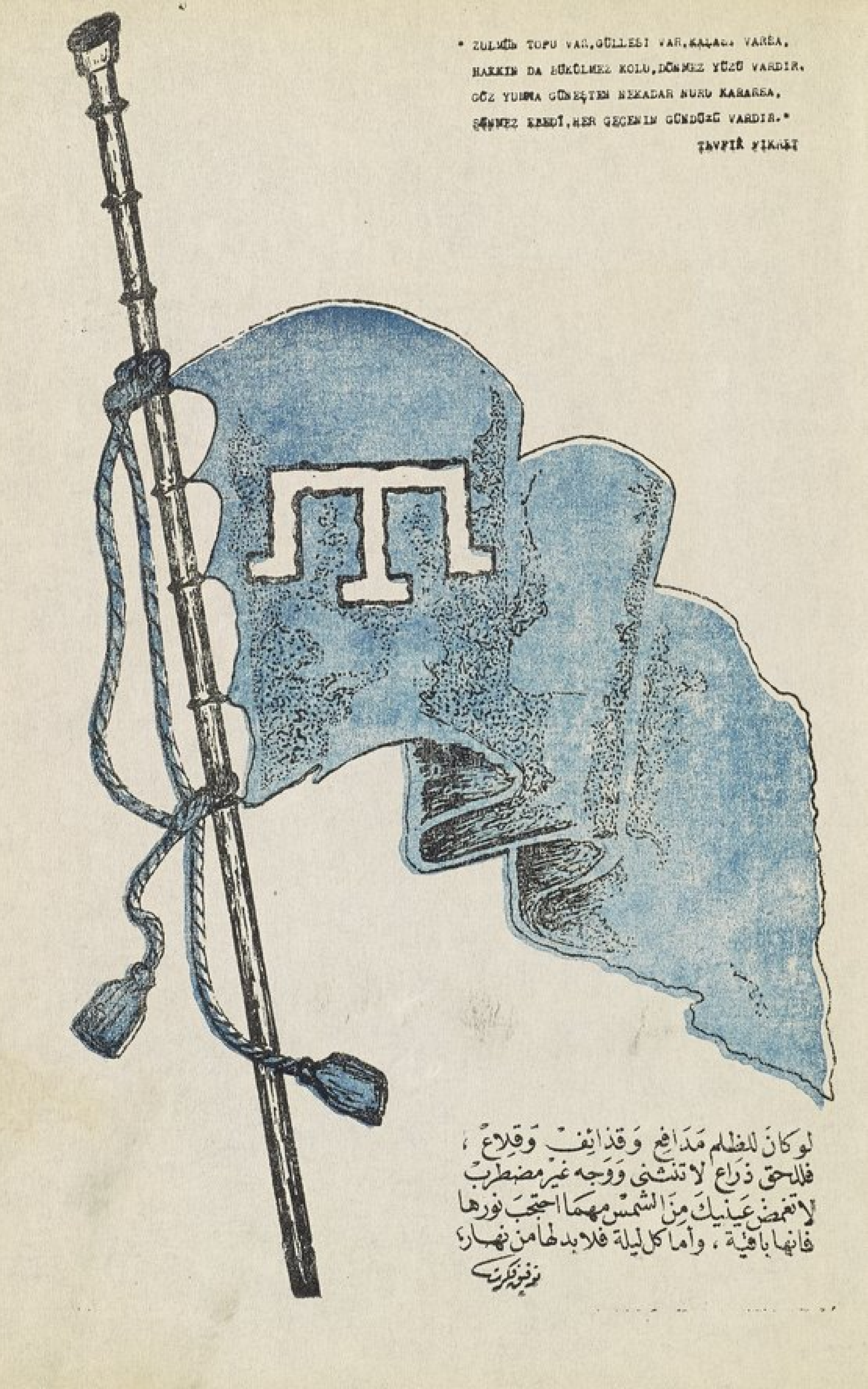


حضرة صاحب السعادة جعفر بك سيد أحمد

قريمر مؤسس جمهورية القرم وزعيم القرميين

ونصير الشعوب المستعبدة فى الاتحاد السوفيتى

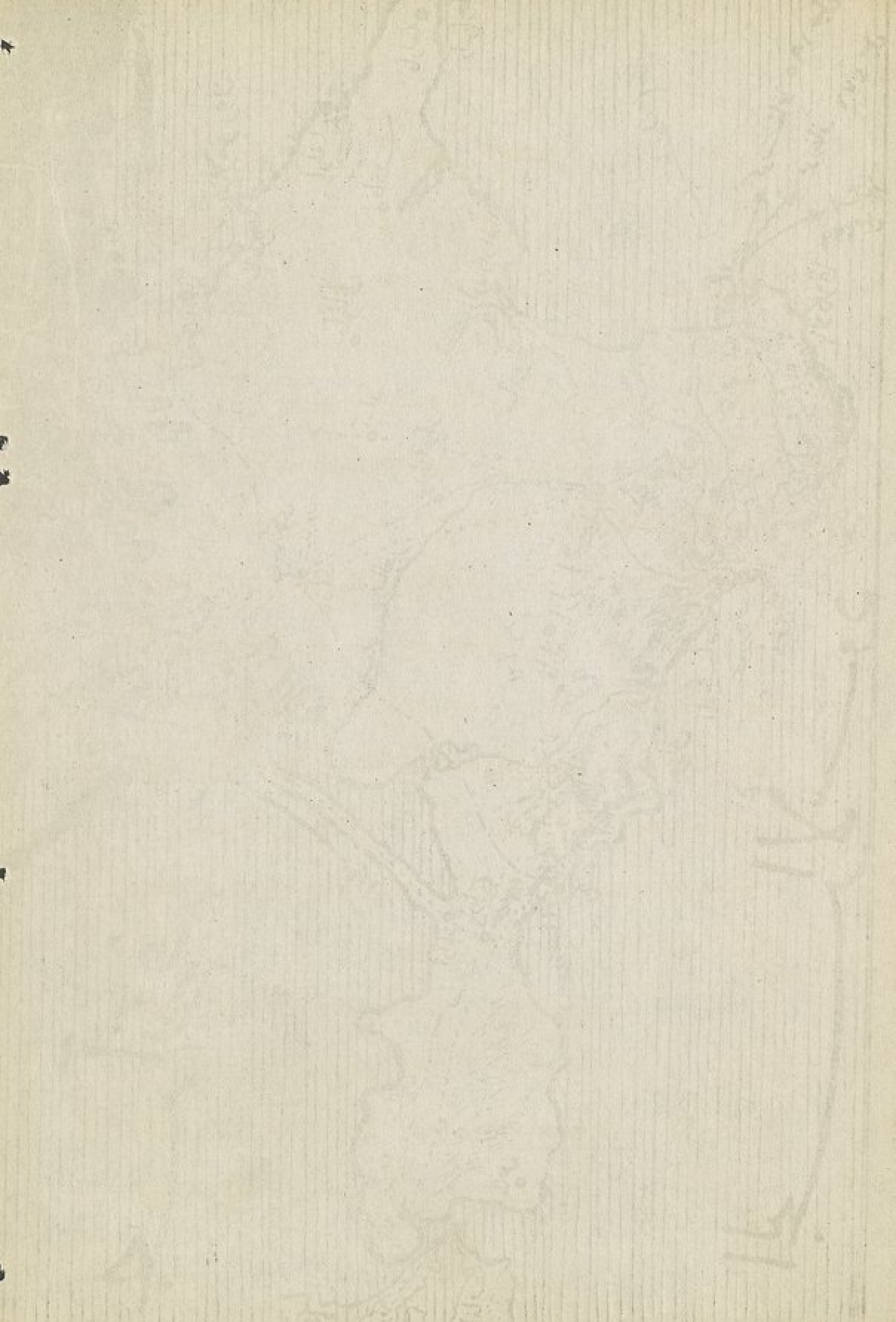



"ZULMÜN TOPU VAR, GÜLLESİ VAR, KALASI VARSA,
HAKKIN DA BÜKÜLMEZ KOLU, DÖNMEZ YÜZÜ VARDIR.
GÖZ YUMMA GÜNEŞTEN NEKADAR NURU KARARSA,
SÖNMEZ KENDİ, HER GECENİN GÜNDÜZÜ VARDIR."
TEVFİK FİKRET
لو كانَ للظلم مَدافِع وقذائِف وقِلاع ،
فللحق ذِراع لا تنثني ووجه غير مضطرب
لا تغمض عينيكَ مِنَ الشمس مهما احتجب نورها
فانها باقية ، وأما كل ليلة فلا بد لها من نهار ؛
توفيق فكرت





بحر آزوف
البحر الأسود
جانكوى
طوغانلى
قاراجه
آيبار
قاراصوبازار
سوداق
آلوشتا
آرابات



المقدمة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

كاتب الشرق العظيم وعضو مجلس الشيوخ المصرى

نشأ كارل ماركس إمام الشيوعية من سلالة يهودية ، وكان أجداده لأبيه وأمه كهاناً متعصبين لعقيدتهم ، غالين فى رعاية شعائرهم ، ولكن أباه ارتد عن دينه إلى المسيحية على غير اعتقاد أو رغبة صادقة فى الايمان بدينه الجديد ، ولكن الاحتيال للكسب والتطلع إلى الوظائف العامة ، ولا شىء غير « الانتهاز » والاتجار بالضمير .

ويتبين من تاريخ الشيوعية كلها أنها تعتبر هذا الاتجار بالضمائر وسيلة من وسائلها المشروعة لخدمة المطامع الشخصية أو لخدمة السياسة العامة فى الدولة ، فهى تنادى « بالمادية » وتنكر كل شىء فى الوجود غير المادة وتسمى الأديان « أفيون الشعوب » لأنها تبشر بعالم الروح وتخدر شعور الفقراء كما يزعم الشيوعيون ، فيتعللون بالنعيم الأبدى ولا يثورون طلباً للنعيم فى حياتهم الأرضية !

ولا يهمنا هنا أن نعرض لسخافة الدعوى التى تفسر كل شىء بالمادة وهى — أى المادة — سر غير معروف ولم يره أحد بعينيه كما تقرر فى العلم الحديث .

ولا يهمنا كذلك أن نعرض لسخافة القول باختراع الأديان لتخدير الفقراء مع أن الايمان بالدين بين الأغنياء وأصحاب السلطان لا يقل عن الايمان به بين الفقراء والمسخرين .

ولكن الذى يهمنا هو اتجار القوم بالضمير فى مسألة الدين واتخاذه ذريعة مكشوفة للاحتيال على المصالح السياسية فان الزعماء الشيوعيين الذين هدموا البيع والمساجد واعتقلوا القساوسة والرهبان بجزيرة « سلفيتسكى » الجهنمية وجعلوا الصلاة شبهة تثبت على صاحبها الخيانة والتآمر على الدولة ، عادوا فى إبان الحرب العالمية فاحتاجوا إلى إثارة النخوة فى جنودهم ووجدوا أن المبادى الشيوعية هى التى خدرتهم وأماتت فيهم الهمة والشجاعة ، وأن « أفيون الشعوب » هو الذى يثير النخوة ويبتعث الهمة ، فتملقوا رجال الدين وأذاع ستالين فى الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣ بلاغاً يقول فيه : « إن الحزب الشيوعى لا يسعه بعد ما بدا من وطنية رجال الدين فى صفوف القتال أن يحرم الروسيين بعد الآن من حرية الضمير أو حرية الاعتقاد . . . »

هذه اللعبة السياسية المكشوفة لم ينخدع بها أحد من الروسيين ولا غير الروسيين ، ولا سيما الشعوب الاسلامية التى انصب عليها القسط الأوفر من الاضطهاد بجميع أنواعه وألوانه ، لأن الاضطهاد الذى يصبه عليهم من يتعصب للمادية الشيوعية ومن يتعصب للعقيدة الدينية ومن

يتعصب للقومية الروسية ويعتبر التكلم بلغة غير اللغة الروسية ثورة على الاستعمار وثورة على نظام الحكم القائم فى أيدى الشيوعيين .

وسيطلع القارىء العربى فى هذه الصفحات على طرف موجز من تلك الفظائع الوحشية التى حلت بأولئك المساكين لغير ذنب إلا أنهم يدينون بشريعتهم ولا يدينون بالشريعة الماركسية ، ويتكلمون بلغتهم ولا يتكلمون باللغة الروسية ، ويعرفون لهم حقوقاً من حرية الضمير يعترف بها حكامهم قولا ويعاقبونهم عليها فعلا أشد العقاب .

وإذا كانت الحرب قد ألجأت أولئك الحكام إلى مجاملة الرعايا المسيحيين فهى على عكس ذلك قد وضعت المسلمين الخاضعين للكرملين موضع التهمة والاشتباه ، خوفا من ثورتهم وانتقاضهم لما أصابهم من ضروب المظالم التى تقشعر لهولها الأبدان .

لقد استباحوا المساجد واتخذوا منها مسارح للهو أو اصطبلات للخيل أو حظائر للأغنام ، وجمعوا نسخ القرآن والأحاديث النبوية وأحرقوها فى الميادين العامة ، وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة ونكلوا بالشبان الأقوياء ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين فأقفرت الديار وأجدبت المزارع وعمت المجاعة واشتدت قسوة الجوع على الناس حتى أكلت الأم ولدها وهى تبكى عليه ، ثم نظروا شزراً إلى المحسنين الذين خفوا لانقاذ المنكوبين فاتهموهم بالادخار والوقوف من السلطة موقف

« المتحدى » الذى يأخذ بأيدى ضحاياها ، فقتلوهم لأنهم يطعمون الجياع ويعطفون على الآدمية أن يمسخها الجوع مسخ الضوارى والسباع !

ولو كانت المادية الماركسية تبقى فى الآدمى مسحة من الانسانية لرثى المسيطرون لأولئك المنكوبين رثاء الانسان للانسان . ولكن الانسانية كلمة لا معنى لها فى شريعة الماركسية ، لأن الشريعة عندهم هى شريعة « الطبقة » المزعومة فكل من عارضها فهو خارج من زمرة البشر مستباح الدم والذمار كما يستباح الوحش أو يستباح البهيم .

وليس قداسة « البابا » حبر الكنيسة الكاثوليكية مسلما تجمعه بالقرميين جامعة الدين ، ولكن إنسان يحفظ للانسانية حقها من الرحمة كائناً ما كان الدين الذى تنتمى إليه ، ولهذا عطف قداسته على ضحايا القرم المسلمين فأرسل إليهم المعونة من الطعام والدواء ، وإن لم تمكنه أحوال الدول من بذل المعونة السياسية لتلك الشعوب المظلومة ، فاستحق الشكر الجزيل من أبناء القرم جميعاً وسجلوا له شكرهم فى هذه الصفحات .

وماذا يردع الطغاة المسلطين على ضحاياهم تلك أن ينكلوا بها غاية ما فى وسعهم من نكال القوى بالضعيف ؟ هل تردعهم عن ذلك عقيدتهم الشيوعية ؟ هل تردعهم عنه أواصر القومية والوطنية ؟ هل تردعهم عنه طبائع الهمجية التى ركبت فيهم من قديم الزمن ؟ هل تردعهم عنه شناعة السمعة فى بلاد العالم وقد عزلوا ضحاياهم عن العالم كله من جميع منافذه

ونواحيه ؟ لا شيء من هذا يردعهم عن الفرائس العزلاء الملقاة بين أيديهم والموكولة إلى رحمتهم ولا رحمة عندهم فى طباع الهمجية ولا فى تعاليم الماركسية ، فما أشق المساكين الذين حاق بهم ذلك العذاب ولا منقذ ولا حامى ولا معين .

إنه عذاب لا حد له ولا غاية ، فان كانت مصيبتهم العظمى مصيبة الفداء الذى يفتح أعين الغافلين إلى مصير البشر على أيدى هؤلاء الزعانف الذين حسبوا أن كلمة « الشيوعية » تشفع للآدمى فى نكسته إلى الوحشية فقد حملوا وحدهم ضريبة الفداء لانقاذ البشرية من ذلك البلاء ، ولعله إنقاذ قبل فوات الأوان .

فمن قرأ هذه الصفحات فليقرأها بعين الانسان فانها لنذير مبين لكل آدمى من أمم الأرض على اختلاف الأديان والأوطان .

والذين آمنوا وهاجروا و جاهدوا في
سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم
المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم .
٧٤ سورة الانفال

كارثة القرم الكبرى فى عهد الشيوعيين

جزيرة القرم

جزيرةٌ خُلقتْ ساحرة فانبعثت ، و روضة فيَّاضة تَكوَّنت فنضجت ، خطفتها يد آدم من فردوس ربه فى طريقه إلى هذا الفلك الدانى فضاعت عنه واستقرت حيث هى الآن ، ثم ظلت تُمنى نفسها العودةَ و الرجعةَ من حيث أتت ، تحز فى نفسها الحسرة و اللوعة اللتان سجلهما الأزل فى اللوح المحفوظ . و قد شاء القدر أن ينعم بها أبناء آدم ، و يسكن فيها أحفاد حواء من صلب إبنهما يافث إلى أن حلت بها كارثة شاب لهولها الولدان بحيث لا أجد فى القاموس كلمة تعبر عنها تعبيراً يؤدى معناها و يصورها على حقيقتها سوى أن أصفها فى عبارة قاصرة موجزة :

ظُلمت القرم الاسلامية فقامت ، وثارت لشرفها فهاجت ، ثم ضحت بأولادها فيئست ، وسقطت فى الميدان صريعة لتلف معها أفلاذ كبدها فى سكون أرضها الأبدى التى يغطي كل شبر منها أشباح الشهداء ! .

نجحت موسكو ، بعد محاولات تأرجحت بين اليأس والأمل ودامت مائة وواحداً وستين عاماً (١٧٨٣ - ١٩٤٤) ، في القضاء على القرم الاسلامية وفقاً للبرنامج الذي خطه ضدها قادة الروس من بطرس الأكبر وكاترين وغيرهما وبعد آخر مجزرة أعقبت انهيار جبهة القرم في سنة ١٩٤٤ أصدر الكرملين أمره بتجريد البلاد من صبغتها الأصلية وصفتها الاسلامية بنفي البقية الباقية وهي ما يقرب من نصف مليون مسلم مشتتين وبإبعادهم إلي مجاهل سيبريا إلى تلك البقعة المحرمة المنحوسة المشئومة التي طالما قضى تحت ثلوجها القرميون وغيرهم نحبهم بطرق تذوب لها القلوب المتحجرة .

وكذلك تم لموسكو الجائرة ما تربصت له من عصور وأجيال ، فأسكنت البلاد اليهود والروسيين والأوكرانيين وغيرهم من الشعوب السلافية لتحويلها إلى قاعدة روسية لحماً ودماً ولتشرف منها على مراقبة البلاد التي تحيط بالبحر الأسود .

قاومت القرم هذا الظلم الفادح مقاومة اليائس ، إستصرخت واستنجدت بصوتها الخافت ولكن . . . حدث فيها ما حدث ، طغت القوة وظُلم الحق ، أستشهد الكثيرون ونفي الباقون جائعين مهددين بائسين بما تبقى على أجسادهم من أسمال بالية ممزقة ، فتم إجلاؤهم عنها عام ١٩٤٦ دون أن يلقوا نجدة ما من هذا العالم المتمدن ودون علمه ، وذلك على الرغم

من صرخات اللجنة العليا للدفاع عن مسلمي القرم ونداءاتها المتكررة في الشرق والغرب ! .

صورة صادقة عن القرم
وقضيتها التركية الاسلامية ضد الروس

طبيعة البلاد :

تقع هذه الجزيرة الخضراء في البحر الأسود شمال تركيا على بعد ٣٠٠ ميل على وجه التقريب من الشاطيء التركي الشمالي ، ويحيطها غرباً وجنوباً البحر الأسود وشرقاً مضيق كرتش وبحر آزاق الذي يفصل بينها وبين القوقاز ، وتتصل شمالا بالقارة الأوكرانية عن برزخ أورقابي (بريكوب) الذي يتسع عرضه من خمسة إلى ستة كيلومترات ، وأما مساحتها فتبلغ سبعة وعشرين ألف كيلومتر مربع أي ما يزيد على ثلثي مساحة سويسرا ، وتنقسم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : سهل منبسط في الشمال يزينه العشب من سندس أخضر تعبر خلاله طرق منظمة ومعبدة بالأسفلت ، وطرق حديدية ، وقنوات ، ونهيرات صغيرة يوحي للمرء بمجموع هندستها الطبيعية ، والوضعية ، ومعالمها التاريخية ، وحيواناتها الأليفة والوحشية ، وغناء طيورها المطرب في جوها اللطيف ونسيمها العليل ، يوحي أفكاراً خالدة ترجع

به إلى فلسفة جمال الطبيعة وخالقه . وتراب هذا السهل صلصالي ينبت فيه جميع أنواع الخضر والحبوب ولذلك وصف هيرودوت القرم فى كتابه بأنها مخزن العالم فيما تنبته .

وأما القسم الثانى : فمنطقة تلال ووديان يمتاز بأن يجمع بين جمال القسم الأول والثالث الآتى .

وأما القسم الثالث : فمنطقة الجبال والشواطىء حيث توجد الخضرة وينابيع المياه والغابات التى ترقص على أنغام رياحها الطيور وتتسابق الغزلان التى تأخذ مداعبتها لبعضها بالألباب . وتكسو هذه الطبيعة الالهية الموهوبة زخارف من أشجار اللوز ، و البندق ، و السرو ، و الشوح ، و البلوط ، و الصنوبر ، و الزان ، و التين ، و الكروم ، و الورود ، و الجوز ، و التفاح ، و الكمثرى ، و الفراوله ، و الخوخ ، و البرقوق ، و السفرجل ، و الكريز ، و الرمان ، و أجناس أخرى لا حصر لها من نباتات الجبال التى تستخرج منها العطور و مواد أخري كيمائية .

فى جبال القرم مئات الأنواع من نبات تنتفع منه الصحة فى تركيب الأدوية . وقد وصلت أنواع الكمثرى فيها إلى ٢٥٠ نوعا ، والخوخ الي ٢١٠ ، والتفاح إلى ٣٣٠ ، والعنب إلى ٤٥٠ ، وهكذا غيرها من الأثمار [١]

ولقد أنشئت فى القرم عام ١٨١١ حديقة نموذجية بالقرب من

---

(١) « قريم رهبرى » ، ص ٢٦١ - ٤٨٧ - ٤٩٢ المطبوع فى القرم .

الشاطىء إسمها نيكيتا والتي تبلغ مساحتها ٩٦٫٣ هكتار[1] نبتت فيها العجائب و الغرائب من النباتات والأشجار .

جبال القرم التي تكتسى بما لا يحصى من أنواع الأشجار والنباتات فهي ، على كونها موردا ماديا عظيما ، مصيف نال لقب « ريفييرا » أوربا الشرقية لكونها منبعاً للمياه المعدنية ومستوصفا لشفاء الامراض المستعصية .

القرم بلد فريد فى احتواء جبالها على ٣٦ نوعا من الصبغة التى يستعملها العالم . و غابات القرم مع شواطئها تؤلف منطقة ممتازة يتردد عليها الآلاف المؤلفة من المصطافين و المصابين بأمراض السل و الأعصاب .

أما من حيث طبيعة الثروة المعدنية الموجودة فى باطنها فهى غنية تقوم كثيراً بنصيبها فى زيادة الرخاء ، ففيها وفرة كبيرة من المعادن مثل الحديد والنحاس والتوتيا والرصاص والنيكل .

الحديد :

توجد فى جزيرة القرم كمية كبيرة جدا من الحديد المعدنى الذى عليه تقوم الصناعات الثقيلة ، فهي فى الدرجة الأولى فى روسيا والثالثة فى العالم . و قد اكتشفه العلماء قبل مائتى سنة في منطقة كرتش ، ويقدر هذا المعدن فى القرم من مليار طن إلى أربعة مليارات من الأطنان ، وذلك

---

(١) الهكتار عشرة آلاف متر مربع .

مع تضارب الاقوال فى تقدير كميته [١] .

ويقول المؤلف إن فى كرتش حديداً يقدر بمليار وأربعة وثمانين مليون طن مع إبداء رأيه بأن هذا تقدير أولى ، ولم تكمل البحوث بعد فى شأن معرفة ما تحتويه المناجم تماماً .

وقد جاء فى دائرة المعارف السوفيتية المطبوعة عام ١٩٣٧ أن الكمية المقدرة مليار ان وسبعة ملايين طن وعلى ذلك تأتى :

فى الدرجة الأولى : مناجم اللورين الفرنسى التى تحتوي على أربعة مليار وثمانية ملايين طن .

وفى الدرجة الثانية : مناجم نيوفاندلاند الأمريكى التى تحتوى على ثلاثة مليار وستة وثلاثين مليون طن .

وفى الدرجة الثالثة : مناجم كرتش فى القرم التي تحتوى على مليارين وسبعة ملايين طن .

وفى الدرجة الرابعة : مناجم ليك سوبريور التي تحتوى على مليار واثنين وتسعين مليون طن .

الكبريت :

يوجد هذا المعدن بجوار جبل « اوبوك » فى شبه جزيرة كرتش أيضاً وتقدر كميته باثنين وستين ألف طن .

---

(١) « بوتون قريم » المطبوع فى القرم عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، نقلا عن تأليف « القرم » ـ تحت الطبع ـ لسعادة الزعيم جعفر سيد أحمد قريمر

زيت البترول :

توجد فى القرم كمية عظيمة من زيت البترول الذى ثبت وجوده فى أيام سالفة لما قبل سنة ١٧٩٢ وأخبر بذلك بالاس ، ذلك العالم الفرنسى الشهير الذى زار القرم وبحث منطقة كرتش لأول مرة بحثاً جيولوجياً . وفى سنة ١٨٨١ أنشىء فى المنطقة المذكورة مصنع لتكرير البترول، وعلى الرغم من إنتاجه العظيم الذي كان يتراوح فى بادىء الأمر بين ١٦ و ٢٥٠ طناً يومياً أقفل المصنع أبوابه لأسباب خاصة بعد عشر سنوات . وأما الانتاج الصحيح فقد بدأ بعد سنتى ١٩٢٥ — ١٩٣٠ إذ حفرت حكومة القرم عام ١٩٣٥ بئراً فى كرتش إسمه « تشونكه لك » بلغ عمقها ٨٣٤ مترا ، وبينما استخرج منها فى أوائل أيامها سدس طن يومياً حدث أن إنفجرت عروق البئر فى نفس السنة فى شهر أكتوبر ، وفارت ثم طافت ، فارتفع سطح الزيت إلى عمق أربعين متراً واستخرج ثلاثون طنا من البترول فى مدى عشرين دقيقة (١) .

وقد اكتشف أخيراً وجود الزيت فى خمس وعشرين نقطة بمنطقة كرتش ، وتهتم موسكو كثيراً بهذه المادة فى القرم لعدة عوامل منها العاملان السياسى والعسكرى .

---

(١) جريدة « قيزيل قريم » السوفيتية ، نسخة رقم ٢٣٠ ، عام ١٩٣٦

الفحم الحجرى :

يوجد الفحم الحجرى فى القرم بوفرة كبيرة لا سيما فى ضواحى آقمسجد « سمفروبول » عاصمة القرم ، وأهم مناجمها فى مكان إسمه « بش أو »[١] .

الكلس :

توجد هذه المادة التي من نوع سايسيلات المغنزيوم بكثرة بجوار آقيار « سباسطوبول » ، وتستعملها نساء القرم بدل الصابون فى تلطيف شعورهن وتلميعها بها ، وهذا النوع من الصابون مشهور فى روسيا ويطلق عليه إسم « كيلى صابونى » والاقبال عليه عظيم جداً لاحتوائه على عناصر مختلفة منها راديو أكتيفيت .

الاحجار والرخام :

للقرم طبيعة خلابة تمتاز بأن تكون أسطح جبالها مكسوة طول العام بالخضرة والأشجار التى لاحصر لأجناسها وأنواعها ، بينما باطنها يحتوى على كنوز تختلف باختلاف الجبال وهبات طبيعتها ، منها أحجار المنشآت والمرمر بألوانه وأشكاله ، مثلا الأحمر القانى أو الفاتح أو العقيقى ، أو الأزرق القاتم ، ومنها أحجار تستعمل فى تشييد العمارات ،

---

(١) « قريم رهبرى » ، ص ٢٤٨ المطبوع فى القرم السوفيتية

وتعبيد الطرق ، وتنظيم الأرصفة ، وعمليات التبليط ، ونحت التماثيل والزخارف ، ومنها ما يستخرج منه الاسمنت ويصنع منه الطوب الاحمر الممتاز والقرميد والصوان وغير ذلك [١] .

وهذه الأحجار مختلفة الألوان ، فمنها أصفر ، وأبيض ، وأحمر ، ومنها الصلب الذي لامسام له ، ومنها الهش اللين السريع التفتت . ومحاجر منطقة آقمسجد وكوزلوه وكرتش مشهورة بتصدير أحجارها إلى خارج البلاد ، وقُدِّر ما يستخرج من الأحجار الجيدة النوع فى القرم عام ١٩١٤ بثلاثة وثمانين مليون متر مكعب [٢] .

البحرات والملح :

إن البحيرات المالحة التى يربو عددها على المائة لهى منجم قيم من مناجم المعادن القرمية [٣] . ومجموع مساحتها فى البلاد نحو ١٩ ألف هكتار ، وأهمها فى منطقة كوزلوه ، وأورقابى ، وكرتش ، وصيواش . فالقرم مشهورة بملحها حتى فى أقدم العصور ، وأهم العوامل التى أثرت في وجوده هو طقس البلاد وطبيعتها . حتى أن ما استخرج من هذه المادة فى منطقة أورقابى وحدها وصل عام ١٨٥٤ إلي ٥٥٤ ألف طن بشهادة الوثائق

---

(١) « بوتون قريم » ، ص ٣١ - ٣٣

(٢) جريدة « يكى دنيا » ، نسخة رقم ٤١١٥ ، سنة ١٩٣٥

(٣) « بوتون قريم » ، ص ٢٣٣

الروسية نفسها[1].

ولوجود بعض المواد الغريبة، بنسبة معينة فى عناصر هذه المادة الرائجة فى الأسواق رواجا هائلا، تستخرج من هذه البحيرات عدا الملح مواد أخرى تساعد فى تركيب الأدوية الطبية وذلك مثل بروم، والملح الأنجليزى، وملح غلاوبر، وكلورمغنزيوم، وبوراقس، والمواد الطبية الكثيرة الأخرى.

المصحات:

مصحات القرم هى منابع الشفاء ودواء لكل داء يصاب به الانسان، والموجودة منها في مناطق كوزلوه وسواحل القرم الجنوبية مع حمامات الطمى فى الشمال، والمياه المعدنية الباردة، والحمامات المقامة على ينابيعها الساخنة كل ذلك علاج فريد تمتاز به القرم دون غيرها من البلاد.

السمك وصيره:

إن القرم، لكونها بلاداً عزيزة فى مناخها الذى فطرها الله عليه، فسواحلها الجنوبية لما يسمح للسمك أن يضع بطارخه بسهولة فى أمكنة مناسبة بحيث هى تساعد على كثرته بشكل غريب. لذلك يجدها

---

(١) «روسيا»، مجلد ١٤، ص ٣٨، و «بوتون قريم»، ص ٤٩ و ٢٣٣

الانسان حوضاً واسعاً لأنواع أسماك يصطادها الصيادون القرميون بالكثرة ويصطادون خاصة أسماك كفال، وتيرس، وباربونيا، ويورك، وكالكان، وغيرها. وتوجد فى القرم ستة مصانع خاصة لتحضير الاسماك فى العلب وحفظها بها بطرق فنية حديثة بحيث إنها تحفظ إما كما هى عليها أو مملحة أو مجففة، وفيها أجود أنواع البطارخ التى وصل إنتاجها السنوى فى هذه المصانع الستة المذكورة إلى ثمانية ملايين علبة وصرف سنويا أربعة آلاف طن من الملح في هذا السبيل [1].

---

(١) جريدة «يكى دنيا»، نسخة رقم ١٤٩، عام ١٩٣٥.

سكان القرم

طاوريون :

فى عهد ليس هو أقل من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، كما ضبطه التاريخ ، عاش فى القرم المسماة فى ذلك العهد « طاوريكا » شعب طاور الذى سكنها ، وكانت الميزة فى هذا القوم إختيار المناطق الجبلية لسكناهم من جنوب القرم . ولم توجد فى البلاد القرمية آثار يرجع تاريخها إلى العهد الحجرى القديم ، إنما عثر العلماء على آثار يرجع تاريخها إلى العهد الحجرى الجديد ، مثل الآلات والأدوات التى صنعتها يد الانسان ، وأشياء أخرى كثيرة بقيت من العهد النيوليثى ، أى تقريبا ٢٠٠٠ سنة ق . م ، مثل جماجم بنى آدم التي تدل ، من حيث علم الأنتروبولوجى ، على مقدرة القوة العقلية لأصحابها القدماء . وللأسف لم يثبت بالحق علميا إلى الآن الجنسية التى ينتمي إليها هذا الشعب ، ولكن الألفاظ التى بقيت منهم فى القرم وأهمها كلمة « طاور » مشتقة من لفظ « طاو » و ترجمتها جبل أشتق من صميم اللغة التركية المستعملة فيها إلى يومنا هذا . وتؤيد هذه النظرية دائرة المعارف الانجليزية حيث قالت : « إن هذا الشعب الجبلى القديم سكن القرم ، ولا يعرف عن أصوله شيء ، وغاية ماهنالك من الجائز جدا قدومهم إليها من تجاه القوقاز »[1] .

---

(١) « دائرة المعارف الانجليزية » ، الجزء ٢١ ، ص ٨٣٦

يونانيون و سيت :

وصل طاوريكا حوالى ألف سنة ق . م . يونانيو ميليت من جنوب آسيا الصغرى وعمروها بمدنيتهم ، ثم التحق بهم قوم سيت أو « سكولوت » كما كانوا يتسمون نازحين إليها من الشمال . وكانوا فرسانا أقوياء محاربون على الخيول بنبال لها شبه عظيم بنبال المغول فى الشرق [1] . وقد ضاع سكان القرم الأولون قسماً فى مقاومتهم للغزو اليونانى و فى محاربة الجنود اليونانيين الذين حلوا محلهم وانسحب من بقى منهم إلى الشمال حيث ضاعوا بعد فترة أثناء مقاومة قوم سيت ، ونشأ بذلك شعب خليط من طاور وسيت الذين كان بينهم الأتراك كما أثبتت ذلك الحفريات التى قام بها علماء الروس فى القرم . وقد اتخذ اليونانيون كفه مركزاً لهم واتخذ سيت آقمسجد وبذلك استمروا فى انعاش حياتهم فيها .

القوط :

جاء إلى القرم بعد اليونانيين وسيت قومُ القوط فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى ، وانتصروا على قوم سيت فسكنوا سهول البلاد وعاشوا فيها ردحا من الزمن إلى أن فاجأهم قوم الهون الذين ضاع بينهم عنصر القوط بعد أن رفضوا الانسحاب إلى الجبال .

---

(١) « دائرة المعارف الفرنسية » ، الجزء ٧ ، ص ٨٢١

الهون :

وصل القرم فى المنتصف الثانى من القرن الرابع المذكور قومُ الهون ، وهم من أصل الأتراك ، الذين جاؤا إليها من آسيا توسيعاً لأمبراطوريتهم وسكنوها وعاشوا فى منطقتي كفه ويلتا بالكثرة .

الآفاريون :

وقد أعقبهم فى المجىء ، فى القرن الخامس الميلادى ، الآفاريون وهم طائفة من الأتراك واحتلوا القرم وظلوا فيها قائمين إلى أن جاء الدور الثانى من تاريخ البلاد القرمية .

الخزريون :

حل الخزريون الأتراك محل الآفاريين في القرم ، فى العصر السابع الميلادي ، وهم من الشعوب البيض وعاشوا فى سهول خزريا وظهروا على مسرح التاريخ فى العصر الثانى من الميلاد وأخضعوا لنفوذهم من حولهم ولقبوا بأنهم أتراك شرقيون أقوياء وأشداء استولوا على شوطىء بحر آزاق [1] . وبقيتهم فى القرم هم القرائيون الذين يبلغ تعدادهم فيها ثمانية آلاف ويعتنق خمسة آلاف منهم الدين اليهودى .

باتسيناك أو بتشينيك :

خلف الخزريين فى العصر الحادى عشر قومُ باتسيناق وهم شعبة

(١) « دائرة المعارف الانجليزية » ، طبعة ١٩٢٩ ، الجزء ١٣ ، ص ٣٦٢

من القوم التركي العريق فى نسبه [1] .

القومانيون :

جاء القرم فى نفس العصر القومانيون وانضموا إلى إخوانهم باتسيناق وكانوا شعبة منهم يتحدثون بنفس اللغة التى كان باتسيناق يتخاطبون بها [2]، وتمذهبوا بالمذهب النصراني بعد أن سكنوا بالكثرة فى مناطق كفه وصوداق ويالتا فى القرم . وحدث أن نفاهم الجنرال الروسى بوتمكين ، عندما أراق دماء القرميين ظلماً وعدواناً وشتت شملهم ، نفاهم إلي جهات ميليطوبول فى أوكرانيا ظناً منه أنهم أروام ، إلا أن القومانيين احتجوا على ظنه وتصرفاته من الاحتجاج فقالوا إنهم أتراك وليسوا أرواما ولن يخيفهم ظلم الجنرال وعدوانه .

القفجاق :

إنتهي أمر القومانيين بالحاق القرم إلى الأمبراطورية القفجاقية فى العصر الحادي عشر، وظلت يحكمها حكام تلك الأمبراطورية الي أن أقام فى العصر الثالث عشر جنكيزخان إمبراطوريته وحلت محلها ثم اقتطع فى حياته قسما كبيرا من أراضى أمبراطوريته وعين إبنه الأكبر، جوجى خان، حاكما عليه ثم عين إبنه الثانى ، باطوخان ، خلفاً لابنه الأول لوفاته قبله ، وبنى

(١) « دائرة المعارف الانجليزية » ، الجزء ١٧ ، ص ٦٤٠

(٢) « دائرة المعارف الانجليزية » ، الجزء ١٧ ، ص ٦٤٠

ابنه الثانى هذا دولة آلتون اوردا بعد موت والده . وانتقل الحكم من بعده الي يد بركه خان الذى هداه الله إلى الاسلام فاعتنقه ديناً له وتبعه فى ذلك أتباعه وأشياعه عام ١٢٦٢ الميلادى وطلب من الخلفاء العباسيين أن يتكرموا بارسال بعثاتهم التبشيرية الاسلامية من بغداد التى كان لرجالها أعظم تأثير فى توطيد العلاقات التركية - العربية الاسلامية .وقد أعلن بركه خان الاسلام ديناً لدولته ، وكانت القرم حينئذ داخلة فى نطاق إمبراطوريته ويحكمها نائبه الأمير أديكه الذى أسس القرم المستقلة وأحرز فى حياته إنتصارات جد عظيمة ضد الألمان والليتوانيين ثم قضي على فتنة موسكو عام ١٤٠٩ واستولي على كييف عام ١٤١٦ .

خانية القرم :

وعلى أثر انشقاق حدث فى صفوف دولة آلتون اوردا قامت عام ١٤٢٨ دولة القرم المستقلة ، ونودى بالخان - أى الملك - الحاج منكلى كيراى الذى يتصل نسبه بجنكيزخان ، ثم توارث أبناؤه العرش القرمي جيلا بعد جيل حتى ارتقي منهم عليه ٦٩ خاناً ،وازدهرت البلاد أثناء حكمهم لها ، ترعرعت وتعمرت بالمدنية الاسلامية الطاهرة بمزيد مما يصلح لها من المدنية الغربية ، وأصبحت تعيش فى كنف الطمأنينة ، والسلام ، والعز الدائم ، تحترم نفسها وحقوق غيرها فى التمتع بها مع مراعاة حسن الجوار وقوانين التجارة .

وقد كانوا أقوياء مثل أجدادهم ، أشداء فى الحق . وكرماء لمن يحترم

دينهم وحقوقهم ، يعرفون كيف يذودون عن كرامتهم ، ويتسامحون مع غيرهم إلى أبعد حدود التسامح ، ولكنهم يعلمون أيضاً تأديب الهاتكين لحرمة وطنهم . ولقد أدب ملوك القرم أمراء اوكرانيا وموسكو حين بدأ هؤلاء الاخيرون يعبثون بالأمن لا سيما على حدود البلاد الأسلامية ، مثل القازان وآستر خان ، التي أقيمت على أراضى إمبراطورية آلتون اوردا الاسلامية . وبعد تكرر هذه الحوادث أكثر من مرة إضطرت القرم إلى إرضاخ موسكو لسيطرتها مع ملاحظة أنها لم تعمد يوما إلي خرق القواعد الأنسانية المفروضة على الطرفين المتحاربين ، فكانت تصافح فى الميدان عدوتها التائبة ، وتغفر لها أخطاءها وفظاعتها ثم لا تلبث أن تعيد إليها حقوقها كاملة غير منقوصة بقلب مشبع بالرحمة الانسانية والتسامح الديني الاسلامى . وقد كانت المبالغة فى مسامحة العدو عاملا خارجياً فى هدم القرم وانتحار مسلمى الشمال (أى روسيا) ، وكان مسلمو القرم على الاخص متسامحين دائما أكثر من غيرهم يحترمون الاديان دون المبالاة بما قد يتستر وراءها من مكر الاعداء الذين كثيرا ما تقنعوا بها فى إعادة الكرة على مقدسات الاراضى الاسلامية المجاورة .

وكان أعداؤهم الروس قوماً نزحوا إلى مناطق موسكو من الشمال ، ويرجع الفضل فى تأسيس دولتهم إلى خطط بارعة نجح فى القيام بها جواسيسهم بالاستفادة من فتن كانت نارها موقدة بين حكام إمبراطورية آلتون اوردا التركية وأيدوا بذلك قيام دولة موسكوفية كانت لها عام ١٤٢٠

مساحة، حول موسكو، يبلغ قطرها ...٤٠٠ كيلو متر مربع فقط.(١)

ولكن النفسية الروسية الطامعة فى حقوق غيرها كشفت عن نفسها النقاب كلما سنحت لها الفرصة، وبدأت فى فترات انشغال المسلمين بغيرها تغتنمها على حساب الدول الاسلامية المجاورة فى غدر وخيانة، وبهما وحدهما استطاعت توسيع رقعة حدودها إلى ٢٥ مليون كيلومتر مربع فى أراض متماسكة الأجزاء. وتريد موسكو اليوم أن تحول كل جزء منها الى أرض سلافية كيفية وكمية، وليس ما أكتبه مجرد كلام بل أسوقه للقراء بأدلة أخذت عناصرها من صميم الحياة فى هذه البقاع.

كانت القرم دولة كاملة الأركان ترتبط بمن تشاء من الدول، وتوقع معها معاهدات الحلف واضعة نصب عينيها مصالح القرميين السياسية والتجارية وسلامة بلادهم المزدهرة التى اشرأبت إليها أعناق الطامعين نظراً لموقعها الجغرافى الممتاز وثرواتها الضخمة وخيراتها المطيبة، كما كان خاناتها يعيشون على قدم المساواة مع أعظم الملوك والأمراء المجاورين يتبادلون معهم المنافع. وقد اضطر ملوك القرم أن يرجحوا كفة الصداقة البولونية عندما أثبت الروس خيانتهم باعتدائهم الشنيع على اوكرانيا واستيلائهم عليها قهراً عام ١٦٥٤ بعد معركة «براسلاو» التى دارت رحاها فى ٢٩ يونيه سنة ١٦٥١ والتى فقد فيها الجيش الاوكرانى توازنه فقداناً كاملا. وقل فامين

---

(١) «نحو فهم روسيا» طبعة انجليزية بالقدس عام ١٩٤٧ لمؤلفه فلاديمير بونجفوسكى، ص ٢٥

في تأليفه [١]:

« وقوزاق زابوروغ إنما أخضعتهم روسيا بالقوة ، فمن مدته نستطيع أن نقول إنه تبينت مطامع الروس جلياً في الحصول على القرم بأية وسيلة كانت مهما كلفهم ذلك من ثمن . ومع ذلك كان خاناتها يستمرون في سياسة التسامح وحسن الظن بالروس ولم يتشاءموا في الاوائل يوما من مناورات روسيا ، ولكن اندفاعها الغريزي وزحفها إلى خارج حدودها على حساب الدول المتجاورة دون احترام حقوقها ولا اعتبار الواجبات الانسانية خلقت في النفوس شبهة ، ثم أثارت الخان محمد كيراي عام ١٦٥٣ ضدها ، وذلك واضح من خطابه الرسمي الذي بعث به عام ١٦٥٣ إلي آلكسي ميخايلوفيتش القيصر الروسي المعاصر وإليكم ترجمة نصه :

« إلي آلكسي ميخايلوفتش قيصر روسيا

بعد التحية والاحترام - أما بعد فنسأل عن صحتكم ، وخطابنا إليكم كما يلي :

نقطة في منشوراتكم ألفتت نظرنا من مدة ، وهي أنكم منحتم نفسكم عنوانا كبيراً ولقبا عظيما ، فأخذتم تكتبون بأنكم قيصر الشرق ، والغرب ، والشمال ، وتتلقبون به على حين أن بين الشرق والغرب حاكم مكة والمدينة المنورة ألا وهو السلطان العظيم .

على أنه مع كونه سلطانا عظيما لم يكتب عن نفسه أو لم يلقب ذاته

---

(١) « العالم الجميل » القرم ، الجزء الثاني، المطبوع في باريس عام ١٨٥٧

كما تلقبون أنتم نفسكم ، و كما أنه يوجد من سواد ملوك كثيرون لايكتبون هم الآخرون كما تكتبون ، ونحن أيضاً نتحارب معكم ثم نصالحكم ومع ذلك لم نكتب شيئاً مما تكتبونه ، ولم نعمل شيئاً قط حتى مماثله . و غير ذلك يعيش فى دولتنا و فى إدارة السلطان ، الذى هو حاكم مكة و المدينة ، النصاري الكثيرون الذين يؤدي كل فرد منهم عبادته ووظيفته الدينية بكل حرية كما يأمره مذهبه بحيث لا أحد يعترضهم فيما هم عاملون ، و لكنك أنت تسلخ بشرة المسلمين ، إنك تضايقهم كثيراً ، وتجبرهم على قبول دينك ، و اعتناقهم إياه ، وفوق ذلك أحرقت القرآن المقدس ، والمساجد والمدارس ، ومزقت المعاهدة المعقودة بختمها الذهبي ، والتى أبرمت بيننا ، مع أنك كنت تعهدت فيها أن تتولى أمر تأديب قوزاق الدون . فالقسم الذي أديته لم تسترع قدسيته نظرك ، ولم تهتم به ، فقلت أخيراً إنك عاجز عن ضبط أولئك الأشقياء من قطاع طرق الدون .

وعدا هذا لم يحدث فى التاريخ أن قتلت دولة رسلا سياسيين ولكنك أمرت بقتل أحد رسلنا . ثم قُتل الثانى فى الطريق ! ومَن من آبائك اقترف ما اقترفت يداك ؟ ! آباؤك كانوا مقتنعين بموسكو فقط ولكنك أحدقت ببولونيا وولاياتها . ثم أرسلت جنودك ليغزوا أراضى القوزاق عدة مرات .

وسبق أن كاتبناك في هذا الشأن ، إلا أنك لم تنتصح فأرسلت جيشاً جرارا للاستيلاء على الأراضى القوزاقية كلها معتمدا علي قوتك وتاركا بعض جنودك فى قلعة كيف . كثير من القوزاق جاؤا إلى رحابنا

يطلبون نجدتنا ، فسألنا رأى علمائنا وشاورناهم فأفتوا لنا بأن موسكو خرقت حرمة المعاهدة .

وحيث إن كتابنا المقدس يأمرنا بانقاذ المظلومين من يد الظالمين فقد توكلنا على الله ، وامتطينا جوادنا ، فدخلنا بفضله علينا ومساعدته لنا فى أراضيك .

نحن نستند إلى الرب الخالق الخالد . لا لأحد من السلاطين فيما نعرف ، مسلماً كان أو نصرانياً ، إقترف ما اقترفته من الأخطاء الفاحشة . لن يُعد ما عملته من الأخطاء الدينية عملا منطقيا . . فكل خطأ من هذه الأخطاء قد جلب عليك عارا ، وعلى دولتك فضيحة ، وعلى جيشك خسارة . نحن لا نريد التعذيب ، كما لا نرغب فى أذية أحد . وإنا نكل أمر كل من يريد تعذيب غيره إلى الله سبحانه وتعالى . إذ أن حامينا الاكبر هو الله جل جلاله .

وختاماً نبعث هذه الرسالة مع رسولنا وهو المترجم عنا .

تحريراً فى ٢٨ ذى الحجة [سنة ١٠٦٣] . » (١)

وبعد أن أحس القرميون بظهور الخطر الروسى إهتموا كثيرا بمناورات الروس السياسية ، كما فهموا خطأ سياسة الحاج منكلى كيراى الذى سار فيها متسامحا إلى أبعد حدود التسامح ، فوطدوا العزم على إيقاف الروس المستعمرين

---

(١) « القرم » — تحت الطبع — للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر .

عند حدهم ، وحاولوا شرح ذلك الخطر لساسة العثمانيين وإفهامهم اياه على حقيقته ،وسعوا للاتفاق مع شارل الثانى عشر ومع بولونيا ومع حطمان مازه پا الاوكرانى ولكن الروس استغلوا الفرص، واستمروا فى توسيع رقعة أراضيهم شرقاً،وفى بسط سلطانهم القاهر على الاراضى المغصوبة مما اضطر أتراك القرم رد إغارتهم بمثلها ، وصرفوا جهداً عظيما وغيرة كبيرة فى إنقاذ القازان و آستر خان من يد موسكو بدافع الآمال القومية ، وظهر هذا جلياً فى خطاب رسمى بعث به دولة كيراى إلى ايفان الملقب بالمجنون ، وفيما يلى ترجمة نصه : ــ

«أحرق كل شيء لك وأمحوه فى سبيل استرداد القازان وآستر خان ، وأعد غني هذا العالم بأكمله ذرة واحدة بجانب تحقيق رسالتي . ذهبت إليك ، وأحرقت عاصمتك موسكو ، وكنت طالباً منك رأسك وتاجك ولكنك لم تقاومني ، ولم تقبل الحرب مني ، أما زلت بعد هذا تعد نفسك ملكا على بلادك ؟ ! ولو كان عندك أقل حياء، أو قليلا من العزة، أو خوف العار فقابلني ولنتحارب ! وإن أردت أن تعيش معنا على الوفاق والوئام فما عليك إلا أن ترد خانيتى القازان و آستر خان إلى أصحابهما .

ولو أردت أن تقدم بدلهما جزية ، فاعرف يقيناً أن دفائن العالم وكنوزه بأسرها لا تساوى عندي أدنى قيمة ! فنحن نلح عليك بطلب القازان و آستر خان . رأيت حكمك وطريقتك فيه، وكشفت عن طرق بلادك ، وأعلمها تمام العلم . » (١)

---

(١) « أهل القرم » مقالة رامبو فى مجلة السياسة والادب ، ١٧ ابريل ١٨٧٥ باريس .

محاولات الروس الفعلية للاستيلاء على القرم

فكر الروس فى خطورة دولة القرم ومركزها على موسكو ، لذلك لم يترددوا كثيراً فى وضع خطط سرية يتخذونها وسيلة للقضاء على هذه القلعة الاسلامية . فكر الروس أولا فى فصل تلك الامارة الشمالية من الامبراطورية العثمانية من ركنها الحساس حتى لايجدوا أمامهم من يوقفهم بعد ذلك حين يبسطون سلطانهم على البلاد الشرقية الاسلامية حتى المحيط الهادى كما كانوا يحلمون . وبعد أن تم نسج الخطط الموسكوفية للقضاء على القرم بدأ الروس فى حملاتهم المسلحة ضدها ، فجردوا عليها عام ١٦٧٧ جيشاً جراراً بمحاولة الاستيلاء العسكرى ، ولكن شجاعة سليم كيراى الجالس على عرش القرم خيب آمالهم حين طار بفرسانه إلى القرم تاركاً الجبهة التركية حيث كان يشترك فى الحرب بجانب جيش السلطان العثمانى ، فأوقع بهم الهزيمة النكراء وطاردهم أشد المطاردة التي ما نسيت آلامها موسكو أجيالا وعصوراً .

وبعد ثلثي عصر تقريباً سنحت لروسيا فرصة أخري فأعادت موسكو الكرة عام ١٧٣٦ فى قيادة الأمير مونيخ ، فرد هذا على أعقابه بطريقة هى أشد من المرة الأولى ، ثم أغار الجيش الروسي على القرم فى فرصة ثالثة بين ١٧٣٧ — ١٧٣٨ بقيادة الفيلد مارشال لاسسى ، فمنى هذا أيضاً بفشل ذريع ، واستغل الروس فرصة رابعة فأعادوا الكرة عام ١٧٧١ بقيادة دولغوروكى ،

فضربت أثناءها ألف قرية ومدن كثيرة مثل باغجه سراى، وقاراصو بازار، وغيرهما، وقد وصف العالم الروسي ماركوف هذه الحملة الشنيعة وتكلم باسهاب ومجرداً عن التحيز والتعصب السلاف عن فظائع موسكو فى القرم الاسلامية[1].

شهادة ماركوف

«بعد أن تم الاحتلال الروسى كان لموظفي الادارة الروسية دور هام أشد خطورة وأبعد أثراً من الاحتلال العسكرى . فهؤلاء الموظفون قد استفادوا من جهل المسلمين باللغة الروسية، وهى لغة القانون والاوامر الرسمية ، فكان ثمة إسراف بالغ الغاية وغلو فى تطبيق النظام علي المغلوبين . وكذلك استفاد أولئك الموظفون من أن البلاد فى نظام انتقالى غير ثابت ومن بُعدهم عن كل رقابة وهيئة تحاسبهم على أعمالهم ومظالمهم ، كل ذلك جعلهم يأتون ما يأتون وهم لا يرجون حساباً ولا يخشون لومة لائم . فكان الاحتلال فى يد أولئك الموظفين أصعب حالا وأعقد جانباً من الاحتلال العسكرى فى يد سومارا كوف ، ودولغوروكي ، وسوفاروف .

لم يكن المسلمون من أجيال يعرفون ماهو العقد، بل العرف والتقاليد أو بعبارة أوضح السند الذى يكتبه الشيخ كان يثبت ملكيتهم وحدودها .

هل تصدق معي أيها القارىء الكريم حالة ذلك المسلم المظلوم ! إنه كان مجبوراً أن يثبت للحكومة الروسية حقه على ملكيته منذ القرن الثامن

---

(١) «وصف القرم»، ص ٣٤٥ - ٣٥٠

عشر وعلى ملكية حديقته وعلى الماء الذى يشربه و يسقي منه و على الغابة التى يملكها منذ بداية القرن التاسع عشر .

لقد أجبر ذلك المجاهد بالأمس أن يدافع عن حقوقه المكتسبة أمام المحاكم الروسية وباللغة الروسية وضد الروس الذين جردوه عن ماله وملكه وجاهه .

نفي عن القرم فى عهد احتلال وتمكين عدد كبير من المسلمين ويقدرهم سوماراكوف [1] بثلثمائة ألف شخص ، كما هجر فى سنة ١٨١٢ عدد كثير من القرميين ممن اضطر تحت الضغط الروسى أن يغادر بلده العزيز، وليس فى مقدورى أن أكتب عددهم بالضبط لأن الاحصاء الذى تم على يد الروس ونشر بمعرفتهم بعيد عن أن يكون صوابا . وقد حرمت أموال أولئك المهاجرين وأراضيهم أن توزع على أهليهم وذوى قرباهم أو علي المؤسسات الدينية خشية دخول الملاك الجدد فى معركة الدفاع فى المحاكم ضد الحكومة الروسية .

وكانت بطرسبورغ تتلق معلوماتها عن حالة الأراضي من الموظفين الروسيين ، فاذا قالوا إن هذه الأراضى ليس لها مالك معروف كفي ذلك فى أن تنتقل ملكيتها إلي من يرضونه من أبناء جنسهم .

وحكومة بطرسبورغ لم تكن تعترف حقا بالقرم كما نستنتج ذلك من الحكم القاطع الآتى : وهو أنه إذا قيل إن هذه الاراضى لامالك لها فكلها

(١) « أوقات الفراغ لقاض قرمى »

مما فيه من حدائق المسلمين وكرومهم تنتقل فى لحظة واحدة إلى يد الروس الذين أتوا إلى القرم باسم المدنية وجلب الحضارة .

وكثيرا ما يخطىء المهندسون الذين يقيسون مساحة الاراضى أو كثيرا ما يتجاهلون بالحقيقة فيقيسون ثلاثة عشر ألف دساتين[1] بدلا من خمسة آلاف . وقد حدث كثيرا أن يجد ذلك المسلم المسكين أرضه بيعت دون علمه لاحد السادة الروسيين ، ويذهل عند ما يجد نفسه أمام الامر الواقع وقد وقع عنه على الارض غيره بشهادة شهود بحجة أنه لا يعرف اللغة الروسية .

وإزاء هذه المظالم العامة إرتفع كثير من الاصوات بالشكوى وبلغ مسامع القيصر مما اضطر الحكومة الروسية الي إرسال لجان تحقيق فى هذه الشكاوي ورد الحقوق إلى أهلها . وقد استعمل القيصر ألكساندر وسائل شديدة فى سبيل قمع هذه الاعمال الظالمة للموظفين الروسيين فى القرم .

يُعد تاريخ هذه اللجان التى حفظت مجلداتها كاملة إلى يومنا هذا فى دار المحفوظات الحكومية وفى ديوان الوالي من أكبر الحوادث الشاذة لا فى تاريخ القرم فقط بل فى تاريخ روسيا كلها .

وبعد هذا هل هنا عجب على استمرار القضايا التي لم يفصل فيها بعد

---

(١) دساتين مقياس روسى يزيد على هكتار بشيء بسيط .

فى مجلس الشيوخ بين المسلمين والروس فى مدة تزيد على نصف قرن ؟ !»

وعند ما كتب ماركوف هذا لم يكن هناك سبيل فى الاستفادة من أوراق الحكومة الموجودة فى دار محفوظاتها. ونقل إلينا ماركيفتش فى مقالته التي نشرها في مجلة «أخبار أكادمية العلوم السوفيتية» بتاريخ ١٩٢٨ فى أرقامها من ٤ — ٧ رأي آلكساندر المهم والخاص بهجرة الاتراك من تلقاء أنفسهم، وكان يعدها فرصة يجب اغتنامها إذ أن الشعب المضر لسياسة بلاده فى نظره كان يغادر البلاد.

إن هجرة مسلمى القرم إلي الخارج ما هى إلا احتجاج صارخ على السياسة الروسية الخرقاء. وهذا موضوع تناوله المؤرخون الكثيرون فى العالم وكان أحدهم آلكساندر سركيف.

يقول سركيف في إحدي مقالاته التى نشرها في مجلة «إزفستي طاوريتشنكوي آرخيو نوي كوميسيي» نسخة رقم ٤٩، ومهما يبعث ذلك القول العجب فى الانسان فان موضوع هجرة أهل القرم الي خارج البلاد لم يستطع أن يجد حتى الآن مؤرخه الخاص ومدققه الكامل الذي يليق به. فهذه الهجرة المؤلمة التي عمت بين الشعب لابد أن يبحثها مؤرخ مسلم، ولو تم هذا البحث فاني على يقين من أنه سيجد أثناء قيامه بعمله عوامل إجتماعية واقتصادية تؤثر عليه أيما تأثير أكثر مما يتأثر بها مؤرخ غير مسلم.

نعم، إهتدت الشبيبة التركية فى القرم بعد ثورة اكتوبر إلى المؤرخ المطلوب وعرفت كيف تستفيد عن طريقه من وثائق الحكومة القيصرية

السرية التي عجز سركيف تدقيقه عام ١٩١٣ . وهكذا ظهر على مسرح التاريخ ذلك المؤرخ التركي المسلم الذي أوصي به سركيف ألا وهو المجاهد العظيم أحمد أوزنباشلي [1] مؤلف « جارلق حاكميتنده قريم فاجعه سي ويا تاتار هجرتلري » أي كارثة القرم في العهد القيصري أو هجرة المسلمين إلى الخارج وهو كتاب ظهر في اللغتين التركية والروسية في مدينة آقمسجد سنة ١٩٢٥ .

كتاب أحمد أوزنباشلي قبل كل شيء تأليف علمي أسند فيه المؤلف كل جملة إلي وثيقة رسمية قيصرية وباطلاعه على الوثائق السرية كشف عن أسرار لم يقف عليها من قبله أحد .

أخذت الدولة الروسية عقب إلحاق القرم للامبراطورية في أواخر القرن الثامن عشر تدعو الشعب القرمي إلي تركيا باسم سلطانها وتبث بين الشعب وكلائها من الأرمن والروم الذين تنكروا في أزياء علماء، وتظاهروا

---

(١) لعب أحمد بك دورا عظيما في إقامة جمهورية القرم الاسلامية عام ١٩١٧ ونفاه الروس إلى سيبريا من حيث هرب ورجع إلى بلاده ثانيا أثناء تحررها من الظلم الشيوعي . وعند ما عاد الروس إلى القرم عام ١٩٤٤ إنسحب إلى رومانيا وظل فيها مختفيا إلى أن خانه مدرس إيراني مسلم كان يعمل للجاسوسية الروسية ، وأوقعه في شباك « أنكافيدي » بعد أن أضله بوثائق مزورة أقنعت أحمد بك بأن طائرة أمريكية مدبرة من قبل زملائه في الخارج ستقوم بتهريبه من رومانيا إلى خارج الستار الاحمر . وحدث فعلا أن جاءته في الساعه الرابعة صباحا من اليوم المحدد طائرة ورجالها في أزياء أمريكية وبعد أن أدوا له كلمة السر المصطلح عليها إستقلها أحمد بك، فاذا بالطائرة تتجه به إلى روسيا بدلا من التوجه إلى المكان الذي قيل له إن زملاءه ينتظرونه فيه.

بأنهم رسل السلطان وكانوا ممن يجيدون اللغة التركيـة إجادة تامة فوق اتقانهم قراءة سور القرآن على أتم وجه وأبلغ صورة ، وكانوا يخاطبونهم فى دعواتهم المكتوبة بخطوط ذهبية كما يلي :

« أيها المسلمون ! يجب عليكم ألا تظلوا في حكم الـكفرة ، إذ أن الدين يمنع الخضوع لهم ، وقد جهز السلطان للمهاجرين أراضي و بيوتاً فى الأناضول ويدعو كل واحد منكم أن يلبي دعوته ».

فالأتراك القرميون ، بقلوبهم الطاهرة وعقائدهم السليمة ، إعتقدوا فى صحة الدعوة الموجهة إليهم . و هاجر قسم كبير منهم فى سبيل الله دون الاهتمام بالشتاء القارص المرير ، أو دون اعتبـاره مانعاً يعترض طريقهم . وألقوا بأنفسهم فى سفن شراعية حتي تنقلهم إلى « الأرض البيضاء » أى الاسلامية كما كانوا يلقبونها ، فذهبوا ضحايا القـدر بين زمهرير البرد و زوابع البحر ، و التهمتهم الأمواج التى تعالت من شـدة الأعاصير فى وسط البحر الأسـود . و يؤكد المؤلف أن ثلث المهاجرين ضاعوا و هم فى طريقهم إلى أرض السلطان و القحط الشقيق .

إحتوى كتاب الأستاذ أحمـد بك أوزنباشـلي ، فوق احتوائه على الحقائق المستخرجة من الوثائق الرسمية و المصادر الصحيحة ، على أغانى الهجرة التي جمعها فى القرم و دوبروجا و الأناضول و التى يعكس فيها ألحان الحب و الوداد و الحنين إلى وطن مهجور نقش القـدر حبه فى قلوب أبنائه بشكل جدغريب ، و هذه الاغانى الصادقة لما عبرت بـ القلوب زاد من

روعة تأليفه وضاعف قيمته .

توالت على القرم الاسلامية هذه الحملات الروسية على اختلاف أنواعها و تكاثرت لا سيما بعد خطأ بالطه جى محمد باشا فى معركة پروت — نهر يفصل او كرانيا عن رومانيا — بأمل استيلاء روسيا عليها و فصلها عن تركيا مهما كلفها ذلك من ثمن ، إذ أنه فى نظر الروس كان أهون عليهم من ضياعهم أو عودتهم الى موقف مشابه لموقفهم فى پروت . وتفصيل الحادثة بالايجاز أنه بعد أن خرقت موسكو حرمة المعاهدة المعقودة بينها وبين تركيا جرد السلطان عليها جيشا بقيادة بالطه جي محمد باشا ، فاشتبك الطرفان عام ١٧١١ فى معركة پروت ، وأطبق الفرسان القرميون الذين أدركوا المعركة على الجيش الروسى ، فأسر جيش القيصر واستسلم ، ولم تنقذ الموقف إلا كاترين القيصرة التى عرفت كيف تتقرب من القائد التركي وتفك الحصار بجسمها الرخيص الغالى و بهداياها الثمينة للذى قدم شرفه لأسر جمالهـــا ، ثم دار الفلك دورته ففازت بمعاهدة كوتشوك قاينارجى — إسم بلد في دوبروجا البلغارية — وهكذا انتصر فى التاريخ سلطان الجمال على سلطان القوة ، و أثرت صاحبته بجاذبيتها وفتنتها الأنثوية فى قلب الباشا الذى بقى أسيراً بين ذراعيها بعد أن كانت هى و زوجها مع جيشه أسري فى يده . وقد احتج الخان القرمى بلهجة محرقة لدى السلطان على تصرف قائده الغادر ، وطلب منه أن يعدمه فى الميدان شنقاً إلا أن السلطان اكتفى ، بعد عزله عن الصدارة ، بنفيه إلى جزيرة مدللى وبعده إلى

لمنى حيث توفى بعد سنة .

وكلمة الشرف التى قطعها الأتراك على أنفسهم فى معاهدة كوتشوك قاينارجى ظلت نافذة المفعول وموضع الاعتبار ، بينما عمدت روسيا الى نسج خطط الفتن وتنفيذها قبل سحب الاتراك كلمتهم .

وعلى الرغم من أن روسيا وعدت الأتراك فى البند الثالث من تلك المعاهدة بألا تمس استقلال القرم ، و بوجاق ، و القوبان ، و أديسان ، وجامبويلق ، و أديشكول ، وألا تتدخل فى شئونها الداخلية ولا الخارجية إلا أنها عجلت بالحروب وقامت باعتداءات متكررة منتهزة فرصة تصدع السياسة التركية العثمانية فى أوربا و تعاقب الهزائم فى صفوف الباب العالي .

ضم القرم الى روسيا :

لم تتأخر كاترين فى متابعة سياسة روسيا المرسومة فأمرت بتجهيز جيش تستطيع هي أن تركن إليه وتعتمد عليه فى عدم خيبة أملها ، ثم بعد ذلك تناست الوعود و نقضت العهود وخرقتها باسناد قيادة جيشها إلي معشوقها الجنرال بوتمكين الذى منحته الحرية المطلقة فى كيفية تنفيذ خطة الاستيلاء على القرم دون المبالاة بما قد ينتج عن تصرفاته من احراق أو مذابح ، أوتدمير ، وكان يحدث هذا فى وقت قضى علي استقلال بولونيا وليتوانيا ، والبلاد المجاورة الأخرى لروسيا .

هجم الروس على القرم ناقضين عهودهم وحانثين أحلافهم وراحوا بعد ذلك

يقدمون اعتذاراتهم المزيفة و حججهم الواهية بقصد تبرير ما فعلوه من هذا التعدى الشائن و النقض الفاضح ، وفيما يلى منشور ٨ ابريل ١٧٨٣ أذاعته كاترين من بطرسبورغ حين أمرت جيوشها بالاستيلاء على القرم الاسلامية واليكم ترجمة نصه : —

«بفضل الله تعالى نعلن نحن كاترين الثانية إمبراطورة روسيا وحاكمتها المطلقة ما يأتى :

فى الحرب الأخيرة التي نشبت بيننا و بين الباب العالى العثمانى إنتصرت جيوشنا البواسل ، وظفرت عليه ، وخولت لنا حق الاحتفاظ التام بالقرم التى كانت بين أيدينا ، ولكننا ضحينا بهذا الانتصار وبغيره حرصاً منا على إيجاد علاقات ودية ثابتة بيننا و بين الباب العالى العثمانى جاعلا الشعوب الاسلامية دولا حرة ومستقلة لنتجنب فى المستقبل الفتن و وسائلها التى قد تؤدى إلى توتر العلاقات من جديد بين روسيا والباب العالى . وقد كانت فى توترها فيما مضى حرب تنشأ بسبب الحالة الداخلية للشعوب المذكورة ولكننا لم نشعر فى حدودنا المتاخمة للقرم بالهدوء والأمن ، وهما الشيئان اللذان كانا ضروريان أن ينتجا من التنظيم الذى أعددناه .

لذلك أرانى فى حل من تعهداتى الخاصة بالتخلى عن القرم و ترك شعوبها الاسلامية حرة مستقلة . وأجد من حقى أن أعود فيما أعطيت وأن أضع يدى على هذا الاقليم الذى أستحقه ثمرة الفوز العسكرى» .

هكذا أغارت الجيوش الروسية بأمر صدر من قائدتها العليا ويقودها

..شوقبا الجنرال بوتمكين الذى ظلم القرم ، و نكل بالمسلمين ، و أحرق المدن والقرى ؛ و نهب الأدوار والقصور و كل ما امتدت إليه يد جيوشه المغيرة ، وهتكت أثناء الاغارة أعراض الأطفال والعجائز البالغين الثمانين ، وبدأت المذابح تجرى على أشدها فى كل ركن من أركان هذه الجنة فى أرض الرب الخالق ، ولذلك اضطر فى بحر مدة قصيرة أن يهجر القرم ثلثمائة ألف مسلم إلي البلاد الخارجية بعد أن شاهدوا بعيونهم أن الجنرال المغير ذبح فى ليلة واحدة ، على نهر قاراصوبازار ، ثلاثين ألف مسلم بين أطفال ونساء وعجائز. ولم تكن هذه العملية إلا جزءا يسيراً مما اقترفت يداه من ظلم فى القرم ، وعلى الرغم من مضي مدة كبيرة علي فظائعه استحق الجنرال لشناعة أعماله وتنكيله بالأبرياء سخرية أحد المؤرخين الفرنسيين الذي قال « إن الانسانية تسأل بوتمكين حساب جرائمه الشنيعة التى اقترفها فى القرم فى سبيل إخضاع ذلك الشعب الاسلامى المظلوم لحكمه القاهر وليه لنير إمبراطورته » (١) .

كان سبب التجاء روسيا إلي القوة بهذه الشدة رغبتها الملحة فى هضم القرم والبلاد الأوكرانية وغيرها التى أتمت استيلاءها عليها لكيلا تكون داخل الحدود الروسية أرض متماسكة الأجزاء ليست لها صبغة روسية وأصل سلافى . وقد قال المستشرق البولونى فلاديمير بونجقوسكي تحت عنوان السياسة القومية لروسيا القيصرية : — (٢)

---

(١) « لاروس » تحت عنوان القرم . (٢) « نحو فهم روسيا » الطبعة الانجليزية

« فكرة تحقيق سيطرة السياسة الروسية وتكوين القومية الروسية الموحدة فى الثقافة واللغة هما آخر ما ترمى إليهما السياسة الوطنية التى بدأتها روسيا القيصرية وتواليها اليوم روسيا الحمراء .

وقد تحدث عن جوهر هذه الفكرة بالذات نحو أواخر العصر السابق كاتب هندى كان يحب روسيا حباً قدر ما يكره إنجلترا كراهة وبعد أن حاول تأكيد وجود الحرية المظنونة فى روسيا مضى فى كلامه حيث قال : إن كل شبر من أرض روسيا فى آسيا جزء لا يتجزأ عنها وليست هى بمستعمرتها لأنها لا تملك مستعمرات إذ أنها لا تريد أن تكون لها إمبراطورية . إنها لتتبرأ عن السياسة الاستعمارية ، فخلاصة ما ترغب فيه هو أن تكون ذاتها ممثلة فى آسيا وباستيلائها على بلاد جديدة لا ترغب فى خلق أتباع وإنما تريد أن يكون لها المواطنون عليهم ما على الروسيين ولهم ما للروسيين » .

وعملا بهذه الفكرة ظلت الدولة الروسية تعمل على تخريب القرم المتمردة تخريباً عسكرياً ، واقتصادياً ، وروحياً على أوسع نطاق التخريب من أقصاها إلى أقصاها وذلك بعد أن شلت مقاومة الحكومة الوطنية واستولت على تموينها ومواقع أمنها ، ثم بدأت تناهض الثقافة العامة والديانة الاسلامية فيها ، ولم تكن فى وجه الدولة الروسية فى بطرسبورغ حتى أرفع برقع لحشمة تتحاشي من ورائها فى شن الحرب علي الدين الاسلامى ، وهذا على الرغم من أن الوعد بصيانته كان منطوقا جهراً .

هتك الروس حرمة الدين والمساجد بادئين بتحويل مسجد مدينة صوداق الشهير الى كنيسة اورثودوكسية عام ١٧٨٣ يعنى صبيحة استيلائهم على القرم، ثم جاء من بعده دور جامع طامان كي يشهد بذلك باللاس الفرنسي بنفسه .

واستمرت هذه الحالة المؤلمة مدة عصر ونصف عصر أفرغ أثناءها الروس غضبهم علي القرم ، ودمروا الجوامع والسبل العامة والمقابر والقصور ، وعبثوا بالمنشآت العامة والمدارس ، وهتكوا الأعراض ، وارتكبوا جرائم القتل وإفناء الشعب ونفيه .

وكتب العلماء الغربيون عن القرم كثيراً ، ووصفوا كوارثها فى عهد الروس بحزن وأسي ، وإليكم وصف ثلاث مدن قرمية صورها لنا البروفسور كلارك من كبار أساتذة جامعة كمبردج بعد زيارته العابرة [1] .

مدينة كفه :

إن أعمال التدمير الفظيعة الشنيعة التى تمت على أيدى الروسيين فى مدينة كفه أسالت عبرات المسلمين ، وبعثت الأسى فى قلب أتراك الأناضول الذين تجلبهم تجارتهم للسير إلى هذه البلاد التعسة ، وكذلك أثارت غضب كل شعب مستنير يحب الحضارة ويؤمن بها . ولقد شهدنا أثناء إقامتنا فى مدينة كفه عساكر الروس يهدمون جوامع هذه المدينة أو يحولونها إلي حوانيت للتجارة ، ويسقطون المآذن العالية ، ويخربون

---

(١) « رحلة إلى روسيا وبلاد التتر وتركيا » ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٦ و٣٢٣ و٣٣٨

الآبار العامة ، ويهدمون قنوات المياه ليتحملوا من وراء ذلك كله على القدر اليسير من الرصاص . هذه هى طبيعة الحماية الروسية ، وتلك هي ثمرة اتحادهم مع الدول الضعيفة التي يوقعها سوء طالعها ،ويجعل منها ألعوبة فى أيدى الروسيين الطغاة ،إغتراراً بأساليبهم الخداعة الغرارة . وبينما كان الضباط ينجزون الأمر الموكل اليهم كانوا سعداء ، وكل هذه التخريبات الفظيعة المروعة صادفت من هؤلاء الطغاة هوى ، وكانت المآذن العظيمة الجميلة التي روعتها تزيد البلاد شرفاً وجمالا تهدم يومياً ، والمعاهد الدينية كانت خرقت حرمتها أسوة بالجوامع ولو أن تخريبها لم يكن يجلب للروس أية فائدة سوى رصاص ضئيل لبعض الجنود و الفضة للضباط . و أشد ما أحزن القرميين وحز فى قلوبهم هو تخريب الآبار العامة وأنابيب المياه التى تنقل لهم ما يحتاجون من مياه نقية فى أعالى الجبال ، فلقد كانت لهذه المؤسسات فائدة عظمي بعيدة الأثر فى صحتهم ورفاهيتهم ، وبعض هذه الآثار كان يرجع إلى عهد قديم جداً وبعضها كان يزدان بأحواض رخامية بديعة نقشت عليها الكتابات التاريخية الجميلة .

وأما الرخام المنحوت الباقى من العهد اليونانى القديم فلم تصادف أيضاً مصيراً أحسن مما أسلفنا ذكره بحيث لم تبق فيها تقريبا آثار يونانية قديمة . حافظ المسلمون عليها ، وعنوا بأمرها ، وظلت النقوش ناطقة بعظمة هذا العهد ، حتي جاء الروس ونسفوا هـذه الآثار القيمة نسفاً ، وحطموها تحطيما ، وباعوا أجزاءها كما يباع سقط المتاع » .

مدينة قاراصو بازار :

إن الخسارة التي أصابت مدينة قاراصو بازار، كثرات الاستيلاء الروسي على القرم، خفيفة بالنسبة للمصير الذي انتهت إليه مدن القرم الأخرى ومع ذلك تشاهد فيها آثار الدمار جلياً ويرى الزائر شارعا طويلا كانت تزينه فيما مضى دكاكين عامرة، فأصبحت الآن كومة خراب. وزيادة في الظلم منع الروس المسلمين من إقامة شواهد على مقابرهم وحطموا ما وجدوه فيها تحطيما ليبنوا به منازلهم علماً بأن البلاد كانت تحتوي على أحسن أنواع الأحجار .

باغجه سراي :

وكذلك من الصعب العسير على قلم الواصف لهذه المدينة أن يذكر بالتفصيل ما أصابها من تخرب عام وتدمير فظيع . فهمجية الروس ووحشيتهم الفظيعة كانت ترضي نفسيتهم بتدمير المدينة وتسكن شهواتهم الجامحة وحبهم الغريزي للاتلاف والافساد . ولا شاهد أدل على ذلك من قصر الخان الواقع في وسط المدينة على مهبط من واد جميل والذي أبدع صنعه وزود بما يجعله مثوى طيباً يصفو به المقام للخان . فقد صار الآن أثراً بعد عين، ولا يمكن لزائر أن يتبين موضعه إلا بارشاد هاد خبير، وقد ذهب أكثر من ثلثي أبنية هذه المدينة العظيمة ونسف بأيدي الروسيين . ولو أنني ذكرت وحشية هؤلاء الظلمة وما أتوه من نهب وسلب وسرقة لأهالي القرم لكان ذلك مما يبعد تصديقه بحيث يكون شبيهاً بالوهم والخيال »

وكتب دى بوا الفرنسي [١] بشأن فظائع الروس فى القرم يقول إن الحكومة الروسية عملت على تحويل أجمل الجوامع إلى كنائس إغريقية فى سائر المدن التى تفتحها وخاصة عند ما هجرها الأهالى المسلمون. ومثلا قلبوا « بويوك جامع » ذلك المسجد الفخم الجميل العظيم فى كفه (تيودوسيا) إلى كنيسة مسيحية. وبدأ الروس أولا بنزع الطبقة المعدنية الجميلة اللامعة التي تغطى السقف، ثم باعوا ما حصلوا عليه ولا أدرى لصالح من باعوه. وقد صار لهذا الجامع بعد تحويله إلي الكنيسة بعد سنتين منظر يبعث الأسى والكآبة فى النفس. وأحد حكام مدينة كفه، ناقل تماثيل الأسد من فاناغورى إلي حديقته الواقعة بضاحية المدينة، أتى إلى الجامع السابق يوماً وأمر أيضاً بنقل أجمل أعمدته الاسطوانية إلى حديقته المزمع إنشاء الكنيسة فيها.

وعند ما وصفت ذلك الخراب فى سنة ١٨٣٢ كانت بجانبه مؤسسة أخرى هي الحمامات التركية الكبرى التى تتطلبها الطهارة فى الاسلام، ويلزم وجودها بجانب الجوامع و المساجد . وكانت تلك العمارة العظيمة تتكون من غرفتين عريضتين كبيرتين يدخلها الشعاع من قبتيها الجميلتين وأما الطنف الخارجى من العمارة فكان المثل الأعلى فى جمال العمارات مع سذاجتها. إستعمل المسلمون فى بنائها الطوب وزينوها به، وكان ذلك الحمام من أجمل مؤسسات مدينة كفه الذي كان يزين ميدانها العظيم . ولكن حجبت

---

(١) كتاب « القرم » ـ تحت الطبع ـ للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر

نظر الحاكم كازناتشيف ــ رجل من أجهل الرجال الروسيين وليس يفهم شيئاً قط عن الجمال الفنى ولا عن قيمة الآثار وفائدتها العلمية العامة — مسألة توسيع الميدان فى المدينة بنسف بقايا الجامع والحمامات . وقد ارتاع الشعب لهدم هذه الحمامات عامة فى كفه ، فأرسلوا إلى الكونت فورونزوف شافعاً منهم يشفع فى إبقائها على ما هى عليه ، ولكن الحاكم وقد كان يرى الهدم ضربة لازب لم يقف لحظة واحدة بدون عمل ، فقضى على هذا الأثر رغم متانة قبابه العظيمة وحصانه أركانه وجوانبه .

إستمر الروس يكيلون ضرباتهم القاسية على الشعب باضطهاد علمائه وطلابه فى الداخل والخارج وبتضييق الخناق عليهم من كل جانب . فكان الاعتقال والحبس والتشغيل وأنواع أخرى من التعذيب جارياً على الاطلاق ظلماً وبهتاناً . ومثلا أصدر قوخوفسكى أمره إلي بوتمكين ، فى ٧ فبراير ١٧٨٣ وقد كان حينئذ حاكم مقاطعة طاوريدا ، بالقاء القبض على أئمة كوزلوه وأورقابى بعد دعوتهم إلى آقمسجد ، فنفذ الأمر ، ونفي كل منهم إلى المنفى .

ماذا كان السبب فى اعتقالهم وتعذيبهم ثم نفيهم ؟ ! السبب والتهمة الموجهة إليهم كان صيامهم ثلاثة أيام وذبحهم بعض الخراف كقرابين ، فوصل إلي علم الروس بأن هؤلاء الأئمة يسألون الله كشف ما حل بهذه البلاد الوادعة .

هذه أحكام كانت منتشرة فى الأوقات العادية وما أدراك بالذي

يحدث فى الأوقات العصيبة الرهيبة ؟ [١] » .

بسطت موسكو سلطانها على القرم ، وبدأت تستولي على أوقاف المسلمين فيها وبعد أن صادر الروس أملاك القرميين ، وقيدوا حريتهم ، وهدموا استقلالهم ، مدوا أيديهم إلى أموالهم الموقوفة عليهم ، والتى كانت تؤمن على كثير منهم الرزق ، وتسهل لهم سبل العيش ، فهم بهذا العدوان الجائر ظالمون أيضاً للموتى الذين وقفوا هذه الأموال وحبسوها لهناءة الأجيال والأعقاب من بعدهم ، وكما أن الروس منعوهم من الحج إلى مكة المكرمة ومن التعليم القومي ، وبكى الروس المنصفون أنفسهم لهذه الحالة المؤلمة وقال أحدهم بعيداً عن التعصب فى كتابه [٢] « بالله علينا ، دعنا ننظر إلى الأشياء من حيث هى ، ولننطق بالحقيقة . هل صار القرميون على أيدينا أحسن حالا وأوفر سعادة مما كانوا عليه من قبل استيلائنا على بلادهم ؟ ! »

وجاء فى فقرة أخرى من نفس التأليف « نحن لم نأت للقرميين بأقل شيء من أوربا ولم نعمل غير تقييدهم وبه خفضنا نسبة التعليم فى بلادهم إلى أبعد حد . نحن لم نقدم لهم أية مساعدة ، وكما لم نسمح لهم بأى تساهل أو مساعدة » .

لم يستطع الشعب القرمى المسكين الصمود فى وجه الروس أكثر من هذا ، فبدأت الهجرة بطوائف فى فترات مختلفة أهمها عام ١٧٩٠ — ١٨١٣

---

(١) كتاب كريتشيفسكى ، ٤١ — ٤٢

(٢) « وصف القرم » ، ص ٣٤٨ نقلا عن كتاب « القرم » للزعيم جعفر سيد أحمد

١٨٦٠ — ١٨٦٣ — ١٩٠٥ — ١٩٠٦ — ١٩٢١ ، وضاع ، زيادة على هذه النكبة ، ثلث المهاجرين فى الطريق فى عرض البحر بسبب ثورة الطبيعة وعدم وجود معدات كافية وتجهيزات كاملة لدرء الخطر البحرى فى زمهرير الشتاء .

الدوق ريشيليو :

الحاكم الفريد الذى يحمل له مسلمو القرم أحسن الذكريات وأطيبها فهو الدوق ريشيليو الفرنسى الأصل . كتب زعيم القرم فى كتابه مستنداً إلى المصادر الأوربية يقول : « لقد مضى على العهد الروسى فى القرم عصر ونصف عصر لقى فيها الأتراك من الروس صنوف الظلم والاضطهاد ، وكانوا يلجأون إلى الهجرة وهم لها كارهون ، وإذا كان لنا أن نذكر عهداً رضى عنه الأتراك فى القرم فذلك عهد الحاكم الروسى الفريد الدوق ريشيليو الذى كان فرنسيا وليس روسيا . كان هذا الدوق قد حكم طاوريدا برفق عظيم وقلب حنين وفكرة عادلة وكان ذلك قبل أن يحرر بلاده فرنسا فى سنة ١٨١٨ من القلاقل والاضطراب .

وكتب الكونت مورافيه بعد عدة سنوات من عودة هذا الأمير من القرم إلى بلاده فقال : لم أهتد إلى رجل غير الدوق ترك أحسن الذكريات فى خارج بلاده . يذكره أهل القرم دائماً بكل عظمة وجلال وتأثر عميق ، وترتسم على القسمات سمات المحبة والحنان . قال لى حاكم

---

(١) كتاب « القرم »

غورزوف نحن نأسف كثيراً لبعده عنا ؛ ثم قلته على معرفتي الشخصية للدوق ، وكان هذا بمثابة أحسن توصية لأهل القرم حتي فافت فى قوتها الفرمان . وإنى لعاجز عن وصف كيفية استماعهم إلىّ عند ما قلته إن الأمير أول رجل بعد الملك يتمتع بحب بلاده له وبحنانه ، ولربما سوف يأتي لزيارة الأوطان التي بقى بين أهلها ، وإنه ليذكركم دائماً بالمحبة والتعظيم ، ويذكر أيامه الجميلة بالقرم ، ويحن إلى مشاهدها وآثارها ، ويرجو أن يزورها من جديد . فوجدت من السامعين نظرات تنم عن المحبة والحنين كما رأيت الأعين قد بللتها دموع لا ريب أنها دموع التأثر والشكران ، وكلهم دعوا فى لهجة واحدة « ربنا يحقق أمله » .

لم تخمد فى القرم يوماً نار الثورة والصراع بين المسلمين والروس ، ولكن مقاومة هؤلاء الأخيرين بأسلحة مكنتها لهم مراكزهم كانت تنهي المسألة لصالح روسيا . وهكذا لم تفت فرصة من الفرص إلا والقرم ثائرة على أعدائها غير أن النحس والفشل حالفها فى جميع الأدوار . كان أملها عظيما فى التحرر أثناء حرب القرم عام ١٨٥٣–١٨٥٤ ، ولكنها انتهت أيضاً بدون فائدة ، فظل الظلام يخيم علي القرم وينشر جناحيه علي القرميين الذين استطاعوا أن يستفيدوا سياسياً من التطاحن بين اليابان وروسيا عام ١٩٠٥ فنجحوا فى ارسال وفودهم إلى « دوما » أى البرلمان الروسى حيث تجمعت أيضاً الوفود الاسلامية من القوقاز ، وايديل - اورال ، والتركستان للدفاع عن حقوقهم متضامنين ، وعرض ما أصابهم من ظلم قاس وعدوان شائن فى ظل الحكم

الروسى لأولى الأمر، إلا أن العقلية الروسية لم تعد قادرة على فهم مشكلتهم المعروضة ، أو بعبارة أخرى لم ترغب بطرسبورغ فى التراجع عما خطه لها قادتها الأولون ، فجل ما اكتسبت الدولة القيصرية في هذا المؤتمر البرلمانى هو أنها أجمعت عن غير قصد كلمة الشعوب الخاضعة لامبراطوريتها على التألب عليها وسببت فى انتظام قوة تلك الشعوب المظلومة بالجبهة المعادية المتحدة كرد فعل مباشر لعمل حكومة بطرسبورغ ، كما فعل ذلك جان سان تير ملك إنجلترا فى القرون الوسطي بالنسبة للشعب الانجليزى (١).

إتسعت الامبراطورية الروسية ووسعت رقعتها كثيراً ، وزاد الظلم فيها كلما انتفخت بطرسبورغ مختالة فخورة حيث ظلت السلطة البوليسية مركزة فى يد حكام روسيين كانوا هم حفنة مختارة فيها . زاد الظلم والفقر ، وانتشرت العبودية والسخرية مما ألب الروس أنفسهم على الدولة القائمة ، فعجل القيصر بالطرق التعنتية التى سلكها القضاء على روسيا ، فقامت ثورة الشعب عليه وعلى حكمه فى سنة ١٩١٧ ، وأُعلنت الجمهوريات الاسلامية وحقوق المسلمين وغيرهم فى لهجة مثيرة لمشاعر الانسان وفى شكل أطغى ذلك فى الأقوام المختلفة على الحماسة القومية وأحيا روح الاحتياط والتدبير اللازم لوجوب صرع القيصر ودولته العاتية وإدامة استقلال البلاد وإعادة مجدها السابق . وقد أرادت مشيئة الله أن تُنطِق عظماء الروس أنفسهم ، إعترافاً بالمظالم الجائرة التي وقعت على المسلمين والأيام المظلمة التى مرت

---

(١) « تاريخ إنجلترا » لمؤلفه آ . موروا

بتاريخهم وأن يحمل لينين فى أوائل الثورة أى فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٧ على إعلان منشوره الذى وقع عليه هو وستالين وإليكم ترجمته [١] :

« أديانكم ، وعاداتكم ، ومعاهدكم الملية والقومية مصونة عن كل اعتداء ، نظموا حياتكم القومية تنظيما يستند إلي أسس الحرية والاستقلال وهذا من حقكم الشرعى ، إعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها ، إعملوا علي الانقلاب ، وحبذوا الثورة ، وساعدوا حكومة البلاشفة . أيها الرفاق ! إننا برفع علمنا هذا ، إنما نعلن للشعوب المستعبدة فى روسيا شعار الحرية والاستقلال . أيها المسلمون ! نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية » .

شايع ، فى باديء الأمر ، قسم قليل من القرميين الاشتراكيين البلاشفة ، وعقدوا النية على التعاون معهم فى شئون الثقافة ، وربما كان ميلهم لهذا الاتجاه نتيجة رد فعل أحدثته مظالم الحكومة القيصرية فى نفوسهم وذلك فوق ما هم وجدوا في المنشور الشيوعى الشهير بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ من حديث يعترف فيه البلاشفة بالحقوق السياسية لشعوب روسيا قاطبة . وقد لفت هذا المنشور أنظار الناس من حيث احتوائه على مسائل هامة ، إذ أنه تناول موضوع المشكلات وحل المعضلات السياسية على أسس قومية وطنية ، وهى الغاية التى كانت الأقوام الغير الروسية تناضل من أجلها منذ أمد بعيد ، وتتصارع مع الدولة الروسية فى سبيل تحقيقها .

---

(١) كتاب « الثورة الروسية » للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر .

وجاءت فى هذا المنشور مسائل كثيرة وأهمها:

١) منح حق المساواة لجميع من يعيش فى روسيا .

٢) تقرير الأقوام لمصائرهم بأنفسهم أو الاعتراف بحريتهم المطلقة وحتى الاعتراف بحقوق من يرغب فى إقامة دولة مستقلة بالانفصال عن روسيا البلشفية إنفصالا كاملا كما جاء ذلك فى المادة السابعة عشرة من دستور الاتحاد السوفيتي .

أقام أقطاب البلاد الجمهورية القرمية أثناء الثورة الروسية ، وشيدوا صرحها ، وانتخب المسلمون المفتى الاكبر تشلى جهان رئيساً لها ، ووضعوا دستور الجمهورية وعلمها خفاق على قصر « خان سراى » الذى اتخذته الدولة مقراً لبرلمانها ، وتشكلت الحكومة الرسمية ، واعترفت بعض الدول بالجمهورية الناشئة ، وكانت بعضها فى طريقها إلى الاعتراف بها ، وأسرعت بولونيا بتبادل السفراء إلا أن الفوضى فى داخلية روسيا ضربت أطنابها من جديد ، وبدأ الصراع بين القرميين وبين الشيوعيين الذين اشتدت سواعدهم بعد القضاء على حكومة كرنسكى فى بطرسبورغ ، واسكورو بادسكى فى كييف ونقض لينين وعوده وبدأ هجومه على الجمهورية القرمية فى فترات ثلاث مختلفة بين ١٩١٨ و ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، ولم يستول عليها تماماً إلا فى هجومه الثالث الذى جاء نكبة على القرم وتعاقبت الثورات بفرت هذه من ورائها الكوارث ، ثم قضت عليها موسكو كلياً عام ١٩٤٦ بنفي الشعب القرمي الاسلامي بأسره إلى مجاهل سيبريا بعد المجزرة التى قلم

بها الروس فى البلاد ، وستبقى أعمالهم الشنيعة هذه وصمة عار فى جبين موسكو تنطق بشراسة الروس وهمجيتهم .

إستولى الشيوعيون الروس على القرم مضرجة بالدماء ، وانسحب الشبان الى الجبال ، واعتصموا بها ، واستمر الشعب فى حنقه على الروس دون أن يستسلم ، فجاء عام ١٩٢١ حيث فرضوا على القرم الجوع فرضاً وذهبت ضحيته ١٥٠,٠٠٠ شخص بدون ذنب ارتكبوه بحيث مات منهم فى البيوت والطرقات العامة والحقول مائة ألف باحثين عن أرزاق قد تسد لهم رمق الجوع الفظيع ، وأما الباقون من هذا الجيش الجائع فقد يئسوا بعد أن استحالت عليهم المساعدات الخارجية فهجروا القرم إلى الخارج ، وأنقذت حياة الشعب القرمي الباقي بفضل النشاط المظيم الذى قام به زعيم القرم حضرة صاحب المعالى جعفر بك سيد أحمد وبفضل اتصالاته مع مصطفى كمال وغيره من عظماء الأتراك فى أنقره والبابا فى روما والأمريكيين الذين اشتركوا جميعاً فى إنقاذ هذا الشعب البائس المظلوم .

قابل الزعيم البابا فى فاتيكان بأمل لعل قداسته يحول دون المظالم الروسية فى القرم ، أو يقدم على مساعدتها فيسير العالم المسيحي فى ركابه لاسعاف ذلك البلد المعذب المضطرب ، إلا أن ظروف روما السياسية وإن كانت ساعدته في مد يد المعونة المادية المطلوبة فانها لم تسمح له بمساعدتها سياسياً . وأريد هنا أن أسجل ثناء القرميين على فاتيكان إعترافاً منهم بجميله الانسانى وبثقته النفسية التى يجب أن تكون عبرة لقادة

المسلمين أجمعين . قال رئيس وزراء البابا للزعيم القرمي « سعادة الزعيم ، إنك مسلم لجأت إلى رحابنا والفرق بيننا عظيم من حيث الدين . لذلك دعنا ننظر إلى هذه المسألة التي تعرضونها علينا من ركن إنساني نظرة كلها حنان ورحمة وشفقة . إن فاتيكان يفهم أنكم معذبون حقاً ، وإني شخصياً أحس ما يحس به كل فرد من شعبك التعس الذي يتضور ألماً من شدة الجوع وشقاء السياسة الحالية ، وسأعمل جهد طاقتي حتى يرفع الله عن القرم ما حل بها . . . » . وبعد ذلك استقبله البابا ووعده باسعاف القرم ، وفعلا نفذ وعده ، وعند توزيع الأرزاق عمد إلى أن يتم ذلك على أيدي أئمة المساجد في القرم . وكان السبب واضحاً في ذلك ، إذ راجع رجال فاتيكان موسكو قبل هذا التاريخ مرتين يطلبون منها السماح لمساعدة شعب القرم في محنته ، فكانت موسكو تجيبهم بالرفض في حين أنها صرحت للدوائر نفسها بمساعدة تشاريتشين « حوض فولغا » وعلى الرغم من معرفة البابا للعناد الروسي البلشفي قام على رجاء الزعيم القرمي يتلمس طريق الوصول إلى إسعاف القرم ، فقوة إيمانه بربه هدته إلى باب عرف كيف يدخل منه ليساعد من ليسوا على دينه مساعدة إنسانية كريمة تلهج الالسنة بالشكر والثناء .

نعم ، لقد فرض الروس هذه النكبة على القرم فرضاً ، وأحدثوا الجوع عمداً وإن كان مماثله في نفس السنة حدث على ضفاف نهر فولغا وما يجاوره من البلاد ، ولكن مع عظيم الفارق في المسببات التي أدت إلى

ظهور هذه الحالة فى القرم وظهورها فى حوض فولغا . فما ظهر فى البلاد الاوكرانية فى حوض فولغا كان سببه قحطاً أصاب البلاد فى تلك السنة وما ظهر فى القرم كانت حلة تجويع وليس بقحط والفرق بينهما بيّن واليكم برهانه :

ظهر القحط فى نفس السنة فى حوض فولغا ، وتكلمت عنه الجرائد العالمية باسهاب ، ومات الألوف المؤلفة من سكانها لأن أراضيها الزراعية الواسعة الأطراف وإن هي زرعت لم تنزل عليها أمطار بقدر كاف فذبلت المزروعات واحترقت من شدة الحرارة ، ثم بسط الجوع سلطانه على السكان ، وهذا مضافاً إليه اضطراب الأمن وسيادة الخراب وهما الشيئان اللذان أصابا الانسان والحيوان إصابة بالغة من جراء الحروب الدائمة والتطاحنات السياسية والأزمات المحلية فى روسيا .

ولكن الأراضى القرمية ، بصفتها شبه جزيرة فى وسط البحر ، ليست واسعة الأرجاء كالأراضى الاوكرانية فى الشرق والشمال وإنما هى بفضل أنهرها وبما حولها من البحرين الأسود وآزاق والبحيرات وبفضل ريها وطقس سهولها وتأثير جبالها وشواطئها حديقة ممتازة تحفظ فى العادة للاراضي رطوبتها ولو أن الأمطار نزلت قليلا مثل ما حدث فى تلك السنة .

فهذه العوامل المجتمعة كفلت للجزيرة فى تلك السنة بالذات ما يكفي لشعبها البائس من المؤن والذخائر التى نبتت فعلا فى حدائقها وسهولها

وجبالها. غير أن الروسيين الذين فكروا فى جميع أنواع الأسلحة لاستعمالها في تحطيم مقاومة الأمة لجأوا هذه المرة لحيلة تجويع أهل البلاد، وهي من أشد أنواع الأسلحة الفتاكة التي فاقت فى قوتها قنبلة هيروشيما الذرية والتي امتازت بها الشيوعية طيلة ظلمها على الشعوب البائسة فى الاتحاد السوفييتى، فنقلوا من القرم كفايتها من الأرزاق إلى روسيا بالقوة دون أن يتركوا لغالبية السكان ما يتعيشون به، ولو كان فى استطاعتهم نقل أسماك البحر التى استعان بها القرميون كثيراً فى فترة الجوع لما ترددوا في عمله لحظة. إن سياسة التجويع فى الاتحاد السوفييتى، كما ترونها فيما بعد، نكبة يرتعش لسماعها الشعب ويفقد أمامها توازنه تماماً.

أيها القارىء الكريم! إنصب من روحك رقيبا يطالع من بُعد زوجك التى وصل بها اليأس إلى درجة أن يدها تمتد بالجناية إلى وليدها الذى يتضور ألماً من شدة الجوع ويتلوى أمامها فتقتله، وبعد التهامها إياه، تركن عظامه فى ركن لتبكيه وتدمع عيناها دماً لمصيرها المحتوم!؟. فماذا كنت تعمل أنت بالذات إن أحسست بما كانت تحسه هذه الأم المسكينة أو كنت فعلا من ضحايا الجوع؟! هل من أم تقتل طفلها لتتغذي على لحمه؟! نعم حدث كل ذلك فى القرم لهول المجاعة، وإنه كانت أهوال غير غريبة بالنسبة لمن فتك بهم الجوع فى هذه البلاد التى لم يفهم الكثيرون فى العالم آلامها حتى فى أحرج أوقاتها وأشد محنها!. فمن ضحايا الجوع رجال أُنقذوا ولا يزالون اليوم على قيد الحياة فى مصر وغيرها، وشاهدوا هذه الأهوال

بعيون تسكب اليوم جفونها دموعاً ساخنة لذكرها .

هذه هى الحالة ، وبم لا ترضى نفس الانسان بعد وصولها إلى هذه الدرجة من البؤس والفاقة ؟ !

عصفت عواصف هذه المجاعة التى أثارها الروس فى القرم عمداً مع سبق الاصرار فى سنة ١٩٢١ الداخلة فى ١٩٢٢ ، ونشرت جريدة ازفستيا فى نسختها الصادرة يوم ١٥ يولية ١٩٢٢ تقرير كالينين الذى زار القرم فى محنتها حيث قال : « بلغ فى يناير عدد الذين أصابتهم محنة الجوع ثلثمائة واثنين ألف مات منهم ١٤٫٤١٣ شخصاً ، وأما فى شهر مارس فارتفع عددهم إلى ثلثمائة وتسعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٩٫٩٠٢ شخصاً ، وبلغ فى شهر ابريل ثلثمائة وسبعة وسبعين ألف شخص مات منهم ١٢٫٧٥٤ شخصاً وفى شهر يونية بلغ ثلثمائة واثنين وتسعين ألف واثنين وسبعين شخصاً » . وجاء فى أقواله أيضاً إن أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التى يستغرب لها أو يبدو عجيباً فى بابها . كانت المجاعة فى القرم فى سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ ، كما تكلمت عنها جريدة « برافدا » فى نسختها الصادرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٢٨ ، تشبه فى شدتها مجاعة حوض فولغا .

وأثبتت اللجان المشرفة على إسعاف منكوبى القرم فى محنتهم إصابة ١٠٪ من البالغين المتوسطين . وحدث أن مات سكان بعض المدن والقرى بنسبة ٥٠٪ وجاء فى كتاب « بوتون قريم » الذى نشر فى القرم عام ١٩٢٦ ما يفيد أن القرم أضاعت فى هذه الكارثة ٢١٪ من سكانها

أی بمقدار ۰۰۰ر۱۵۰ شخص ، وذلك على لسان العالم الروسي فولوغدين، هجر منهم إلى الخارج خمسون ألف شخص إنقاذاً لأرواحهم ، ومات الباقى من هول المجاعة وشدة الكارثة . لهذا السبب خفضت نسبة سكان المدن إلى ٦ر٢٤٪ ونسبة سكان القرى إلى ١٨٪ وذكر فولوغدين أعدادا جد مهمة بخصوص تناقص الأهالي فى المدن وقال : —

ان نسبة السكان التى فقدتها مدينة باغجه سراى ٥٥ ٪

»	»	»	قاراصوبازار	٤٨ ٪
»	»	»	كوزلوه	٤٣ ٪
»	»	»	أسكي قريم	٤١ ٪
»	»	»	كفه	٣٦ ٪
»	»	»	يالتــــا	٢٩ ٪
»	»	»	كرتش	٢٨ ٪
»	»	»	آقمسجد	١٣ ٪
»	»	»	آقيــــار	١١ ٪

يرى المرء فى هذه المعلومات الاحصائية الواردة فى المصادر الشيوعية الرسمية أن عدد السكان فى آقيار خفض بنسبة ١١٪ . بينما في باغجه سراى وهى مدينة إسلامية محضة خفض بنسبة ٥٥ ٪ . ولو يمعن النظر فى كون هاتين المدينتين موصولتين بسكة الحديد ، وفى أن المسافة التى تفصل بينهما لا تزيد فى الواقع على ساعتين ، ولو نلاحظ أيضاً زيادة نسبة الموتى الذين

فتك بهم الجوع فى المدن التى تألفت أغلبيتها من المسلمين نجد أن هذه الأعداد تكشف لنا عن أسرار سوف تشكو الانسانية إلى خالقها هذه الفظائع وتلك الجنايات التي ارتكبتها موسكو لتفرض من ورائها الجوع المصطنع في سبيل القضاء على القرم . وإنى أترك للقارىء الكريم تصور الحالة التى وصلت إليها البلاد بعد هذه الفظائع المنكرة المؤلمة التى تقشعر من ذكرها الابدان وتذوب لها القلوب أسى ورحمة .

كانت أنواع الحلى والنقود الذهبية والجواهر وما إليها من أشياء ثمينة توجد بوفرة حتى عند العائلات الفقيرة كزينة تتزين بها نساء الاتراك وهي من عاداتهن . وزيادة على ذلك ، رغم عرض المسلمين للمبيع ثروتهم الطائلة التى تراكمت لديهم من عصور وعلى الرغم من المساعى التي بذلوها فى سبيل إنقاذ أرواحهم من مخالب الجوع فان نسبة ضحاياهم كانت تفوق نسبة غيرهم ممن اندس فيهم . وهناك نقطة أخرى وهي أن الأتراك عند ما رأوا إنجار الروس الفاحش معهم ، إذ أن الروس كانوا يقدمون إليهم طعاماً قليلا جداً مقابل الأثمان الباهظة الخارجة عن حد المعقول ، ذهبوا إلى اوكرانيا وابتاعوا لهم المؤن اللازمة لسد رمق الجوع ، وعادوا بها فى طريقهم إلى القرم ، ولكن الادارة الشيوعية صادرت هذه الأرزاق قبل وصول القافلة إلى البلاد .

أيها القراء ! إعلموا أن الانسان ليعجز عن تصوير سلوك البلاشفة وسوء معاملتهم لأهل البلاد ، ويلح علىَّ ضميري أن أذكر للقراء الحادثة

الأئمة التالية للمرة الأخرى وهى مثل من الأمثلة الكثيرة التى لا حصر لها .

كان حوض تساريتسين يعني ستالينغراد اليوم تقدم إلى الصليب الاحمر الايطالي طالباً إسعاف المصابين فيه بالجوع . وبهذه المناسبة كرر الايطاليون طلبهم ، وألحوا على البلاشفة فى السماح لهم بمد يد المساعدة الانسانية على القرم أيضاً . ولكن طلبهم هذا رُفض كل مرة رفضاً باتاً كما سبق أن صرح البابا بذلك لحضرة صاحب المعالي جعفر بك سيد أحمد حين قابله فى فاتيكان .

إستقر البلاشفة فى القرم ، ولم يأمنوا جانب الاتراك المسلمين ،فأتوا إلى رياسة الجمهورية بشيوعى مجري يدعى بَلا كون ، ولكن ما لبثوا أن احتاطوا ، فأحلوا محله عام ١٩٢٢ ولى إبراهيم القرمى الذى راح يحاول إقناع الروس بوجوب التخلى عن سياسة العنف وعدم مساس كرامة القرم باسكان اليهود وغيرهم فيها ، وظل يجادل رئيساً لغاية ١٩٢٧ تلك السنة التى ثار على الحزب الشيوعي لسياسته الجارحة لكرامة الجمهورية القرمية ، واستعمل فى خطاباته السرية التى جرت بينه وبين الكرملين لهجة شديدة وحججا كاتمة للأنفاس ، فقبض عليه مع رجال حكومته وأمنائه ، وطار بهم « تشيكا » فى طيارة مسلحة خاصة إلى موسكو حيث أعدموا . وبذلك عاد الارهاب من جديد ، ونفذ ستالين ما أراده من إسكان خمسة وثلاثين ألف يهودي فى أراضى أوقاف القرم بمنطقة جانكوى ليشتغلوا فيها بالزراعة ؟ ! وقال ولى إبراهيم بسخرية لجلاديه قبل إعدامه : « نعم

انى عارف أن الدب حين ينوى افتراس ولده يمرغه فى الطين كى يتجاهل أنه ابنه » .

كان ولا زال من سياسة المكتب الشيوعى البلشفى الاتيان الى المناصب المختلفة ببعض من يريد القضاء عليهم آجلا أو عاجلا ، فأتى من بعده إلى الرياسة بمحمد قوباى ليقضى عليه عام ١٩٣٠ شر القضاء ، وعلى هذا المنوال كانت المسألة تتكرر فى فلك العالم السوفييتى و « الجنة الشيوعية » واحدة تلو الاخرى ، مع العلم أن كل حركة اضطهادية من جانب المنظمات الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى كانت تزيد من حقد المواطنين على موسكو ، لان الشعب لم يكن يطيق حكما يناهض وطنيتهم وعلى الاخص ديانتهم ويذهب بأرواحهم لأقل تهمة يلصقها لهم الروس أو جواسيسهم زوراً وبهتاناً . وعلى الرغم من الحصار الفولاذى الشيوعى كان الشعب يحاول مقاومة الاضطهاد ، ويقوم بعملياته فى سكون بدون كلام ويتفانى فى سبيل مساعدة الأبطال ، وينتظر الفرصة السانحة لقلب النظام والتحرر حتى يبنى مجد الوطن بيده . وليس فى القرم أدل شاهد على ذلك من حادثة « ألاكات » التى وقعت عام ١٩٢٩ وذهبت كضحيتها أرواح آلاف مؤلفة من الشبان بسبب خيانة لعبت دورها فى صفوفهم وانكشف أمرهم للمكتب السياسى الذى استطاع بواسطة من وقع فى شباكهم أن يصل إلى بواطن الامور تارة بالتهديد والوعيد وطوراً بمعسول الكلام والوعود .

وتفصيل الحادث أنه حدث فى السنة المذكورة أن وجد الشعب

أمامه فرصة التسلح ، واقنع بعض نوابه ووكلائه بوجود الاسلحة اللازمة للثورة، وبدأوا خفية فى تسجيل أسماء المتطوعين ضد الشيوعيين ، فقيدمن قيد وامتنع من امتنع من التسجيل لخوفهم من عيون الكرملين . فجاءهم أمر الجهاد والتجمع فى منتصف ليلة اتفقوا عليها بمكان إسمه « ألا كات » حيث الاسلحة والتجهيزات الحربية المزعومة ، وقد لبى الدعوة كثير من الشبان ، فتجمهروا فيه فى جنح الليل ليرفعوا منه علم الثورة لتحرير القرم فى وقت قيل لهم إن الثورات فى كل منطقة من مناطق الاتحاد السوفيتى ستشمل دارها ، وسوف تجد موسكو نفسها أمام ثورات الشعوب المستعبدة متجمعة .

وبينما هم متجمعون فاذا رجال المكتب الشيوعى البلشفى يلعبون دورهم فى مصائر أولئك الوطنيين الذين حوصروا من كل جانب بالقوات المسلحة الروسية الحمراء ، ولم يفلت من يدها أحد إلا واستشهد أو قتل أو نفى ، فبقيت القرم تبكي حظها السيء ، وأخذ عزرائيل يجوب أنحاء البلاد مدة سنة كاملة باسطاً سلطانه المخيف عليها لاقتفاء آثار مؤيدى الحركة .

وإبان هذا الارهاب بدأت فى القرم سياسة قولخوز وجعلوا الاشتراك فيه فى مبدأ الامر إختيارياً ، ثم ما لبثوا أن ضيقوا الخناق على من لم ينضم ، فاضطر من تخلف عن الاشتراك أن يضم صوته إلى من اشترك راجحاً ذلك على عواقب مجهولة . ولعب المكتب السياسى دوره فى تشجيع بعض المراكز القليلة لتكون هذه قدوة حسنة للمراكز الاخرى . وأول مركز أصيب بدعاية المكتب وتشجيعه عام ١٩٢٨ كان

آلوشتا وهى مدينة صغيرة يسكنها ١٣٫٠٠٠ نسمة وتقع على الساحل القرمى الجنوبى ، فاشتركت منها ثمانى وعشرون أسرة فقيرة فى قولخوز أسموه « شانلى آرتــل ».

مضت على هذه الحالة سنة وعواصف الارهاب ملتهبة نارها ، فأصدر الكرملين أمره النهائى بالحاق الشعب بأسره إلى قولخوز على شرط أن تقيد لجنة التثمين الحكومية رأس مال الملتحق قبل تجريد مالكه منه . وقد كان من السخرية بمكان أن يقيد المثمن الحكومى كل شيء بربع قيمته أو أقل منه مع العلم أن لا أحد قبض الثمن عاجلا أو آجلا . وبذلك تم إلحاق القسم الاكبر من الشعب بقولخوز أو كوؤپراتيف، وتخلف قسم آخرون الالتحاق بهما مهما نددهم الموظفون وأنذروهم بسوء العواقب . ولكنهم ظلوا يرفضون ما طلبته إليهم الحكومة رسمياً واضعين مصيرهم بين يدي الله متكلين عليه سبحانه وتعالى .

وإزاء تذمر الجميع أعلنت الحكومة أمراً جديداً فى سنة ١٩٣٠ تاركة للمزارعين الخيار بين الالتحاق بقولخوز أو كوؤپراتيف وبين العمل الحر ، واقترحت على من يريد الانفصال من قولخوز أو كوؤپراتيف أو على من رفض من أول الامر الاشتراك فى أحدهما منظمة « طوفاريشت توا» حيث يعمل المزارعون أحراراً فى نطاق جماعة أخرى خاصة على شرط ألا يكون لهم الحق في بيع محاصيلهم لغير رجال الحكومة الذين يثمنونها كما يشاءون ، لا كما يقدرها الفلاحون أو الصانعون الذين إحترقت فى

سبيل اتاجها دماؤهم . رجح الاهالى هذا الاقتراح على خطورته السياسية وشجوه نخرج من قولخوز نصف المنتحين للانضمام إلى المنظمة الجديدة رغم تخوفهم من أن تكون هذه العملية شبا كا أخرى ألقاها المكتب السياسى لتصفية المعارضين للنظام الشيوعى . أما ذلك من حسن الحظ فلم يحدث ، ولكن موسكو أدركت ما فاتها ، ففرضت على كل من ترك قولخوز سياسة ضرائب تجبرهم على العودة إليه من تلقاء أنفسهم، فعادوا جميعاً إلى حظيرة قولخوز بعد أن وجدوا أنفسهم أمام ضرائب تصاعدية فادحة يئس بسببها الناس من العمل الحر . وبعد مدة قليلة بدأت موسكو في تصفية من تخشى جانبهم لاحتمال كونهم نواة لثورة أو إضطراب أمن سوفيتى ، وتسهيلا للعملية أظهر الشيوعيون قائمتهم المعدة من قبل سراً حيث قسموا الشعب إلى درجات خمس :

القسم الاول : طبقة المساكين

والقسم الثانى : طبقة الفقراء

والقسم الثالث : طبقة متوسطي الحال

والقسم الرابع : طبقة الاغنياء

والقسم الخامس : طبقة الملاك الكبار

بدأ البلاشفة في القضاء على هذه الطبقة الخامسة فملا عقب الثورة فنهبوا أصحابها وسلبوهم ، ثم مثلوا بهم أشنع تمثيل ، وجاء من بعدهم دور الطبقة الرابعة التى رفضت الالتحاق إلى المنظمات الشيوعية المذكورة .

آنفاً، ولذلك صودرت أملاكها ونفى من بقى من أهلها الى سيبريا أو ألقى بهم إلى غياهب السجون مع حرمانهم وحرمان أفراد أسرهم من حقوق البلاد المدنية والسياسية بمعنى أنهم يظلون فى بلادهم مشردين لا حق لهم فى الانتساب إلى الحزب الشيوعى، ولا فى العمل بالمزارع، ولا فى الدراسة أو التدريس، فمصائرهم كانت تذهب حتما إما إلى الموت أو الهروب الى ركن من أركان الاتحاد السوفيتى لو فشلوا فى الالتجاء إلى إحدى الدول المجاورة للاتحاد (١).

وجاء دور محمد قوباى الذى أصبح رئيس جمهورية القرم عام ١٩٢٧ بعد إعدام رئيسها السابق بحيث قتل هو الآخر عام ١٩٣٠، وظلت سياسة التصفية تسير فى البلاد والحياة القرمية تجتاح عواصف من اليأس. وكان هذا التاريخ فى الجحيم السوفيتى يعتبر عهد انتقال من عهد الرخاء — على علاته — إلى عهد مجهول دامس الظلام زاد فيه الفقر كلما دفعت به عقارب الزمن إلى الأمام. أقول عهد الرخاء على علاته لأن المرء فى ذلك العهد وما قبله كان يشبع على الأقل نفسه بانتاجه البسيط ويكسب بعرق جبينه ما يعول به أسرته حتى أثناء الاضطرابات السياسية القائمة فى عرض البلاد وطولها.

---

(١) المالك الهارب فى الاتحاد السوفيتى الذى يتمكن من مغادرة أراضى الجمهورية دون الوقوع فى شباك البوليس والالتجاء إلى إحدى الجمهوريات السوفيتية الاخرى لا يقتفى المكتب السياسى أثره عامة ولو أنه يعرف المكان الذى يعيش فيه، فينجو الهارب بذلك من النفى إلى سيبريا. وتفسير ذلك أن البوليس السياسى فى كل جمهورية عالم بأنه ظالم الشعب المسئول أمام موسكو فى نطاق سلطته داخل الجمهورية التى يشرف عليها.

إنتهت سياسة الحكومة المحلية إلى تعميم النظم الشيوعية فى الصناعة والزراعة والتجارة بأمر صدر إليها من موسكو ، وبدأ الحزب الشيوعى يشرف بنفسه على سير العمل فيها مع إقامة جماعة أو جماعات فى كل قرية أو مدينة تبعاً لجوهما الطبيعى والسياسي ، وبذلك تم انشاء ثلاث جماعات مختلفة :

الأولى : كوؤپراتيف وهو جمعية تعاونية يعمل فيها أصحاب المهن والحرف .

الثانية : قولخوز وهو منظمة زراعية تضامنية تكونت من رءوس أموال إستولى عليها رجال الحكومة من الزراع والفلاحين حسب قائمة تثمين إختفت على يد البلاشفة ثم ضاعت مع ضياعها الحقوق .

الثالثة : صونخوز وهو منظمة زراعية تكونت من أراض اعتبرتها الدولة من حقها . ولم تدخل هذه الأراضى فى قائمة التثمين المذكورة أعلاه ، ويعمل فيها من يغادر منظمة قولخوز لسبب أو لغيره وتكون مرتبات العمال فيها تافهة بالنسبة لمرتبات رفقائهم فى قولخوز .

وفى نطاق كل من قولخوز وصونخوز و كوؤپراتيف أنشئت مدارس للأطفال ، ودور السينما ، وبعض المستشفيات على شرط أن يتحمل العامل مصاريفها بطرق يحاول تبرئتها الشيوعيون الذين يعلنون للعالم أن كل شيء فى روسيا مجاناً على حين أنهم لا يطبقون فيها مبدأ كما يطبقون مبدأ « من لا يعمل لا يأكل » بمعنى أنك عامل والكرملين آكل [1] . وهذه المصاريف هى عدا ما يقتطع من مرتبه للتبرع الاجبارى الذى يوازى مرتبه فى الشهر

---

(١) الدستور الشيوعى المادة ١٢

الواحد ، وعدا التوفير في صندوق الادخار الذى ينتهى فى آخر كل ثلاث أو أربع سنوات بالتنازل الاختيارى نظرياً والاجبارى فعلياً للحكومة السوفيتية ، وعدا ما يدفعه للصليب الأحمر، ولجمعيات الملحدين ، وللابطال الشيوعيين ، وما إلى ذلك من ضرائب فادحة تدفع العامل دفعاً إلى الاستقراض من الدولة على حساب أعماله اليومية التي سيؤديها فى السنة المقبلة . وبذلك يكون العامل قد تعهد أمام الحكومة وارتبط معها على أن يخدمها بلا مقابل فى المستقبل ، فتتكرر العملية سنة بعد سنة وهو ماض فى استقراض ما يسد رمقه من خزينة الدولة دون أن ينعم بما ينتجه لها من المحصول بوفرة .

كل فرد فى الأسرة مجبور على تنفيذ عمل يطلب إليه مهما كانت طبيعته وليس له فيه الخيار فى أغلب الأحايين ، ومدة العمل ثمانى ساعات نظريا ولكنها وصلت فى السنين الأخيرة إلى ما يزيد على ١٢ ساعة . ولتصوير الحالة نضرب مثلا بقولخوزين فى قرية «جمه علي» بالقرم . فهذه القرية الجميلة كان يسكنها ١٥٠٠ شخص ، لها عماراتها ، وحيواناتها ، وآلاتها المختلفة وأراضيها ، ومدرستها . وبعد إقامة النظام الشيوعى وتطبيقه فيها استخرجت الادارة الشيوعية ، على أساس قانون سنته موسكو عام ١٩٣٣ بطاقة شخصية لكل من يسكن القرية مع الاعلان أنه عضو فى قولخوز ، ولايجوز له الانتقال من قرية أو من مدينة إلى أخرى إلا بجواز خاص من السلطات الشيوعية المحلية . وتكلف الادارة كذا العدد من الأشخاص

للعمل بالمزارع فى الجهة الفلانية المعينة ، وكذا العدد منهم فى منطقة أخرى، ويباشر من وكل إليهم الأمر تعيين مقدار العمل المطلوب من كل فرد كان رجلا أو امرأة مع العلم أن هذا التعيين مقدر على أوسع حدود استغلال الطاقة الفردية . وفى آخر النهار يرجع العامل إلى مركز الادارة حتى يسجل له الكاتب المختص ما أداه من العمل، فان انتهى من أدائه قيد له يوميته كاملة وإلا قيدها ناقصة أو قيد عليه إن لم يقتنع الرئيس بعذر المعتذر.

وأما أصحاب المهن من أسرة القرية فيكلفون بما يتناسب وطبيعة مهنهم وحرفهم ،فيقومون باصلاح الماكينات ولوازم الخيول وتجهيزها ، والاعتناء بالأبقار والغنم ، وتصميم الأبنية وبناء المخازن ، ونقل الحبوب والآلات وغيرها ، وتدريس الأطفال ، وتنشئة التلاميذ بالروح الشيوعية[١] .

والأحداث الذين هم فى سن الدراسة لكل منهم كميته من الخبز وقدرها ٢٠٠ غرام ، وأما الرضع فتشرف عليهم مؤسسة تستلمهم من أمهاتهم صباحاً لتردهم إليهن فى آخر النهار بعد أن أدت الأم ما عليها من وظيفة العمل .

وقليلا ما تعطي الادارة الشيوعية شقة من حجرتين لتسكنها أسرة

---

(١) إستطاع الشيوعيون السيطرة على الموقف فى روسيا ولو أن تعداد حزبهم لم يزد على مليونى عضو لغاية ١٩٤٣ وقد ضاعفوه اليوم فبلغ أربعة ملايين وستمائة ألف شيوعى. والحزب على قوته فى أساليبه الابليسية يخشى ثورة السوفيت التى ظهرت فى الاتحاد مرات . ولذلك سعى الكرملين إلى جلب عاطفة المدرسين أيضا كعنصر من عناصر العلاج الوقائى الشيوعى بدفعهم مرتبات كبيرة بالنسبة للحالة العامة فى روسيا ليفلح فى غرس الشيوعية وتعاليمها فى أذهان النشء الحديث الذى أصبح فيما بعد رأس مال الشيوعية العالمية .

من ستة أو ثمانية أفراد، وهي عارية عن كل زينة بل عن ضروريات الأثاث أيضاً. ولو تخلف الزوجان أو أحدهما عن العمل أو جاءهما زائر قريب أو غريب تيقن أهل الشقة أو المنزل أن أحداً من بينهم سوف ينام جائعاً، إذ أن ٦٠٠ غرام من الخبز الذي يستحقه كل شخص عامل في الأسرة يجب أن يؤمن حياته لمدة ٢٤ ساعة على أي حال. هذه هي الكمية التي ينالها العامل السوفيتي الكادح مقابل عمله اليومي المضني! . وما آلم الحياة وأمرها حين لا يجد المرء ما يشبعه من الخبز أو الطعام مقابل عمله الذي يمتص منه دمه. لا شك في أن ذهن المستطلع يتبادر أيضاً إلى الملابس التي يتلفها العامل في عمله وهي من ضروريات الحاجيات، فيتساءل عن مصدرها ومصدر الخبز والطريقة التي يسلكها في سبيل تحصيل المطلوب ؟!.

هـذا تساؤل حق تتضمن إجابته سر ضعف مقاومة الملايين أمام الحزب الشيوعي القليل العدد ومكاتبه السياسية. سبق أن ذكرت عند ما أوردت قرية «جمعـه علي» مثالا أن كل شخص في قولخوز مكلف بأن يؤدي مقدار عمل يعينه له وكيل من وكلاء الادارة الشيوعية. ولو أتم العامل المكلف ما كلف به ـــ مع ملاحظة أن نسبة ٩٠٪ من عمال المنظمات لا يستطيعون إنهاء ما كلفوا به ـــ قيد له الكاتب المختص في دفتر السجلات يومية كاملة. ومجموع اليوميات في قولخوز ثلثمائة يوم سنوياً. فعلى هذا الاعتبار لو أنه استمر في عمله ثلثمائة يوم دون التخلف، ولا التأخر، نودي اسمه يوم الحساب الذي يعقد عادة في أوائل السنة وأحياناً في منتصفها

بمركز الادارة حيث يتلو عليه الرئيس أمام الجمهور ما فى القائمتين إحداهما له والاخرى عليه . وبناء على الاحصاء الشيوعى الرسمى عام ١٩٤٧ لا يزيد أجر العامل المتوسط فى الاتحاد السوفيتى عن ٥٠٠ روبل شهريا (١) . فيكون له على هذا الأساس بطرف الحكومة ستة آلاف روبل فى المجموع . ثم يواصل الرئيس كلامه بتلاوة ما على العامل للحكومة فيقول إن مرتب الشهر الأول تبرع منك لخزينة الدولة ، ومرتب الشهر الثانى لليانصيب الحكومي والادخار ، وكذا من المبلغ لمصاريف الأبناء فى المدرسة وثمن الحبوب المصروفة لك ولهم ، وكذا من المبلغ للخيالة ، سواء ذهبت إليها أو لم تذهب ، وكذا لجمعية الملحدين ، وكذا للصليب الأحمر ، وكذا للأبطال الشيوعيين وكذا مقابل اللحم المطلوب (٢) وهلم جرا إلى أن يسلخه تماماً ولا يترك له على

---

(١) جريدة « برافدا » الروسية ١٥ — ١ — ١٩٤٧

(٢) كل عامل مكلف بأن يقدم إلى الحكومة ثلاثة وثلاثين كيلو من اللحم أو قيمته يوم تصفية حسابه السنوى وذلك ضريبة من جملة ضرائب الدولة الشيوعية التى تمنع الشعب السوفيتى من حق الامتلاك ثم تعامل أفراده كأنهم ملاك .

نعم ، سمح الدستور السوفيتى منذ تعديله البسيط عام ١٩٣٦ لاسرة واحدة بحق امتلاك بضع فراخ وثلاث غنم وبقرة على أن يقدم مالكها للحكومة عن الفراخ بيضها ، وعن الغنم حملانها وأصوافها ونصف كميات لبنها ، وعن البقرة عجلها وثلى لبنها مع العلم أنه ليس بين سكان الاتحاد كله نسبة ٥ فى المائة ممن له القدرة على امتلاك الطيور أو الحيوانات المذكورة . ثم أن هذه الضريبة كانت سارية المفعول قبل تعديل الدستور سنة ١٩٣٦ . إذاً فما معنى مطالبة كل عامل سوفييتى معذب بهذه الكمية من اللحم الذى لم يرهو حتى النصف الكيلو منه طول السنة ، سوى أن الدولة الشيوعية البلشفية تتعمد استغلال الشعوب وامتصاص دمائها بالقوة البوليسية ؟!

الحكومة سوى ربع إيراده على أكثر التقدير ، وأخيراً يأمر الرئيس
وكلاءه بصرفه كذا كيلو من القمح والشعير والذرة بحيث تكفي له هذه المؤنة
مدة سنة على اعتبار ستمائة غرام يومياً ، ثم يخصم ثمن هذه الأرزاق من
المبلغ الموجود له بطرف الحكومة ، فيصرف له استحقاقه إن تبق هناك
شيء من مجموع مرتبه بعد خصم الضرائب المذكورة حتى يشترى به
ضرورياته من الدكان الحكومي ، وشراؤها منه فى الاتحاد يعد معجزة .

هذا الحساب بعينه يجرى مع زوجته إن كان متزوجاً ، وأما من لم
يستطع أداء عمله كما طلب إليه فيحسب له مائتان أو مائة وخمسون أو مائة
يومية أو أقل منها حسب تقدير الموظف السوفييتى الشيوعى . وكيف إذن
لهذا البائس المسكين أن يعيش ، أو يستمر فى ثورته ، أو يستقيم فى حياته ؟ !
ففى مثل هذه الأحوال ، وما أكثرها ، ينصح له رجال الادارة بالاستقراض
من الدولة مبلغاً من المال كي يستطيع الانفاق على نفسه . وبذلك يرتبط مع
الحكومة فى السنة الجارية ، متحملا المسئوليه كلها ، ليؤدى لها عملا عينياً وبلا
مقابل فى السنة المقبلة . ولو بحثنا سجلات قولخوز من قولخوزات الاتحاد
السوفييتى لا نجد فيه عضواً من أعضائه إلا وقد اضطر إلى الاستقراض من
الدولة ، وتصل نسبة هؤلاء إلى ٩٠٪ أو أكثر لأنهم عجزوا كما ذكرت عن القيام
بما طلب إليهم ظلماً ، ولم يستطيعوا أن يستقيموا بأي حال ، فلمنوا النظام
الشيوعى السائد ليجدوا من بعده أنفسهم يتعذبون بين زبانية سيبريا أو
جبال اورال ، وللمكتب السياسي الشيوعي جيش خاص تنظيمه دقيق لا

لا يتصوره العقل وله سلطان واسع لا حد له ، فيكفى من جانبه لقمع حركة أن يؤشر رجاله على البطاقات تأشيرة تحرم أصحابها من الحبوب أو من سلفة الدولة لهم

يقول وليام بوليت سفير الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق فى موسكو ، والذى استدعاه ترومان لأخذ رأيه فى تحديد موقف أمريكا إزاء سياسة العنف السوفييتى الآخذ فى الازدياد ما مضمونه [1] : « إن التشكيلات البوليسية السرية التى سماها القياصرة «اوخرانا» ، ولينين «تشيكا» وستالين « اوغبو » و «أنكافيدى» منشأها مكاتب ايفان السياسية التى كان يسميها «اوبريشنا» . ولأنكافيدى جيش سرى خاص مجهز بأحدث الأسلحة الممتازة يخضع لسلطانه حتى الجيش الأحمر ، وبلغ تعداده قبل ١٩٣٧ مائتين وخمسين ألف وبعده ستمائة ألف جندى فدائى ، وله ميزانية يفوق قدرها ثلاثة مليار روبل . ويضيف بوليت إلى قوله هذا أساليب أنكافيدى الشيطانية فى كيفية مراقبة المفوضيات و القنصليات الأجنبية للحد من نشاط رجالها فى أرض الاتحاد السوفييتى .

حار الشعب فى هذا الموضوع تماما ، وكثيراً ما تكون الحيرة منشأ الابتسامة و النكت ، فكان أفراد الشعب يقولون نكتا لاذعة تبين مدى سخطهم على الدولة وثورة نفسيتهم ضد النظام السائد فى البلاد . وإليكم على سبيل المثال ثلاث نكت عرفت عن أهالى أوزنباش الذين عارضوا

---

(١) « مصير العالم » ، ص ٦٤ - ٦٥ ، المطبوع فى باريس عام ١٩٤٨

فكرة قولخوز ورفضوا تسليم الخيول والآلات إلى الشيوعيين :

وجد أحدهم فى حقل من حقول قولخوز فرساً نحيلة الجسم ، هزيلة القوائم ، تكاد تسقط من شدة الضعف ، فكتب بخطه الجميل لافتة علقها على ظهرها ليلا حيث جاءت على لسان الفرس : « نعم ، سأموت جوعاً ولكنني لن ألتحق بقولخوز » .

وضعت الحكومة السوفييتية ضريبة حتى على الفرخة الواحدة وكلفت مالكها بأن يقدم إليها مائة بيضة سنويا فعلق أحد الناس لافتة فى عنق فرخة ميتة شدها إلى شجرة فى الطريق العام وكتب عليها على لسان الفرخة : « إنى فضلت الانتحار على الاتيان بمائة بيضة كما طلبتها منى الحكومة مع علمها بأنى غير قادرة على ذلك » .

وكتب آخر لافتة أخرى علقها على ظهر كلب أخذ يعدو فى الطريق العام فجاء فيها على لسان الكلب : « إنى ذاهب إلى إدارة قولخوز لتقديم لحمى عن سيدى الذى ليست له الغنم وطلبت منه الحكومة أن يقدم إليها سنويا ٣٣ كيلو من اللحم » .

ستمائة غرام من الخبز لكل عامل ! الأمر الذى يكاد لا يصدقه عقل من عاش فى الرخاء بعيداً عن الاتحاد السوفييتى ، أو من لم يدرس حالة روسيا دراسة وافية . سبق أن ذكرت على سبيل المثال حالة قولخوز فى قرية «جمه علي» الواقعة فى ضاحية من ضواحى مدينة أسكى قريم . لهذه القرية أراض زراعية ينتج منها سكانها البالغ عددهم ألف وخمسمائة نفس ما يزيد على ألفى طن سنويا

على المتوسط ، بينما لا تنال القرية من إنتاجها سوى ثلثمائة وخمسين طنا وأربعمائة كيلو غرام من الحبوب على الترتيب الآتى :

العدد	سكان القرية	كيلو	طن
١٠٠٠	عامل ، وصانع ، وموظف يخصهم فى الجملة ٥٠٠ ر٢٥٥ كيلو من الحبوب بنسبة ٧٠٠ غرام لكل نفر فى اليوم وينقص هذا المقدار إلى ستمائة غرام أو أقل منه بعد الطحن .	٥٠٠	٢٥٥
٤٠٠	بين أطفال وتلاميذ يخصهم فى الجملة ٥٠٠ ر٣٦ كيلو من الحبوب بنسبة مائتين وخمسين غراما لكل نفر فى اليوم وينقص هذا المقدار إلى مائتى غرام أو أقل منه بعد الطحن .	٥٠٠	٣٦
١٠٠	نفر بلغوا سن الكبر ويخصهم فى الجملة ٠٠٠ ر١٣ كيلو من الحبوب بنسبة ثلثمائة وخمسين غراما لكل عجوز فى اليوم وينقص هذا المقدار إلى ثلثمائة غرام أو أقل منه بعد الطحن .	٠٠٠	١٣
١٥٠٠		٠٠٠ ر	٣٠٥

يعنى ينال سكان القرية من مجموع إنتاجهم الذى يزيد على ألفى طن سنويا كمية قدرها ثلثمائة طن وخمسة أطنان فقط على شرط أن تكفيهم هذه المؤونة لمدة عام كامل .

وأين الباقى ؟ ! يؤول الباقى إلى خزينة الدولة التى تنفق عن بذخ فى خارج الاتحاد السوفييتى لتدعيم الكومنفورم ، بينما تمتص فى الداخل دماء القرميين والشعوب المستعبدة الأخرى لتحطم مقاومتها وتسيطر على أهلها بهذه الطريقة المنكرة وتجبرهم على مد أعناقهم من تلقاء أنفسهم إلى المقاصل الشيوعية آجلا أو عاجلا . هذه هى كمية الخبز التى تصرف لكل شخص فى روسيا مع خصم قيمتها من مرتبه الذى سلف عرضه فى صحيفة ٧٩ ودعنا الآن نذكر قوة شراء العملة الروسية ومستوى العامل السوفييتى بمرتبه الضئيل التافه حتى يعرف القراء الفاقة والبؤس اللذين يسبح فيهما المواطن السوفييتى

المقدار	نوع الشىء	قيمته بالروبل	قيمته بالزمن ق	ت
كيلو	الخبز الأسمر	٧	٥٥	٢
كيلو	اللحم البقرى	٣٠	٣٠	١٢
كيلو	المكرونة	١٠	١٠	٤
كيلو	السكر	١٥	١٥	٦
كيلو	السمن	٦٤	٤٠	٢٦
كيلو	الشاى المحلى	١٦٠	٤٠	٦٦
كيلو	البن	٧٥	١٥	٣١
كيلو	الصابون	٤٠	٤٠	١٦
عشر بيضات		١٦	٤٠	٦
عشرون سيغارة		٨	٢٠	٣
حلة صوفية للعمل		١٤٠٠	٢٠	٣٤٨
حذاء للعمل		٢٦٠	٢٠	١٠٨
جورب قطنى للرجال		١٧	٥	٧
ساعة يد معدنية عادية		٩٠٠		٣٧٥(١)

(١) « وضع العمال والقرويين فى الجحيم السوفييتى ، لجعفر سيد أحمد قريمر ، ص ١٥

وقد كان الشعب القرمى البائس يسخر من النظام على الرغم من صرامة العقاب الشيوعى ، وكثيراً منهم نفيوا إلى سيبريا لمدة عشر سنوات لأن المهين تشجعوا أن يقولوا إن « البلاد فى ضيق » . ومن جملة الحوادث التى لا تحصى ، ما حدث عام ١٩٣١ لأحد الرؤساء فى مدينة كفه والذى نفى إلى سيبريا لمدة عشر سنوات لأنه خاطب المندوب السوفييتى الذى أوفده الحزب الشيوعى فى موسكو ليرفع إليه تقريره عن سير الأعمال فى الحكومة القرمية وعن رضاء الشعب فيها من عدمه . وبعد أن أصغى الرئيس إلى كلمة المندوب نهض لفوره وخاطبه فقال : — « أيها الرفيق نحن نعمل بلا انقطاع ، ولكنكم انظروا إلى حالى وإلى ما ألبسه ، أنا كالرئيس ، من ملابس ونعال يرثى لها وهى جل ما كسبناه مدة هذه الأعمال المرهقة المضنية » وتأكيداً لكلامه خلع نعله « البلغة » ووضعه على المكتب للمعاينة .

ما ذهب المندوب إلى مركز من المراكز إلا وقد وجد فيه الناس يتذمرون أشد التذمر من الحالة التى أصبحت لا تطاق فى « الفردوس الشيوعى الموعود » وإذا ما واجهوه بابلاغ صوتهم مع بيان خطورة الحالة إلى موسكو أصدرت هذه أوامرها للقبض على المواطنين وإرسالهم إلى سيبريا ليعملوا بمعسكرات السخرة فيها .

جاء عام ١٩٣٤ والضغط الشيوعى ماض فى سبيله على أشده ، ولم يكن للشعب القرمى البائس إلا أن يرنو إلى الآفاق لعله يجد فيها من يرفع معه علم الثورة . فاتصل مندوبوه بمن كانوا يدبرون الثورة من الاوكرانيين

والروسيين والشعوب الاسلامية الأخرى ، فبرقت عين القرم أملا فى تحررها واستقلالها ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

شم البوليس السياسى الشيوعى رائحة الحركة السرية حينئذ ، غير أنه لم يستطع الاهتداء إلى أصحاب الفكرة وزعماء الحركة ، فحصر شبهته على طبقة الأغنياء سابقا والذين كانوا فى حينه من أعضاء الجمعيات التعاونية والزراعية. ثم أصدرت الحكومة القرمية تصريحا بامكانية إقامة التجارة الحكومية الشعبية الحرة على أن يكون التعامل فيها بالذهب . وكانت الميزة فى هذا النوع من التجارة إمكانية شراء الدقيق الاضافى الضرورى من دكاكين الدولة مع قليل من السكر ، وبعض الأقمشة لا غير ، ما دامت القوانين الشيوعية فى تحريم الملكية الفردية نافذة المفعول . بدأت هذه التجارة بانفصال الناس عن قولخوز وكوؤپراتيف واستمرت إلى حين تمكن رجال البوليس من كشف الغوامض بوسائل سرية مستنكرة ، فالمكتب بعد أن استنفد كل ما فى جعبته من سهام الفتنة لجأ إلى إستغلال الابن ضد أبيه أو الابنة ضد والدتها للكشف عن أسرار الاسرة ومن ثمة قبض على بعض الأهالى الذين أحكموا إخفاء الذهب ولم يتصرفوا فيه إلا بدقة وحكمة حارت لهما الادارة الشيوعية .

لجأ رجال البوليس السرى إلى هذه الطريقة المنكرة فى استغلال الاولاد والاحفاد ضد أرباب الاسر بغرض تفكيك أوصال الاسرة ولتمكين الشرذمة الشيوعية من السيطرة على الشعب .. وكانت طريقتهم فيه تبدأ

بإرسال رسول من قبل المكتب بعد منتصف الليل ، كما هو المتبع فى أنحاء روسيا كلها ، إلى منزل المطلوب استغلاله أو القضاء عليه . فيطرق الرسول الباب بشدة تثير الرعب والدهشة بين أهل المنزل النيام وتحطم الأعصاب ، فما يلبث المرء أن يسمع من الداخل صوتاً يطلب التمهل والشفقة والرفق ريثما يولع المصباح ، فيستيقظ مع الضحية أفراد الأسرة صغاراً وكباراً ليودعوه ، وكثيراً ما كان مثل ذلك الوداع الوداع الأخير ، ثم يصحب الرسول المسلح ضحيته المتحطم الأعصاب ، فيشقان فى جنح الظلام الشوارع والطرقات المظلمة دون أن يحس بهما أحد من أهل البلد . والضحية المسكين يتعصب طول الطريق من شدة الانفعالات النفسية العارضة له ويتألم ويصفر ثم يراجع ذاكرته ويضغط عليها ليتيقن فى نفسه من ألا يخونه ذهنه فى ذنب ربما ارتكبه عن غير قصد ، ولكنه لا يجد لنفسه خطأ ارتكبه وهو فى وعيه لا عن تعمد ولا عن غيره . وعند ما يصلان إلى إدارة المكتب يأمره الرسول بالوقوف فى ركن من أركان الردهة المرهبة بين الحراس وفلاسفة الأمن ، ثم يؤذن له بالمثول أمام الرئيس فيتبع الدليل حيث يتجه . وعند المقابلة لو بدأ الرئيس كلامه بالسخط عليه والصياح فى وجهه قل وعلى المسكين السلام ، وإن جالسه وأبدى نصحه إليه فكان المراد من استدعائه الاستعلام عن مدى ما وصل إليه فيما هو مكلف به ، أو طلب إليه التعاون الذى تفرضه عليه واجبات الامن مع مذاكرة أصول الشيوعية وتعاليمها له وما يبغى من ورائها الحزب الشيوعى من ضمان غرسها فى أرجاء الاتحاد

السوفييتى ، ثم يعرج بالكلام إلى تمرد الناس من غير معنى وبدون سبب لينهى نصحه بالوعد والوعيد معاً ، فيكلفه بخدمة المكتب فى شئون الأمن التى تخص السياسة الشيوعية فى المنطقة التى يعمل أو يعيش فيها ، وبعد ذلك ببضع ثوان يُخرِج من أحد الأدراج إقراراً ويطلب منه التوقيع عليه ويتلخص ذلك الاقرار فى أن الموقع عليه يتعهد بتقديم تقرير أسبوعى أو شهرى عما يجرى من الحديث بين أعضاء أسرته ، وعما يدور فى خلد من يتصل بهم ، وعن أفكار أعداء الشيوعية ، وعن الأشخاص الذين يملكون الذهب ، و ، و ، الخ .

وهكذا يبدأ الشيوعيون فى إفساد الجو الاجتماعى ويفسدون أخلاق الشبان ، لأنهم لو امتنعوا قضى عليهم آجلا أو عاجلا باعتبارهم مناوئين للمذهب الشيوعى ونظامه القائم ، وإن وقعوا عليه سئلوا عن تقاريرهم ونوقشوا فيها . لذلك تجد ، أيها القارىء الكريم ، التجسس والفوضى والنميمة قد ضربت أطنابها فى القرم وأرجاء روسيا كلها لا بين أفراد لاتصلهم القرابة بل الوالد والوالدة يخافان من فتنة أبنائهما عليهما أو يخشيان بعضهما بعضاً . وهكذا ذهبت فيها سلامة الأسرة بعيداً عن النظريات الاسلامية والدينية على وجه عام ، دون أن يكون للاسرة رباط يربط بين أعضائها فى دولة شيوعية بلشفية اعتبرت الاباحية من كرامتها الشاذة .

مَثَلٌ من آلاف الأمثلة أسوقه إلى القراء الكرام ليعرفوا مدى توغل سيطرة المكتب السياسى على حياة الأسر . كانت فى باغجه سراى

أسرة رزقت بأولاد منهم إبن فى الثامنة من عمره ، وأخذ يتردد على المدرسة وصدر منه يوماً تصرف أغضب والده فأسرع الاب إلى تأنيبه وتأديبه ولقنه جنسيته وديانته ، ولما تمرد الطفل ضربه على ظهره بخيزران بكى لألمه الابن ثم سكت ، وفى صباح الغد ذهب الصغير كعادته إلى مدرسته وسمع فيها نصيحة مدرسة تلقن تلاميذ الفصل كلمة خلاصتها أن لهم حقاً فى شكاية الوالدين أو الاقرباء إذا ما ضربوهم ، أو قالوا شيئاً يجرح قلب المدرّسة أو المدرسة ، أو بابا ستالين ، أوالشيوعية ، أوشكايةمن يصلى منهم أويصوم ، ولكل تلميذ مبلّغ جائزة مختارة ، و ، و ، الخ .

فرجع الطفل إلى منزله مساء وقص على أبويه ماسمعه فى المدرسة فارتمدت والدته دون أن تشعر ذلك للطفل الذى أعقب حديثه برفع سبابته : « حذار ياوالدى أن تمسنى مرة أخرى ، فسوف أشكوك إلى مدرستى » . هاج الوالد وبدأت الوالدة تبكى وتضرب إبنها بكفها وانحدرت دموع رب العائلة وسالت على وجنتيه وهو أشد تألماً لهذه الحالة التى كان مثلها سبباً فى بؤس الكثيرين الذين ذهبوا ضحايا أبناء ربتهم المدارس الشيوعية .

كانت الاغنية القومية ممنوعا ترنيمها فى وطن قومى ، وقد قبض فى القرم على كثيرين ، وحكم على كثيرين ، ونفى كثيرون بسبب ترنيمهم للاناشيد القومية ، وعلى سبيل المثال أورد لكم هنا ما حدث لعشرين شاباً فى قرية دميرجى حيث اجتمع الشبان بمناسبة حفلة زفاف ، وغنوا فيها أغنية قومية ، وعلى أثر ذلك ألقى البوليس السياسى القرمى فى الليلة التالية

القبض على العشرين وحكم القاضى باعدام السيد قورت بدين رمضان وفق مادة ٥٨/١٠ من قانون الجنايات ، ثم استبدل هذا الحكم بعد المساعى الكبيرة بالأعمال الشاقة الأبدية ونفى الباقون عن بلدهم .

والآن تصوروا أيها الاخوان ، حالة الضنك المعنوى والنكبة المادية المستمرة فى البلاد . لقد ذهب عدد لا يحصى من الضحايا الذين بطشت بهم براثن البوليس السياسى ، حيناً بحجة تقوّل طفل جائع يغزو الشيوعيون قلبه بأنواع من الطعام مع إجبار والده فى آخر السنة على تحمل مصاريف الطعام من حسابه السنوى الذى سبق ذكره فى غير هذا المحل ، وحيناً بحجة معلومات وردت إليهم فى تقارير أنكافيدى ووكلائه المندسين بين عامة الناس وإن كان مثل هؤلاء الوكلاء كمثل ربان موعز باغراق سفينته وسط المحيط ليغرق معها الركاب ثم يلحقهم هو الآخر عن غير رغبة .

هذه الحالة من الضغط مضت تقوى من عزيمة الشعب فى تربية روح الانتقام وجعلته ينتظر بفارغ الصبر ساعة وقوف الشعوب المستعبدة كتلة واحدة فى وجه موسكو الظامئة لدماء الأبرياء . إلا أن الحظ السيء لم يلازم هذه المرة القرم فقط بل شمل الشعوب جميعاً بعد أن كشف النقاب عن وجوه الجيوش السرية الراغبة فى القيام بالثورة فى الاتحاد السوفيتى . فبدأت موسكو تحصد فى كل ركن رجال المقاومة ، وألقت القبض على الماريشال توخاتشفسكى وحوكم هو وزينوفييف وبخارين وغيرهم أمام محكمة عليا عقدها الكرملين ، وبعد القضاء عليهم إستمرت أعمال التصفية بحجة تطهير

« الذيول » لغاية ١٩٣٧ ، واضطر ستالين أثناءها تهدئة لخواطر الشعوب إلى مراجعة الدستور السوفييتى وتعديله قليلا لمظم جيش المتذمرين الذين أثاروت الصحف العالمية حينئذ موضوعهم إثارة عنيفة .

قتل رئيس جمهورية القرم الرابع إلياس طارخان عام ١٩٣٧ بعد أن ظل فى الرياسة سبع سنوات متواليات على الظن بأنه من رجال موسكو ، وقتل معه من كان حوله قتلا وحشياً للحصول على معلومات سرية تتصل بشأن المؤامرة على موسكو ، ولكنهم ظلوا يقاومون ، فماتوا وماتت معهم الأسرار دون أن تتسرب من جانبهم . وقد قال رئيس الجمهورية لجلاديه قبيل إعدامه : « أيها الروس ! أيها الزبانية ! إنكم تريدون إبادة الشعب القرمى ، ولكن الله سينتقم له منكم يوماً وليس ذلك ببعيد » .

وأتى الروس من بعده إلى الرياسة بمنياريف ليختفى هو بدوره كخامس رئيس للجمهورية القرمية .

وأما الدستور الستالينى فقد امتاز عن سابقه باعطاء المواطنين السوفييت حق امتلاك منزل وبقرة وثلاث غنم وعدة فراخ وحديقة صغيرة بشرط ألا تزيد مساحتها على فدان مع فرض ضريبة خاصة على كل مما ذكر . والعامل السوفييتى يجب عليه أولا أن يدخر مبلغاً من المال حتى يكون أهلا لشراء ذلك وهذا فى روسيا من المستحيل ، وإن فرضنا أنه حصل عليه بأية وسيلة قانونية كانت أو غير قانونية واشترى منزلا وحديقة تفرض الحكومة على مالكهما ضريبة خاصة تقدرها الادارة الشيوعية . وإن استطاع أن

يشترى بقرة فعليه أولا دفع ضريبتها علاوة على تقديم ثلثى كمية لبنها إلى الحكومة ، وإن ولدت عجلا فعليه أن يذهب لفوره إلى الادارة لتسجله ، لأن العجل للحكومة لا للعامل . وإن أراد ذبح البقرة ، وهو مالكها ، لا يملك ذلك إلا باذن خاص ، وبعد ذبحها عليه أن يقدم كمية معينة من لحمها مع جلدها إلى الحكومة ، كما لا حق له فى بيعها أيضاً ، وكذا بالغنم مع ضريبتها ولبنها وحملانها وأصوافها وجلودها وبيوعها ، وأما الفراخ فعلى كل منها ضريبة مائة بيضة سنوياً مع المسئولية فى ذبحها .

منحت هذه الحقوق فى الدستور المعدل فى أواخر عمليات التطهير الواسعة النطاق فى الاتحاد السوفيتى بأمل تهدئة خواطر الشعوب والتخفيف من حدة الأهالى الثائرين الحانقين الحاقدين على نظام النار والحديد ، وعلى نظام سياسة التجويع ، وعلى نظم المكاتب السياسية ، وعلى الجمعيات الالحادية الاباحية فى صفوف الجيش والمدنيين . ومع ذلك لم يأمن الأهالى يوماً جانب موسكو كما أنهم ما اعتقدوا فى حسن نياتها ، بل ظلت كل أسرة تتذكر شهداءها ، ولم يبق أمام البلاد إلا أن تنظر إلى الآفاق نظرة الاستغاثة وتطمع فى مساعدة العالم الخارجى ليساعدها على تقويض أركان الدب الروسى .

كانت القرم والبلاد الاسلامية الأخرى فى الاتحاد السوفيتى أكثر البلاد رغبة فى إنهيار روسيا مع نظامها البلشفى الشيوعى الظالم ، وعلى مرارة حوادث الضغط الاقتصادى والسياسى إنقضت بقية الأيام بل

السنين فى ظلام حالك وراء الستار الحديدى المضروب حصاره على الحقائق المفجعة لسترها عن أعين العالم ، فحُرم الجميع من الجميع ، وسلب الجميع من كل شىء ، بل سلبت من الجميع حريتهم الدينية والمدنية على السواء بحيث لم تبق فى الاتحاد رائحة لما يسميه العالم حقوق الانسان .

ظهرت بين الرجال ولاسيما بعد سنة ١٩٣٧ ، المقاومة السلبية بسبب الضغط السياسى والاقتصادى الجائر ، وأما الأحداث فقد نشأوا فى مدارس شيوعية وتكونت عقليتهم بين أيدى المدرسين الشيوعيين الذين صوروا لطلابهم أن الاتحاد السوفيتى « فردوس » بالقياس للجحيم الذى يعيش فيه العالم الخارجى ! .

والحزب الشيوعى المركزى قد علق من أول وهلة على هؤلاء الأحداث أهمية كبرى باعتبارهم نواة القوة الشيوعية فى المستقبل . ولذلك نرى أن الحزب قد أعد لهم برنامجاً خاصاً فيه مراحل أربع سميت الأولى أكتوبريات ، والثانية بيونير ، والثالثة كومسومول ، والرابعة شيوعية ، فمن نجح فى هذه المراحل الأربع متفانياً فى خدمة الشيوعية دون أن تلتصق به تهمة يعتبرها القانون السوفيتى عيباً ، أدرج إسمه فى سجل الحزب الشيوعى لكى يتمتع من الامتيازات الشيوعية السرية كما يتمتع غيره من رفقائه .

ونظراً لشدة المقاومة السرية الموجودة فى البلاد لا يوافق رؤساء الشيوعية على ضم أعضاء جدد إلى الحزب خوفاً من تسرب الأعداء إلى صفوفهم ، اللهم الا بعد تجربة شاقة طويلة الأمد يطمئن إليها رؤساء

الحزب ، ويستوثقون من العضو الجديد فى جميع النواحى ، ولهذا السبب لم يكن فى سجلات الحزب الشيوعى ، لغاية عام ١٩٤٣ سوى أربعة ملايين وستمائة ألف عضو شيوعى ، يعنى بزيادة مليونين وستمائة ألف عضو على التعداد القديم فى سنة ١٩٣٩ ، ويظل تعداد ١٩٤٣ للآن دون زيادة تذكر خشية تسرب الغرباء إلى صفوف الحزب .

والحزب الشيوعى فى روسيا ترجمته قيادة روسية ، وآلة سلافية ، معضلات ومشكلات ، يسيطر على البلاد باحتكاره لمؤن الشعب وذخائر الاتحاد وكبت الشعور العام . لم تكن يوماً من الأيام فى القرم خاصة وفى الاتحاد السوفييتى عامة حرية الرأى أو الصحافة للتعبير عن الرأى العام. فكل فرد فى روسيا عامل عليه أن يرضخ للأمر ويذعن إليه دون أن يكون له حق النقاش فيما هو مكلف به ، وذلك على أساس النظرية الشيوعية القائلة : « إن الدولة أقدر من الفرد فى تقدير مصالح الاشخاص ولو سلب منهم حقهم فى النقاش » إذ أن مفهوم الدولة فى نظر الشيوعيين هو على نقيض ما يفهمه الديمقراطيون فى العالم ، وعلى غير ما اصطلحت عليه الدساتير العالمية التى تجد أساس الدولة فى إرادة مواطنيها الذين يكونونها فرداً فرداً ، على حين أن الدولة الشيوعية تتكون من إرادة الحزب وحده دون إرادة أفراد المواطنين الذين يُعتبرون فى روسيا أحزمة يتمنطق بها الحزب ، ويتفرع عن بها المكتب السياسى المتربع على عرش السلطان خلف الادارة الصورية المحلية لتشرف منه على سير الأعمال واتجاه الأمور .

وعلى كل فرد فى القرم أن ينطق كما يُلقن ، وأن يعمل بدون تذمر كما يرشده رئيسه ، وألا يتظلم من قلة الطعام ولا عما يصيبه من تفاهة المبلغ أو الحبوب بعد اقتطاع الضرائب المفروضة ، وألا ينتقل من مكان إلى آخر أو من جماعة إلى أخرى إلا ببطاقة خاصة تستخرجها من الادارة الشيوعية الرسمية كما أشرنا إليه سابقاً ، وألا يضع الكاتب تأليفاً أو يقدم المدرس رسالة فى الجامعة إلا بعد أن يستعرض فيه التاريخ الشيوعى وثورة أكتوبر، وألا يطبع ذلك إلا بعد الاستئذان من لجنة المراقبة الدائمة فى المكتب السياسى و، و، الخ.

قولوا وربكم ، أية علاقة توجد بين تأليف طبى ، أو هندسى ، أو ميكانيكى ، وبين تاريخ الشيوعية ، والحزب الشيوعى ، وثورة أكتوبر لو غضضنا عنها النظر فى المؤلفات الادبية . فويل للمؤلف — الرجعى فى اصطلاحهم — الذي لا يعقد فى كتابه فصلا كاملا عما ذكر سابقاً مهما كان نوع الكتاب !

هذا وقد قضى المكتب على حياة الكثيرين من الأدباء ، والمدرسين ، وأصحاب العقول ، والمفكرين باعادة المراقبة بعد مرور سنين طويلة على مؤلفاتهم المطبوعة بتصريح الحكومة نفسها ، ولاسيما بعد كشف النقاب عن أمر الجيوش السرية فى عهد وقع بين ١٩٣٥ و ١٩٣٧ .

قسم الأدباء الشيوعيون لغة القرم الاسلامية التركية إلى ثلاثة أقسام : (يالى بويى — باغچه سراى — وشمالى قريم) تورکجه سى ، بينما

لا فرق بين هذا وذاك ، وسبقت أن تفاهمت بها فى عهد المرحوم إسماعيل بك غاصبرالى كتلة تركية إسلامية تضم أكثر من ستين مليون نسمة ، فجميعهم كانوا يفهمون جريدة « ترجمان » الشهيرة التى ظلت تصدر من ١٨٨٣ لغاية ١٩١٦ ، ويفقهون مؤلفاته ، ويقرءونها فى لغة تركية . واللغة التركية لأتراك العالم هى بمثابة اللغة العربيـة التى تتفاهم بها الكتلة العربية قاطبة ويتخاطب بها العرب أو المستعربون جميعاً مع فارق النطق البسيط فى اللهجات المحلية .

وهجم البلاشفة على ما سعى إليه إسماعيل بك غاصبرالى من توحيد اللهجات التركيـة وتثقيف الشبان بثقافة عصرية بقولهم إن تفانيه فى سبيل توحيد اللهجات ونشر الثقافة العصرية بين الأتراك كانت أحبولة يقصد بها تحضير سوق للرأسماليين فى العالم الاسلامى . وسياسة الهجوم الروسى الموضوعة للقضاء على اللغة التركية أخذت تتسع وتنمو ولا سيما بعد المبدأ الذى نودى به علناً للقضاء على لغة الأتراك وإحلال اللغة الروسية محلها فى المستقبل . بهذا الغرض قسموا لغة القرم التركية مثلا إلى أقسام ثلاثة ، وغيروا ضبطها بحيث يعسر توحيدها ، وذلك بوسائل كثيرة شتى منها إدخال الكلمات والقواعد الروسية فيها .

وقد طرح ألكسندروفيتش على بساط المؤتمر الشيوعى السابع عشر ، وقد كان حينئذ قوميسير المعارف فى القرم ، موضوع تطهير اللهجات المحلية بادخال الكلمات الروسية فيها « طبقاً لما تأمر به أسس الثورة

الشيوعية ! » . ووصل الأمر إلى إتهام من استعمل كلمات تركية بالرجعية والتعصب للقومية التركيـة ، وأما من استعمل فى كلامه اللغة الروسية أو الكلمات الروسية فيمدح ظريفاً مجدداً عظيما ، كما يوصف بأنه أديب قدير يحترم قواعد الثورة ويبجل أسسها . ويسخر الشيوعيون من الكلمات العربيـة والفارسية المستعارة من القديم تحت تأثير الثقافة الاسلامية بحيث يقولون « إن الكلمات العربية والفارسية دخلت فى عهد كان فيه السلطان للحضارة الاسـلامية ، وأما الآن فنحن فى عهد الحضارة الاشترا كية ، ولغتنا لغة الروسيين الذين قاموا بثورة أكتوبر يعنى الثورة الروسية فى سنة ١٩١٧» . وتوصف اللغة الروسية بلغة الثورة والعمال . لذلك يتحتم على كل شعب فى داخل الاتحاد السوفييتى أن يعلمها لأبنائه تعليما إجباريا . وبناء على هـذا الأساس يفرض البلاشفة ترجمة المؤلفات الروسية والأدب الروسى إلى اللغة التركية فرضاً ويأمرون بتدريسها فى المدارس . وقد ذهب هذا فى القرم إلى أبعد حد ، ولا يوجد فيها تقريباً شىء من المؤلفات التركية فى دروس التاريخ والعلوم والـكتب الأخرى ، بينما توجد منها فى اللغة الروسية آلاف مؤلفة كما تعترف بها المصادر الروسية الشيوعية نفسها [1] .

ولم يتردد محررو الروس الشيوعيون البلاشفة فى تطبيق هذه المناهج على القرم حيث قالوا ما معناه : « يجب أن ترتبط جميع المؤسسات العلمية القرمية وشئون علمائها بالمؤسسات العلمية واللغوية الروسية فى موسكو

---

(١) جريدة « يكى دنيا » ٣ ابريل ١٩٣٦

ولينينغراد كما يجب أن تمتزج جهودها بها [١] . ويشكو الروس قلة الدروس الملقاة على تلاميذ المدارس وطلابها باللغة الروسية ، ويلحون على تقوية الآثار والمؤلفات الروسية فى القرم ، ويصرون على ترجمتها . ثم إن أى شخص قام بالاعتراض على هـــــذه المناهج يعد خارجاً على قواعد الثورة الاشتراكية ويعاقب أشد العقاب . وفرض على الشعب بالقوة البوليسية استعمال اللغة الروسية فى مكاتبات الحكومة كوسيلة تمثيل الأتراك ضمن الثقافة الروسية، وقد تعددت التصرفات من هذا القبيل فى سنة ١٩٣٨، وأخيراً اضطر الشعب القرمى إلى أن يقبل بالصيغة الآتية ما أملته عليه إرادة جماعات الحزب الشيوعى فى مجالسها العديدة التى انعقدت بأمر موسكو :

« يجب علينا أن نتقبل الحروف الروسية لضمان رفع مستوانا المدنى وللتقرب من ثقافة الشعب الروسى العظيم ! » . واضطر رؤساء المجالس أن يعلنوا هذا القرار للأمة كما طلبته منهم موسكو . وبينما كانت اللغة الروسية فى القرم تعد من بين اللغات المتساوية التى يتخاطب بها الناس فى الاتحاد السوفيتى أصبحت اليوم توصف بأنها «لغة الوطن السوفيتى العظيم»، وأنها « فى مقدمة اللغات المتساوية فى الاتحاد » .

ورؤساء دول السوفييت ، الذين انتهجوا البرامج المماثلة واستصوبوها بايعاز من الروس ، حملوا فى أواخر ١٩٣٨ شعوب القوقاز الشمالية وشعب القرم على الاقرار زوراً بأن « الحروف الابجدية الروسية تتفق فى وقعها

---

(١) جريدة «ينكى دنيا» ، نسخة رقم ٢٤٤ ، سنة ١٩٣٥

مع الحروف الأبجدية التركية ولذلك رأى الأدباء إستساغة الحروف الروسية وقبولها بدل الحروف اللاتينية التى أقيمت فى دورها محل الحروف العربية فى سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ . وقد فرضت هذه الاستساغة فرضاً على على جمهوريتى القوقاز الشمالية والقرم ، المستقلتين إسماً ، وطبقت من بعدهما على إيديل — اورال وجمهورية آذربيجان وعلى البلاد الاسلامية الأخرى . وهكذا خطت روسيا خطوة أخرى فى تطعيم الثقافة التركية الاسلامية بحقنة من الثقافة الروسية الاستعمارية التى ليست بينها وبين الثقافة التركية أى تشابه أو قرابة ، بل ان الثقافتين على طرفى نقيض بمعنى الكلمة تماماً .

وأكثر من ذلك لم تشأ موسكو أن تترك مسألة تدخلها فى لغات الشعوب المستعبدة عند هذا الحد ، بل أخذ الروس يطبقون حروفاً أبجدية خاصة على سكان كل منطقة من المناطق التى قسموها تبعاً لشهواتهم وهواهم . والمقصد الأول من هذا كله هو زج اللغة التركية فى زاوية الفناء والقضاء عليها قضاء بحيث يعجز بعده الشعب التركى عن أن يتفاهم أفراده وقبائله بلغة واحدة ، والثانى الوصول من وراء هذا إلى أخذ الأتراك بالثقافة الروسية وسهولة توجيههم توجيهاً سياسياً يتفق وشهوات موسكو الاستعمارية .

انتابت بعد هذه التغييرات الأدب السوفيتى فى البلاد التركية الاسلامية ، ومنها أدب القرم عوامل الانحطاط فى صورة تبعث اليأس فى

النفوس وقد اصطبغ فى كثير من عباراته بألفاظ روسية وشيوعية وتعابير سلافية ، بينما اختفت كنوز الأدب القديمة الوطنية القيمة من صفحة الوجود ، وقراءتها أصبحت جريمة يعاقب عليها المرء ، فالتراث الأدبى الذى خلقه العهد البلشفى إنما هو تراث شيوعى محض ومقيد بتعاليم المركسية ـ اللينينية . وعلى الرغم من هذه الحالة السيئة التى وصل إليها الأدب فإن البلاشفة إشتبكوا فى مناقشات حادة مع المحررين القرميين الذين يضيفون إلى تآليفهم روحاً قومية وطنية ويغذون الشعب بها .

وقادة الشيوعيين يصيحون فيها ويقولون : « إن نقابة الكتاب السوفيتية القرمية لا تعمل للشيوعية ، وقد ظهرت هنا أيضاً الغفلة والحماقة وعدم الاهتمام بالموضوع السياسى وكما كثر الاعتداد بالنفس وبانت فيها عناصر الرياء »(١).

يرمى البلاشفة من وراء كلامهم من هذا النحو للوصول إلى النتيجة الحتمية المؤدية إلى : « إستئصال الروح الوطنية البورجوازية » ، و« القضاء على من ينشر فى الأدب الروح القومية البورجوازية »(٢) . وهذا هو ما جاء فى كلامهم بعد أن أعلنوا مراراً أنهم واثقون من انتشار الشيوعية بين الناس انتشاراً كاملا ، ثم يأتون من بعد كلامهم هذا ليحلوا نقابة كتاب القرم ، ويطردوا منها كثيرين ، لتقديمهم إلى المحاكمة

---

(١) جريدة « يكى دنيا » ، ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٨

(٢) جريدة « يكى دنيا » ، ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٨

مجحة تدخل «عناصر تعمل فيها للنهضة القومية والوطنية، وهم من أعداء الشعب» حسب تعبيرهم . وقد اتهم بتهمة الرجعيــة كثير من الأدباء الذين عدوا مسئولين عن انتشارها بين عامة الشعب، وصودرت مؤلفاتهم المصرح بطبعها، التى كانت فى ظاهرها غير مجيزة وأما فى باطنها فكانت ضد البلاشفة، وقدمت هذه الكتب مع مؤلفيها إلى لجنة المراقبة حيث أعيدت الرقابة عليها كلمة بكلمة وجملة بجملة ، واستهدف أثناءها المؤلفون لمناقشات حادة ظالمة [١] .

وليس للأدب السوفييتى هدف سوى خدمة المبادىء الشيوعية وغاياتها التى يرمى إليها الحزب الشيوعى وتتمنى موسكو تحقيقها على أكمل وجه . إن البلاشفة على الرغم من مساعيهم البوليسية يصرفون غاية الجهد المنطق لدعوة العناصر الوطنية لاستساغة الأدب السوفييتى البلشفى ومع ذلك فكل محاولة من جانبهم مازالت تذهب سدى . وأما النتيجـة المباشرة التى يستخلصها المرء من كل هـذا التطاحن القائم فهى إن البلاشفة يجدون أمامهم الأدباء الوطنيين ومشايعيهم الذين يناضلون من أجل النهضـة القومية بكل ثقة وحماسة ونشاط .

يفتخر البلاشفة فى ميدانى العلوم والمعارف العامة بازدياد عدد المتعلمين مع أن جرائدهم على أنواعها ملأى بالشكاوى المرة مثل : « الفوضى تسود المدارس ، وعدد المدرسين قليل ، والمدارس لا تعمر ، ولا توجد فيها الكتب » وفضـلا عن ذلك لو لاحظنا التدريس المشبع بالروح الشيوعية فى اللغة

---

(١) مجلة « أمل بجوعهسى » رومانيا ، كونستانزا ، فبراير سنة ١٩٣٨

الروسية ، فالتزايد الكبير الذى يدعيه الشيوعيون من حيث الكمية انحط ونقص من حيث الكيفية إلى حد كبير .

يستفاد من الصحف البلشفية نفسها أن الشيوعين يعملون من وراء الستار فى ميادين الموسيقى ، والاذاعة ، والمسارح ، و الفنون الجميلة ويسعون إلى تحقيق كل ما من شأنه خدمة موسكو ، فبعض المقتطفات من المقالات المنشورة فى الصحف القرمية التى تذكر فيما يلى تقدم على الرغم من مضى زمن عليها دليلا كافياً على تنازع البلاشفة الشديد مع الوطنيين (١) .

أما فيما يختص بالفنون الجميلة : « فتلا أحد أعضاء جمعية الفنون الجميلة بمدينة آقمسجد تقريراً فى الاجتماعين الأخيرين اللذين تم عقدهما فى بناء الجمعية المذكورة ، ودار فيهما الكلام حول نشاط جواسيس الأجانب فى أرض السوفييت ونوقش هذا التقرير بين الأعضاء ، وأثبت الخطباء الذين تكلموا فى الجلستين استمرار الروح الوطنية بين أعضاء الفنون الجميلة ، وضربوا أمثلة كثيرة على صحة وجود هذه الروح فى بنيتها » .

وأما فيما يختص بالحياة المسرحية : « فان الناس يتحينون الفرص ، ويستفيدون من إهمال أسس الثورة وقواعدها ، ويحاولون بواسطة الحياة المسرحية أن يغرسوا فى نفوس الغيورين من الأتراك فكرة الوطنية البورجوازية والوطنية المثالية التركية .

---

(١) مقال عنوانه « القرم فى سنة ١٩٣٧ » ، إقتبسته من الصحف البلشفية بمجلة « أمل بحرعمى » ، فى نسختها الصادرة فى فبراير سنة ١٩٣٨ ، بكونستانزا ، رومانيا .

وأما فيما يتعلق بالراديو : فيحاول الرجعيون بنظرياتهم الوطنية في هذا الميدان أيضاً أن يفرقوا بين الحضارة التركية والحضارة الروسية » .

وفيما يتعلق بمسائل التراجم : « حاول الوطنيون أن يأخذوا على عاتقهم مسائل التراجم الروسية لكيلا تنتشر هذه بين عامة الناس . وأخيراً عند ما أدركوا صعوبة المسألة وخطورتها غيروا خططهم إزاءها ، وأدخلوا عليها في هذه المرة كثيراً من الكلمات العربية والفارسية ، وكما أراد الوطنيون البورجوازيون أن يسلكوا في كتاباتهم أسلوب إسماعيل بك غاصبرالي الذي كان من أعظم الشخصيات القومية تفانياً في خدمة القضية التركية ، وكانت هذه حركة تركية مضادة للسياسة الماركسية — اللنينية » .

هذه المقتطفات التي نقلت بعينها من المطبوعات الشيوعية البلشفية تؤكد لنا أنه على الرغم من الشدة التي يستعملها البلاشفة ضد الشعب عامة وضد الوطنيين المتعلمين خاصة وعلى الرغم من الخناق الذي يضيقه البلاشفة عليهم ، فلا زال هناك من يتحداهم للجدال والنضال في ميدان الثقافة ، وتجرى نفس الحالات في ميدان الموسيقى وميدان المطبوعات البلشفية المنتحلة المقلدة وغيرها .

سبق أن ذكر في البحوث المتقدمة إعدام ولي إبراهيم رئيس جمهورية القرم ، وزملائه في سنة ١٩٢٨ رمياً بالرصاص بتهمة أنهم كانوا وطنيين ، ونفي إلى اورال خمسة وثلاثون ألف تركي بدون ذنب ارتكبوه سوى أنهم أحبوا وطنهم مثل رئيسهم ودافعوا عن كرامته .

وخلف ولى إبراهيم فى رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية القرمية محمد قوباى . وكان سكان قريتى صوداق واوسكوت رفعوا علم التمرد عام ١٩٢٩ فى شهر ديسمبر ضد الشيوعيين الذين أرادوا تكوين الجماعات التعاونيـة والزراعية وتطبيقها فى القرم ، وطردوهم طرداً ، وكان رئيس الجمهورية محمد قوباى الذى جاء من بعدهم لتهدئة خواطر القريتين الثائرتين أستقبل بنفس السخط والكراهية التى قوبل بها الشيوعيون وطرد بنفس الثورة والغضب.

وجاء فى جريدة « برافدا » الروسية الصادرة بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٢٩ بمناسبة محاولات السوفييت الخاصة بانشاء الجماعات التعاونية والزراعيـة ، جاء بخصوص الحد من كراهة الأتراك للمشروع الشيوعى البلشفى : « نحن كانا أتراك . وليس بيننا أى اختلاف فى الطبقات ، والقرم بلاد الترك ! . بعد هذه العبارات إستقبل الشعب الموظفين الذين حاولوا إنشاء الجماعات التعاونية والزراعيـة . ولا تمسوا أراضى الغير ، فان الملكية مقدسة . بمثل هذا الكلام كان يخاطب رجال الدين القرويين ، وكانوا يقولون أيضاً : لا تنشئوا الجماعات التعاونية والزراعيـة فانكم تخالفون بانشائها تعاليم القرآن وتغضبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأشد الأمور خطراً علينا هى التشكيلات الحزبية المحلية التى تنصب من نفسها حامية مصالح القرى ، وقد رد أعضاء الحزب المحلى على أوامر الادارة الشيوعية بعدم وجود أغنياء فى هذه المناطق ، وقال هناك أناس متوسطى الحال يشتغلون بأعمالهم الخاصة ، وليس فى أهالى يالتا أى استعداد أو ميل لانشاء الجماعات التعاونية

والزراعية ، ولا معنى لانشاء الجماعات التعاونية الجديدة ما دامت القديمة لم تكلل بالنجاح » .

تثبت لنا هذه الوقائع كلها مدى النفور العظيم الموجود فى قلب الشعب ضد الشيوعية التى تحاول بكل قوتها أن تستأصل شأفة الحياة القومية والاقتصادية من روحه دون أن تقدر صلابتها التى استمدها المسلمون من الثقافة الشرقية الاسلامية .

كان محمد قوباى وزع الدقيق على من أصابتهم محنة الجوع [١] فعد البلاشفة هذا العمل جناية وجرماً فضلا عن أن موسكو حالت دون مساعدة محمد قوباى للحركات الاجتماعية فى القرم ولشعبها ، فأثر هذا الموقف الموسكوفى فى نفسية رئيس الجمهورية تأثيراً كبيراً وحمله على أن يلفظ ضد المستعمرين الروس قوله التاريخى : « ياموسكو اللعينة ، إنك تبيدين جمهورية القرم » ، فكان كلامه هذا سبباً فى قتله كسلفه ولى ابراهيم على يد الكرملين .

أستدعى محمد قوباى إلى موسكو أيام محاكمة المارشال توخا تشفسكى

---

(١) على الرغم من أن انتاج محاصيل الحبوب يمكن أن يسد حاجيات كل جمهورية من الجمهوريات فانه لم تمض سنة من السنين إلا وقد حدثت فى الاتحاد السوفيتى مجاعة ومات بسببها الناس . أليس من الغرابة بمكان أن يضع الطبيب الشيوعى الموعز الذى يأتى للكشف على المتوفى ، قطعة من الخبز بجانب ضحية الجوع حتى لا يقال إنه مات جوعا ؟ ! ! لقد كثرت الغرائب من هذا النوع — والله شاهد على ما أقول — ما بين ١٩٣٠ — ١٩٣٥ وتوفى الناس وبسبب هذا الضغط المادى المستنكر الذى عمدت إليه موسكو كاحدى الوسائل التى تمكنها من السيطرة على الاتحاد السوفيتى الثائر فى نفسه .

السياسية ، وبدأت الصحف الشيوعية البشلفية أن توجه إليه كلمات مثل « قومى ووطنى » واتهمته بالخدمة للقضـــية التركية والعمل لها. وبعد أن سافر محمد قوباى إلى موسكو لم تشر إليه الصحف القرمية بشىء عن قريب أو بعيد كما لم تعلق عليه، بل أمسكت حتى عن ذكر اسمه إمساكا تاماً.

وخلف محمد قوباى فى مركزه بالرياسة إلياس تارخان أحد أتراك القرم.

وقد زج البوليس الروسى السياسى بالياس تارخان رئيس الجمهورية، وحسام الدين رئيس الوزراء وتشاقار، الذى كان أكثر الناس تحمساً للشيوعية فى غياهب السجون بتهمة الوطنيـة ، ولم يصل عن البعض الآخر الذين اعتقلوا معهم أى خبر، كما اتهمت فى نفس الوقت السـيدة ربيعة بكير التى كانت من أذكى نساء القرم وظلت وزيرة للصحة مدة طويلة واعتقلت هى الأخرى بتهمة الوطنية.

ثم جاء من بعده لرئاسة اللجنة التنفيذية المركزية القرمية السيد منياريف.

ويطبق البلاشفة فى القرم و آذربيجان و التركستان وايديل - اورال وفى البلاد الأخرى الخاضعة لاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية نفس الشدة و الظلم و الابادة و التنكيل و الاستغلال السياسى الذى ورثه البلاشفة من العهد القيصرى القـديم. واليوم يكفى للمرء أن يسـتعرض عناوين المقالات التى نشرتها المطبوعات القرمية حتى يأخذ فكرة عن سياسة البلاشـفة فى جمهورية القرم وهى مثل « يجب الصراع العنيف ضد :

البورجوازية » ، و « الأوكار الوطنية فى المدارس التركية » ، و « خطر البورجوازية الباقية آثارها فى مسرح الحكومة التركية » و ، و ، الخ .

وأصبحت الاعتقالات والاقصاءات التى تحدث كثيراً فى أثناء تطهير الحزب فى القرم من الحوادث العادية .

وجاء بعد رجالات الحكومة دور كتاب القرم وشعرائها وموسيقيها وفنانيها ومؤلفيها فى الدراما . مثلا طرد عمر ايبجى ، وهو من أشهر أدباء القرم ، من نقابة الكتاب أشد الطرد . واعتقل بجانبه الكثيرون من أمثال أديب ، و إرغاد قدير ، و د كرمنجى ، وآلتانلى بتهمة الوطنية . وكان إرغاد قدير هذا ذلك الأديب الموهوب الفقير الذى نشأ فى صباه على الطريقة التى يعنيها البلاشفة لكل فرد ، وكان حقاً ممن يكسبون قوتهم بعرق جبينهم . واعتقل رجال يَزوف فى المسرح القرمى ، وألقى القبض على السيد بقال مدير المسرح ، والسيد درويش رئيس القسم الفنى فيه ، والسيد رفعت ذلك الملحن الشهير ومنشىء اوبرا القرم ، وضم إلى هذه المجموعة رجال آخرون كثيرون ، فزعمت موسكو على أثره أنها اهتدت إلى جميع الوطنيين من بين المحررين القرميين ، لذلك نقلت الموظفين والأدباء الذين كانوا يعملون فى الصحف التركية فى « يكى دنيا » ، و « ياش قوت » ، والمجلات العلمية الشهيرة مثل « ليتراتورا و كولتورا » ، وغيرها إلى حيث لا راءى لها ، وصودر كتاب دميرجى الصحفى القرمى العظيم بأجزائه الأربعة بحجة أنه وضعه بروح وطنية بورجوازية رجعية ،

واعتقل السيد غفار ، و السيد مصنف ، والسيد بوياجى ، وغيرهم من الذين كانوا يعملون فى مطبوعات الدولة بتهمة نشر الروح الوطنيـة بين النـاس ، وكمـا يوجدين أسـاتـذة المـدارس الابتدائيـة ، و الثانوية ، والعالية كثيرون ممن اعتقلوا بتهمة الوطنية ونشر الروح القومية بين تلاميذهم وطلابهم و مستمعيهم . وحاولت السلطات الروسية اقتفاء آثار التشكيلات الوطنية فى صفوف الجمعيات التعاونية والزراعية وتهتدى إليهـا ، ولكن محاولتها كلها ذهبت سدى ، لذلك كانت الاعتقالات و عقوبات الاعدام والنفى و الاقصاء و التعذيب جارية على أشدها فى البلاد ، كما صرح بذلك البلاشفة أنفسهم ، لأن الروح السائدة و المتبلورة فى القرم كانت تعمل دائباً على فصلها عن اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية بالتعاون مع الشعوب المستعبدة الأخرى فى الاتحاد السوفييتى .

وأما الكلام عن الاضطهاد الدينى الموجه ضد المسلمين فى عهد القياصرة ، و ضد الجميع فى عهـد الشيوعيين ، فمما يثير الدهشة والرهبة فى نفوس المؤمنين وغيرهم . كان الاضطهاد فى عهد القياصرة ناشراً جناحيه فى كنف الموظفين الروسيين « ريكاز » ، و المبشرين المسيحيين بتأييد رسمى من الدولة القيصرية ، لذلك لا يعتبر الاضطهاد الدينى فى روسيا أمراً حل بها حديثاً إنما الاضطهاد الشيوعى المرعب الذى هز العالم الاسلامى والانسانى قاطبة ضرب من برنامج مواصلة القضاء على الدين المحمدي مع عظيم الفارق بين اضطهاده واضطهاد الدين المسيحى فى روسيا الحمراء .

رفع هيرماهان ، أسقف القازان ، فى بداية العصر السادس عشر تقريراً إلى أعتاب مولاه القيصر تيودور يسرد فيه بلسان محرق بالغ الأثر حوادث فشل التبشير المسيحى ، وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلى الاسلامى وجرأتهم فى إقامة شعائرهم الدينية بمساجد أقاموها من جديد . وبناء على هذا التقرير الأسقفى قام القيصر المذكور بأخذ تدابير صارمة ضدهم ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم مع إجبارهم على الاقامة فى حى أنشىء خاصة لهم بمدينة القازان تحت إشراف أحد أمراء الروس ، ثم كُلف الشبان تكليفاً بالزواج من روسيات والبنات من روسيين ،ومن خالف الأمر كان مصيره إلى السجن وتعذيبه فيه بوضع القيود فى يديه ورجليه وضربه بالسياط وكما لوكان هذا التعذيب غير كاف لاشباع نفسية القيصر أمر فوق ذلك بهدم المساجد التى بنيت من عهد قريب [illegible] وبطرد المسلمين من مدينتهم ونفذ له ما أراد (١) .

دامت الحروب الطاحنة الدامية بين المسلمين من جهة والمبشرين الروس الذين أيدتهم الدولة القيصرية من جهة أخرى ، وكان فيها سلاح الأولين قوة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم بينما كان الأخيرون يستغلون القوة المادية على اختلاف درجاتها وأنواعها . وقد وصف ذلك م . بينه كين المؤرخ الروسى وقال فى تأليفه (٢) : « لم يقاوم المسلمون فى هذه الديار المسيحية مقاومة

---

(١) « وثائق أرخيوغرافتشكى أكسبه ديتسيه » المجلد الأول ، ص ٣٥٨ نقلا عن تأليف « القازان » لمؤلفه عبدالله بطال .(٢) « القازان فى ماضيها وحاضرها » ص ١٢٦

عنيفة فقط بل انتشر الاسلام بين الوثنيين الكثيرين وبق الأرثوذكس أنفسهم أمام خطر انتشار هذا الدين الاسلامي ومقاومته » .

يقول فيرسوف [١] فى كلامه عن التبشير : « إن قوة الدين الاسلامى وصلابته فى العقيدة فى هذه البلاد ، إنما تستمد من سلطان أهل الدين على الشعب ونفوذ الشيوخ عليه . ليس مصدر هذه القوة فى أثر الوعظ على الناس فى أماكن خاصة فقط ، بل مصدرها الأساسى فى أثر الارشاد بالمساجد والجوامع ، لذلك رئى من المصلحة العامة هدم هذا الركن الاساسى فى الاسلام [١] » .

ثم واصل المؤلف نفسه شهادته فى محل آخر من تأليفه فقال ، فى صحيفة ١٢٧ بعد أن عدد مظالم الدولة الجائرة ضد المسلمين فى العصر الثامن عشر : « ظلت الحكومة القيصرية تسير على خطتها بالعزم والغيرة لغاية عام ١٧٥٥ ، ولكن ما أصابها من نجاح بين الوثنيين لم يصبها بين المسلمين اطلاقاً بحيث لا نصائح المبشرين أثرت فيهم ، ولا الامتيازات الممنوحة لمن أجبر منهم على اعتناق المسيحية صلحت ، ولا الضرائب الفادحة التى كلف المرتدون بدفعها نفعت ، ولا هدم المساجد أرعبت النفوس ، ولا المضايقات الكثيرة الأخرى آلمت نفوس أولئك الناس . فالوثنيون الذين عاشوا معهم إعتنقوا المسيحية، بينما المسلمون ظلوا مخلصين لدين آبائهم وعقيدة أجدادهم » .

---

(١) « أهل القازان » ص ١٧٩ نقلا عن « القازان » لمؤلفه عبدالله بطال ص ١٠٩

كان الدين فى روسيا آلة لسياسة الدولة يخضع لحكمها رجال الكنيسة حيناً ، ويثورون عليها طوراً . وقد بلغت هذه الثورة ذروتها يوم أن ألغى بطرس الأكبر سلطة الكنيسة الروسية ، ولم يسمح بانتخاب البطريرك بعد وفاة أدريان ، وقال المستر بونجفوسكى فى تأليفه(١) : « إمتاز عهد بطرس الأكبر بأمواج اضطهاد جديد إكتسحت به الدولة الدين وهجمت على سلطان الكنيسة ، وحينما عارض رجال الدين خططه التى أدخلها قهراً قام يحارب الكنيسة والبطريركية ، ولم يوافق بعد وفاة أدريان فى سنة ١٧٠٠ على انتخاب من يخلفه ، ولكن فى عام ١٧٢١ أمر القيصر ببناء معبد ليكون مركز إدارة الكنيسة فأسماه السلطة الروحية والتى سميت فيما بعد المجلس الدينى المقدس » .

لم يتشجع رجال الدين يوماً للخروج على رغبات الدولة الروسية الطامعة فى التوسع على حساب الدول المجاورة . كما ورث ساسة الروس من أسلافهم فكرة تحكم الدولة على الشعب مع استبداد إدارتها ، وتنفيذ ما نرغب فيه مهما كانت عاقبة الأمور عملا بالمبدأ القائل « الغايات تبرر الوسائل » . لذلك ما راعوا قطعاً طبيعة الوسائل التى استعملوها ولجأوا إليها كلما قاموا بتنفيذ خططهم . أقام الروس إمبراطوريتهم على أنقاض دول « أورآسيا » ومقاطعاتها الجليلة الواسعة التى نصبوا فيها حكامهم الذين ما عرفوا يوماً للانسانية معنى . وزيادة على ذلك فقد منعت موسكو اشتراك

(١) « نحو فهم روسيا » الطبعة الانجليزية ، القدس ١٩٤٧ ، ص ١٠٨

السلطات الدينية مع الديبلوماسيين الروس فى تقرير مصائر الشعوب المجاورة لكيلا تمانعها فى استعمال السبل المشروعة وغير المشروعة لاخضاع البلاد المظلومة وإبقاء حدودها الجديدة فى نطاق الامبراطورية بالحديد والنار ، ويفرض على أهلها مبدأ « سلافيزم » . والروس الذين لهم ضمائر حية لقد تكلموا كثيراً على موقف موسكو الجائر وأخذوا على رجال الدين الساكتين بعد أن لقبوهم برجال « نعم » .

كتب المستر بونجقوسكى ، فى ص ١٠٧ من تأليفه السابق الذكر ، استناداً إلى الخطاب الذى بعثه البطريرك نيكون إلى استانبول بشأن خضوع رجال الكنيسة الى إرادة القيصر فقال : « حينما يأمر القيصر باجتماع المجلس الدينى يلبى المجلس لفوره دعوته فيعقد الاجتماع المطلوب، وعند ما يأمره بانتخاب أو تعيين أسقف جديد يؤدى المجلس عمله كما طلب إليه القيصر ، وإن أصدر أمره بمحاكمة شخص أو الحكم عليه فيتم له ما يريد مع حرمان المحكوم عليه من حقوق الكنيسة » .

فى الواقع لم يكن يدور فى خلد القياصرة بالزام السلطات الدينية بالتمشى مع رغباتهم سوى موضوع إقامة إمبراطورية لها قومية روسية وثقافة سلافية موحدة . وقد عملوا لها دائبين فقسوا على الشعوب الاسلامية وغيرها من غير رحمة فى سبيل الوصول إلى أهدافهم ، وقد جاء فى كتاب المستشرق المجرى راشيونى ، الاستاذ السابق فى جامعة أنقره وعضو الجمعيات العلمية الاوربية [1]

---

(١) كتاب « الأتراك فى العالم » باب الأتراك فى الاتحاد السوفيتى .

... إنه لم يكن القيصر بوريس غودونوس من أصل تركي فقط (١٥٩٨ — ١٦٠٥)، بل كانت الأسرات الروسية الارستقراطية الكبرى إلى عهد قريب تركية الأصل، ونسرد هنا على سبيل المثال أسماء بعضها مثل أرتيسباشف، و رمسكي قورصاقوي، و بولتين، و نارشكين، و فليامنوف زرنف، و خانكوف، وصابروف، و بيسكوف، ونشيريكوف، و كوكوشكين، و بولغاكوف، و قوراكين، و يوسفوف، واوفاروف، و درزافن، و أبراقسين، و راسطوبتشين و ترتياكوف، و دافيدوف، وتورگينف، و آلاف من الأسرات الأخرى المماثلة لما ذكرناه.

وقد أثبتت من جهة أخرى أكاديمية العلوم التاريخية التركية بأنقره، في التاريخ التركي العام [1]، أن لينين نفسه ذلك الخادم الروسي الجبار الذي أخرج الشيوعية من حيز النظرية إلى حيز التطبيق وجر بذلك على الأديان والشعوب نكبة قضت على الملايين، يرجع نسبه إلى أصل تركي إسلامي، وأجبرت أسرته فيما مضى على تغيير دينها بسبب الاضطهاد الروسي القيصري.

وأما البلاشفة فقد كتموا بمهارة خططهم السرية وحقيقة موقفهم من الدين وتمكنوا من الظهور أمام الشعوب، إلى حين تركيز القوة في يدهم بمظهر محبب إلى النفوس. وأما على أثر اطمئنانهم للموقف الخارجي فبدأ الحزب الشيوعي ينشر خلاياه المنظمة أدق تنظيم في أرجاء الاتحاد السوفييتي فعمدت هذه الخلايا الالحادية إلى استئصال شأفة الدين أولا بالقضاء على

---

(١) جزء ٤ ص ٦

القضاة ، والمفتين ، والمدرسين ، والوعاظ ، والخطباء ، والأئمة ، والمؤذنين واحتلوا المدارس، والجوامع ، والمساجد، وألغوا فى القرم والبلاد الاسلامية الأخرى المحاكم الشرعية وديار الافتاء ، وقد أصبح كل ذلك أثراً بعد عين ثم حولوا الجوامع والمساجد إلى مسارح واصطبلات لخيول قوزخوز ، أو مخازن لمؤن وذخائر ، أو إلى النوادى ، أو إلى أدوار السينما ، وما إلى ذلك من أشياء لا يقرهم عليها شرع ولا قانون . وقد جمع البلاشفة نسخ القرآن والكتب الدينية وأحرقوها حرقاً لم يشهد الانسان هذا الانحطاط الخلقى حتى فى القرون الهمجية الأولى ، وتبع هذه العملية تطهير رجال الدين ، كما سبق ذكرهم ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل فى ميادين عامة ، ونجت من أيدى الملحدين بعض الجوامع النادرة التى اعتبرت آثاراً علمية ، أو أمرت موسكو بعدم مساسها لتتخذها عند اللزوم دليلا ضـــد ما قد يتسرب إلى البلاد الخارجية من أخبار «مزورة وكاذبة» فى نظرها ، وبذلك انقطع الأذان المحمدى فى أنحاء القرم ، والبلاد الاسلامية السوفيتية ولا أحد جرؤ على أداء شعائره الدينية فيها لما فيه خطر هلاكه .

هذا مسجد «خان جاميسى» من أعظم جوامع مدينة كوزلوه وأحسنها ويرقد فى حديقته المصريون من أمثال الفريق سليم فتحى باشـــا ، على بك ، ورستم بك الأبطال الذين استشهدوا فى حرب القرم بمعركة آقيار « سباسطوبول» ، فى عهد عباس الأول رحمه الله ، ودفنوا فى حديقته تبركا ليكونوا مزاراً للمسلمين ورمزاً لقوة التآخى والصداقة بين مسلمى

القرم ومصر . وقد أغلقه البلاشفة فى أول الأمر ، وسمروا أبوابه ونوافذه وشمعوها بالشمع الأحمر ثم جعلوا منه متحفاً شيوعياً ، وبعد ذلك حولوه عام ١٩٣٦ إلى مخزن القطن ، ومن بعده جعلوه مخزنا للقمح ، وفى الأيام الأخيرة مخزناً لصوف الأغنام المقصوص وكبسوه فيه بقذارته المعروفة عنه قبل غسله وتنظيفه . وهذا مسجد « جمعه جاميسى »، وذلك « شكر الله جاميسى » حولوهما بعد إهانة قدسيتهما إلى مخزن البصل . وهكذا لم ينج جامع من جوامع كوزلوه البالغ عددها ٣٦ مسجدا إلا وقد حول إما إلى مخزن حبوب أو ذخائر حربية أو إلى سينما ، أو إلى ناد ، أو إلى اصطبل أو إلى مرقص ، أو إلى مدرسة شيوعية . وها كم أسماء معظمها : سفر أفندى جاميسى ، ويكى محله جاميسى ، وأسكى طاتلى صو محله‌سى جاميسى ، ويكى طاتلى صو محله‌سى جاميسى ، وأسكى طوقال جاميسى ، ويكى طوقال جاميسى وباغجه‌لق محله‌سى جاميسى ، وأسكى حاجى منان جاميسى ، ويكى حاجى منان جاميسى ، وحاجى كنعان جاميسى ، وحاجى جمال الدين جاميسى ، وآق مو للا محله‌سى جاميسى ، وحاجى أرسلان جاميسى ، ويشيل جامع ، ومحكمه جاميسى ، وسيفى أفندى جاميسى ، ومحمد أفندى جاميسى ، وغيرها . وما آلم الانسان أن يجد بيوت الله ، التى كانت تنبعث منها الأنوار المحمدية بالأمس ، قد تحولت اليوم إلى أركان أصبحت هى بؤرة الفساد ! ! .

وتأكيدا لبيان الاضطهاد الشيوعى الدينى أسرد للقراء الكرام أسماء جوامع باغجه سراى التى أهينت أيضاً كما أهينت بقية المساجد فى بلاد

القرم والمقاطعات الاسلامية في أثناء الاتحاد السوفييتي . لقد كان لهذه المدينة ، التي ظلت مدة قرون كثيرة عاصمة لدولة القرم ، إثنان وثلاثون جامعاً من أروع المساجد إلى أن حل بها ظلم البلاشفة الذين بدأوا أولا بالقضاء على «خان جاميسي» الشبيه بمسجد محمد على باشا الكبير في القاهرة وحولوه إلى مخزن ، كما حولوا عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ « لنين صوقاغي جاميسي » إلى دار السينما فالى مخزن القطن . ثم أغلقوا عام ١٩٣٥ « يانغان جامع » ، و «طوزبازاري جاميسي » ، وحولوا مسجد « واه اوغلي جاميسي » إلى مخزن الشعير . واتخذوا من « صيرمالي جشمه جاميسي » محلا لفابريقة غازوز ،ففابريقة الجوارب ، وإلى نفس المصير انتهى طوقال جامع ، و آصما قويو جاميسي ، و بويوك آقفاش جاميسي ، و قاضى محله سي جاميسي ، و قارامشق جاميسي ، و أسكى بورو جاميسي ، و عزيز جاميسي ، و آق جوقراق جاميسي ، و صالاجق جاميسي و قاضى محله سي جاميسي ، و صاوصقان جاميسي ، و يكى محله جاميسي ، و قايتازان جاميسي ، و صوغان بازاري جاميسي ، و شاه بولاط جاميسي ، و تخته جامع ، و زنجيرلى مدرسة جاميسي و اورتا مدرسة جاميسي وغيرها . وقد عمت هذه المصائب مدن القرم وقراها كما عمت بلاد شقيقاتها في شمال القوقاز ، وآذربيجان ، وايديل - اورال ، والتركستان .

يعرف القراء أن الموقف العدائي الساخر الذى وقفته الشيوعية من

الدين يرجع إلى تأثير لينين تلميـذ الابليس كارل ماركس الذى رفض السجود لخالقه فقال ثائراً : « إن الدين آفيون يخدر أعصاب الشعب » .

تمسك لينين بهذا المبدأ فى جميع خطبه ومنشوراته ومؤلفاته ، إبتداء من سنة ١٩٠٢ لغاية ١٩٢٤ واعتبر الدين عاملا سلبياً وهادماً ورجعياً فى حياة الفرد والشعوب وخالف ، بسلوكه الشـــاذ فى الالحاد ، مذاهب الاشتراكية الغربية الديموقراطية ، وقد أجمعت هذه المذاهب كلها بما فيه المذهب الاشتراكى لعمال بريطانيا اليوم على عدم اضطهاد الدين واكتفت بفصله عن شئون الدولة فقط .

نستطيع أن نقول إن لينين انفرد عن الاشتراكيين الآخرين باعتبار الالحاد جزءاً متمما للمركسية ، وعد نشره فى العالم من أقدس واجبات الشيوعية . ولا يكفى فى نظر زعيم الشيوعية الروسية فصل الدين عن الدولة إنما يتحتم على الشيوعيين القضاء على شعائره حرصاً على مصالح الكادحين فى العالم .

خط لينين موقفه من الدين فى باب قضايا الشيوعية العامة المندرجة فى البرنامج الذى أعده لحزبه عام ١٩١٩ وجاء فى الفقرة الثالثة عشرة منه : «أما موقفنا من الدين فيجب علينا فصله عن الدولة كما يجب فصل المدرسة عن الكنيسة ولا يكفى للحزب أن يحصر جهده فى أعمال أصابها النجاح للآن أو بعبارة أوضح ، لا يجب على الشيوعيين أن يقتصروا على البرامج التى خططناها . بل عليهم أن يحاولوا نسف كل ارتباط كائن بين الطبقات

الكادحة وبين الدين ورجاله مع تشكيلاته المنظمة . الحزب يشجع تحرير الطبقات العاملة الكادحة من سلطان هذه الخرافة بتنظيم دعايات ثقافية وأنه يوصى فى نفس الوقت المنظمات الشيوعية بتجنب الهجوم المباشر على تلك الطبقات لما فى ذلك من أخطار تسبب فى اشتعال نار التعصب الدينى والاكثار عنه » .

خلف ستالين فى الزعامة لينين ، وسارت موسكو على ثورتها وعنادها المعروف عنها ، قهرت الشعوب ، ودكت مقدساتها ، وأخذت تنشر الرعب والذعر فى عرض البلاد وطولها . ولكن كل هذا الطغيان مانقص شيئاً من حدة الشعوب المستعبدة ، وأخيرا رأى ستالين ضرورة إعادة النظر فى الدستور السوفييتى ، وعدل عام ١٩٣٦ المادة ١٢٤ منه كما يأتى : —

«صيانة لحرية اعتقاد جميع المواطنين يعلن أن الدين فى روسيا السوفييتية يفصل عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة فلجميع المواطنين حريتهم فى ممارسة الشعائر الدينية أو فى الدعوة إلى اللادينية » .

فالشق الأخير من هذه العبارة والذى يدعو إلى الالحاد له مرماه ومغزاه لدى البلاشفة . إنها عبارة صاغها ستالين ، ودرسها الحزب ، وأكدت نتائجها تجاربهم الطويلة ، ولذلك يتبادر إلى فكر السامع الخالى الذهن نزاهة هذا البند وطهارته عند مايقرأها دون أن يلم بأسرار موسكو بينما هى عبارة بليغة فيها فنون كلام تخفى وراءها المآسى كما لو كانت باقة ورد أو زهور لفت بين أوراقها المتفجرات .

نعم، يتبادر إلى ذهن قارىء الفقرة المذكورة أن الدعوة إلى الدين أو إلى الالحاد سيان . وبه يتذرع من يريد الدفاع عن وجهة نظر الشيوعية البلشفية، ولكن الدعوة إلى الدين أو إلى ممارسته فى الواقع ممنوع منعاً قانونياً، فى حين أن الدعوة إلى الالحاد مباح إباحة قانونية وبتشجيع من القانون وإليكم دليله :

جاء فى الفقرة ١٢٢ من قانون العقوبات لروسيا السوفييتية المطبوع عام ١٩٣٨ فى موسكو ما يلى : - « . . . إن تعليم الدين للأحداث فى مدارس الدولة أو المدارس الخاصة أو فى المعاهد الشبيهة بهما يعاقب عليه القائمون بأمره بحبس أقصى مدته سنة مع الشغل ».

والفقرات التالية ١٢٣، و ١٢٤، و ١٢٥، و ١٢٦ من نفس القانون تسجل أيضاً تحريم التعليم الدينى فى الاتحاد السوفييتى مع عقاب المسئولين.

وأما فى الفقرة ١٢٧ فجاءت نصيحة لينين المتملق الموصى بعدم شن هجوم مباشر على المتدينين وعلى شعائرهم الدينية خشية إحداث رد فعل قد يعجز الحزب عن إخماد ثورته وعن الاحتفاظ بسلطان الحزب على الشعب الثائر :

« التدخل باسم الطوائف الدينية طالما لا يحدث أمر المتداخل اضطراب فى الأمن واستهجان بحقوق العامة تكون عقوبته حبساً مدته ستة شهور مع الشغل ».

إن رد الفعل الذى ظهر فى القرم وشد من أزره التعصب الاسلامى

العام فى الاتحاد السوفييتى حير المكتب المركزى فوقفت موسكو من الشعب موقف العاجز عن الاستيلاء على القلوب ولو أنها نجحت فى تحطيم قوته المادية . وقد حملت مقاومته هذه ا . ياروسلوفسكى ، من أعظم رؤساء الملحدين ، على النطق عام ١٩٣٩ بالعجز والاعتراف به أمام الدولة إذ قال بأنه بعد جهد جهيد وعناء لا يوصف وجد أن أكثر من نصف العمال فقط فى المدن وثلثى البالغين الذين تزيد أعمارهم عن ١٦ سنة أعتبروا ملحدين بينما الأمر المنتظر كان خلاف ذلك تماماً (١) .

سجلت هذه الجمعيات الالحادية عام ١٩٣٣ خمسة ملايين عضو وذلك فى عهد استمر فيه الصراع العنيف المخيف بين الشعب السوفييتى والدولة الشيوعية وكانت تأمل هذه الأخيرة من ورائه أن ترفع عدد الاعضاء إلى خمسة عشر مليون عند ما يقبل عام ١٩٣٧ ، أى بعد خمس سنوات من تاريخه، وما آلم زعماء الشيوعية أن يجدوا بجمعياتهم عام ١٩٣٧ بقاء مليونين من الاعضاء مع زوال قسم كبير من لجانهم وجمعياتهم المعدة لمحاربة الدين وهكذا لم يبق فى مايو سنة ١٩٣٩ سوى عشر جمعيات إلحادية ببرامجها الكاملة فى أنحاء الاتحاد السوفييتى (٢)

أخذت هذه الجمعيات نحو ١٩٣٥ تنظم فى القرم خلايا العرايا ، وتكونت منهم فعلا طائفة أخذت تجوب هاتفة للشيوعية والالحاد شوارع مدينة

---

(١) « الدين فى روسيا السوفياتية » ن . س . تيماشوف . لندن ١٩٤٣ .

(٢) « نحو فهم روسيا » ، ص ١١٦ .

كوزلوه ، فقابلها الاهالى بالرجم والسخرية والوعيد .

وصل الأضطهاد الدينى فى القرم ذروته عام ١٩٣٨ حيث لم يعد الناس يشاهدون فيها شيئاً باسم الدين بعد إحراق نسخ القرآن والكتب الدينية وقلب المدارس والمساجد إلى مؤسسات شيوعية وقتل العلماء والعظماء أو نفيهم إلى سيبريا . وقد حدث فى كوزلوه أن اعتقل فى ليلة من ليالى عام ١٩٣٨ آخر من بقى من العلماء ، وبعد التعذيب أتى الشيوعيون بهم منهوكى القوى إلى مبنى تكرير مياه المدينة المقام على شاطىء البحر الأسود ، واسمه « فودا كانال » ، ثم زجوا بهم فى سكون الليل وعلى الانفراد فى عجلات الماكينات الخلفية المعدة بطريقة خاصة من قبل الادارة الشيوعية لتكون مذبحة الانسان فى « الفردوس الشيوعى » على أرض القرم . وأما العمال المكرهون على القيام بهذه العملية الشنيعة فلا يزالون على قيد الحياة لاجئين إلى أوربا وتركيا وإلى غيرهما .

لم تنس موسكو الحمراء وصية لينين من أن تغامر الدولة ساعة محنتها بجزء من مبدئها الشيوعى مقابل الاحتفاظ بسلطانها ، ويقول فلاديمير بونجقوسكى بهذا الشأن فى كتابه [1] : « ... قبيل نشوب حرب ١٩٣٩ بدأ الشيوعيون يلمسون صعوبة موقف السياسة الداخلية لمساً بيناً ، لأنهم كانوا يعلمون موقف الشعب السوفييتى من الدولة الشيوعية ، وأن أغلبية الشعب كانت طبقاته متعصبة لدينها .

---

(١) « نحو فهم روسيا » ، ص ١١٦ .

فكر الروس فى أن مصير الحرب إنما يتوقف على مواقف الشعوب فى الاتحاد السوفيتى ، ولذلك لا نخطأ لو قلنا إن برنامج الاستعداد الحربى تناول أيضاً موضوع العودة إلى سياسة التخلى عن الاضطهاد الدينى عند ما يدق ناقوس الخطر، وتولدت فكرة هذه السياسة عام ١٩٣٣ عند ما أحس الناس ببوادر الحرب فى الآفاق على أثر تدخل روسيا المسلح فى أمر اسبانيا فى الغرب واحتكاكها باليابان فى الشرق الأقصى ، ولكن بمجرد زوال شؤم الحرب قامت موسكو للمضى فى الاضطهاد الدينى المعروف عنها.

وقد وجدنا موسكو فى اللحظة التى زال فيها خطر الحرب من الآفاق تسلط سيفها على القرم وعلى البلاد الأخرى لتواصل أداء رسالتها الشيوعية آمنة مطمئنة . وما عملته موسكو فى القرم من ظلم بعد ١٩٣٤ لم تعمله أية دولة حتى فى أنكر همجيتها ، ولكنها لانت فى ١٩٣٩ ، ثم تراجعت عن خطوتها ، وغيرت موقفها عند شعورها بتلبد غيوم السياسة فى الغرب ، فخذت نفسها الماكرة لتطبيق سياسة التقرب إلى الشعب المضطهد فأمرت مكتبها السياسى فى القرم أسوة بمكاتبها فى الجمهوريات السوفيتية الأخرى بأن تكف عن الاضطهاد بمغادرة ميادين السياسة لمن يثق فيهم الشعب والتوارى عن عيون العامة لمراقبتهم من خلف الستار .

ومن الغريب أن الادارة الشيوعية عرضت على الناس قبل هذا بمدة قليلة قائمتين خصصت إحداهما لتوقيع المتدينين والأخرى لتوقيع الملحدين حتى تتبين علنا من أفكار الناس فتسير الادارة على ضوئها ، ولكن القرميين

خافوا من أن يكون هذا شرك من طراز جديد نصب لهم ، فامتنع القسم الاكبر من الشعب عن التوقيع على إحدى القائمتين ، ووقع أكثرية الشبان على قائمة الملحدين على عكس ما فعله المسنون الذين لم يترددوا فى التوقيع على قائمة المتدينين وقالوا جهاراً إنهم متدينون ، كما أنهم متعصبون لدينهم الاسلامى ، ولا راد لقدر الله إن جاءهم السوء بسبب إعلانهم عن ميولهم هذه .

إبتسم أحد الملحدين لتصريحات أحد الشيوخ فقال له : « لا داعى للخوف أو التخوف بعد اليوم ، فانصح أبناءك المتشككين ليوقعوا مثلك على إحدى هاتين القائمتين طبق ميولهم الطبيعية » . فبهت الملحد حين سمع من الشيخ الوقور ما معناه « إنى هنا يابنى ، لا أملك إرادة غيرى . فأنتم الذين علمتموهم التشكك والحذر والاحتياط طيلة العهد الشيوعى » .

والحق أنه كيف كان للقرمى أن يعتقد صحة مايقوله اليوم الشيوعيون الذين أرعبوا البلاد من أقصاها لأقصاها بالقضاء على الآلاف المؤلفة من الأبرياء بتهمة التعصب الدينى أو القومى ؟ ! لذلك لم يتقرب الشعب إلى الروس ولم يصدقهم قطعا فيما قالوه على الرغم من أن القرميين ، كغيرهم من مواطنى السوفييت ، لم يكونوا يعلمون شيئاً عن سير السياسة الخارجية واتجاهاتها واعتقد الكثيرون حينئذ فى ضرورة وجود عامل مهم إضطرت بسببه موسكو إلى اللعب على سياسة مزدوجة قصدت بالاولى التقرب إلى الشعب واجتذاب قلبه لتطمئن على جبهتها الداخلية بينما كانت من جهة أخرى تحاول

المستحيل فى ميادين سياستها الخارجية لتفادى الهجوم الغربى المفاجىء.

لا يعرف مواطنو السوفييت سير السياسة الخارجية تماماً، إذ أن أجهل الناس معرفة باتجاهات سياسة بلادهم هم مواطنو الاتحاد السوفييتى، ما كان أحد فيه يجرؤ، ولا زال الأمر كذلك، على استماع الاذاعات الخارجية لحظرها رسمياً. وكما لم يكن القارىء السوفييتى يجد شيئاً فى الجرائد ولا فى الكتب سوى مدح الاتحاد السوفييتى والثناء على صناعاته وزراعاته وثقافته الشيوعية، ولا يجد فيه الانسان جريدة أو كتاباً أو مقالا أو رواية أو فيلماً إلا وقد غربله رقيب المراقبين فى الدولة. فويل للكاتب الذى تصدر منه، ولو عفواً، كلمة ينتقد بها النظام الشيوعى القائم. فهذه الملابسات وضعت الناس فى موقف يتشكك كلٌ من صديقه أو من قريبه مهما كان نوع الصلة بينهما. هذا كان السبب الوحيد والأصلى فى مقابلة الشعب هذا التحول بفتور وتحفظ كبيرين مع سريان الخبر بهمسات بين أفراد الأمة سريان النار فى التبن الهشيم دون أن يجد الناس لهذا اللين الغريب من تعليل أو تفسير، حتى طالت فترة التعجب ومضت سنة إلى أن علت ذلك مدافع الألمان القاصفة المرعبة فى سهول بولونيا حين أذيع الاتفاق الروسى الألمانى رسمياً. وعندئذ عرف الشعب ما خفى عليه من أخبار غير سارة وتدابير احتياطية، وعلم أن موسكو الحمراء عادت فى تلك السنة، ولثالث مرة فى حياتها، إلى تطبيق نظرية لينين فى سياسة المد والجزر، إذ كانت طبقت للمرة الأولى فى نهاية الحرب العالمية الأولى

والثانية أثناء الحرب فى اسبانيا وتحرج الموقف العالمى فى حينها .

نحن الآن فى مستهل عام ١٩٣٩ . . . وقد كان حينئذ ترجمة الشعب القرمى خاصة والسوفييتى عامة حقد وغضب وبغض وثورة على الروس . . ولوحظ فيه فجأة تراجع المكتب السياسى شيئاً فشيئاً عن نشاطه المستنكر المعروف ، كما توارت الجمعيات الداعية للالحاد عن الأنظار ، فبرقت عيون الشعب وتلألأت لأن التحول الفجائى فى سياسة موسكو بدأ بمحاولة الشيوعيين لاجتذاب قلب الشعب فأحدثت هذه التغييرات المصحوبة بالانفعالات حيرة ودهشة فى نفوس الناس مع الاعتقاد الجازم فى أنهم على غسق فجر قرب انبثاق أنوار العدالة الالهية وتمنوا بالدعوة الخالصة لإنهيار روسيا وتشييع جنازة الشيوعية معها الى غير رجعة . وعزم الناس على اعتبار يوم إعلان الحرب مسماراً دق فى نعش موسكو ، وعاشوا لغاية ١٩٤٠ فى جو إطرد ينقل اليهم نسيمه أنباء الاستقلال والتحرر ، وذلك على علمهم من أن رجال المكتب السياسى كانوا يراقبونهم من خلف الشاشة ساهرين على الشيوعية وكاظمين غيظهم على الشعب . ولمعالجة الموقف ضغط الشيوعيون حينئذ من مكامنهم على الادارة المحلية القرمية ، فأنقصوا كميات الطعام ، ونقلوا الحبوب إلى موسكو بحجة إشتباك روسيا فى الحرب مع فنلندا التى أُعطيت فرصة اللعب ضد الروس دور الأبطال لتضليل الرأى العام العالمى ولاسيما لتضليل آراء خصومهم ، وقد نجحوا فيما قصدوه وذهب هتلر مع أعوانه ضحية هذه الخدعة المحكمة فقضى على الأمة الألمانية البريئة شر

القضاء بقصر نظره ، إذ أن الجندى الروسى الذى تعب وفشل فى نظره ونظر أعوانه فى الاستيلاء على كاريليا الفنلندية هو نفس الجندى الذى حارب فى السنة التالية ، وفى نفس المناطق ، وكسر فى لنينغراد أعظم هجوم ألمانى جبار خاطف ثابت ، من البر و البحر و الجو ، إلى أن يئس الألمان من الاستيلاء على المدينة ومن تحطيم خططها على خلاف ما أعلنه هتلر للعالم فى لهجة مدوية متكبرة .

وأما موسكو فقد أدركت فشلها فى مسح روح العداء المستحكم بينها وبين القرميين وغيرهم الذين ظلوا يتمنون إنهيارها الكلى وانقضاء أيامها السوداء معها ، ولا شك أن روسيا ندمت فى أول الأمر على تأخرها فى إعلان سياسة اللين ومع ذلك لم يقطع ستالين أمله فى استغلال موقفهم ، وظلت موسكو تعمل لما فكرت فيه وتدعو إليه ، بينما كلفت رجالها من جهة أخرى بالضغط على الشعب لتشغيله واستغلاله استعداداً للحرب وعلى تقليل كميات الطعام ، كما أصدرت قانوناً يعاقب كل عامل يتأخر عن عمله ربع ساعة بعمل إجبارى ، بلا مقابل ، لمصلحة الدولة وتتراوح مدته بين ستة شهور و سنة . وفى هذه الحالة تقرض له الدولة مبلغاً من المال ليتعيش منه على أن يسدده بالعمل العينى فى السنة المقبلة كما سلف ذكره فى الكلام عن قولخوز وغيره . ويقال إنه بلغ عدد هذا النوع من المحكومين فى سجلات الدولة فى سنوات الحرب عشرات الملايين .

بدأت موسكو الحمراء فى تطبيق هذه السياسة اللينة الجانب ،

وتسرعت فى تنفيذها خوفاً من ثورة البلاد المعذبة ساعة محنتها وبذلك تساعد الشعوب على انهيار آخر أمل معقود على صمود الجبهة الداخلية ضد العدوان الخارجى ، ولا سيما يضيع الروس بضياع القرم ذلك الجزء الاستراتيجى العظيم ، توازن دفاعهم عن جهة البحر الأسود .

وافقت موسكو على عرض الألمان للوصول إلى اتفاق وتفاهم معها ، ولكن كلى الطرفين ظلا يخفيان داخل معطفهما خنجرهما الاحتياطى ، فستالين الذى زادته حوادث بلاده تجربة ومكراً أخذ يتحصن فيما وراء الستار الحديدى ويقوى جبهة الاتحاد السوفييتى من جهة أوربا ضد هجوم قد يفاجئه به خلالها الأعداء يوماً . وهكذا تحصن فى بلاده بقدر ما نفخ فى بوق هتلر لتسليطه على الدول الرأسمالية الغربية لكى يجده فى آخر الأمر منهوك القوى ، متحطم الأعصاب ، لا يقوى على محاربة الروس .

وأما المسلمون فى روسيا بناء على تجاربهم السابقة وسير الدعاية الحالية واتجاهها المكشوف فى موسكو ، فقد نظروا إلى هذا الاتفاق السوفييتى الألمانى مع من فى صفوفهم نظرة اتفاق مؤقت لن يدوم ، ويعتبره الروس كسب وقت ولا غير .

ولم يأت صباح ٢١ يونيه ١٩٤١ إلا وقد تحققت تنبؤات المسلمين عامة وتكهنات الاوكرانيين فيما ذهبوا اليه من تفسير ، واستيقظ القرميون على دوى إنفجار القنابل الألمانية فى مدنهم المختلفة وفى نفس الدقائق ، ثم سمعوا المذيع فى راديو موسكو يكرر انتباهاته ثلاث مرات

إيذاناً باذاعة نبأ هام غير عادى فاذا به يعلن نبأ انقضاض الألمان على روسيا السوفيتية فى جبهة تمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود.

نعم، سبق هذه الاذاعة بساعات إنذار القنابل الألمانية التى سقطت فى آن واحد على مدينة آقيار «سباسطوبول»، وآقمسجد «سمفروبول»، وكوزلوه «اوباتوريا» والمدن القرمية والاوكرانية الأخرى فى الوقت الذى بدأ الجيش الألمانى هجومه فى جميع النقط البالغ طولها ألفى كيلو متر وعلى أثره أصدرت موسكوأمرها بالتعبئة العامة المقرونة بتوصيات المجلس الاعلى للاستبسال فى الدفاع عن كل شبر من أرض الاتحاد ضد الفاشيست المغيرين مع وعيد ستالين لمن يخالف الاوامر العسكرية.

وجدت القرم فى بدء الحرب قسما كبيراً من أبنائها مجندين فى مقاطعات روسيا واوكرانيا مع الكثيرين من أبناء المسلمين فى الاتحاد السوفييتى وكانوا جميعاً فى إشراف الجنرالات الروسيين الذين يعتمد عليهم الحزب الشيوعى إعتماداً كلياً وكان ستالين أسند إليهم هذه المناصب بنفسه لوثوقه فيهم أكثر من غيرهم.

ثورة ستالين :

أمر ستالين بالمقاومة والاستماتة فى سبيل الدفاع عن الاتحاد، وأمرت قيادة الميدان جنودها بالتسليم والرضوخ الى أوامرها، فألقت الفرقة الرابعة، والثامنة عشرة، والرابعة والستين، التى كانت على فوهة المدافع الالمانية السلاح، وتم بعد ذلك للقسم الكبير من الجيش المقاوم المستبسل ما أرادته قيادة

الميدان ، فثارت لهذه الثورة العسكرية ثائرة ستالين ، وأعلنت بصراحة أنه ليس للاتحاد السوفييتي أسير في يد الأعداء ، إذ أن جندي الاتحاد لا يقع أسيراً في يدهم وهو حي ، فكل جندي يخون الاتحاد السوفييتي بهذا الشكل أو بغيره تعد أسرته رهينة في يد المكاتب السياسية .

وفعلا أنجز ستالين وعيده ، فمن ثبتت محاربته لروسيا قبضت على أسرته واعتبرت رهينة في يد المكاتب التي نكلت بها أشد التنكيل ونفتها إلى اورال وإلى مجاهل سيبريا لمدة خمس سنوات محكوماً عليها بالأشغال الشاقة بما فيها الاطفال الصغار والصبيان دون سن البلوغ . فالشعب القرمي المستسلم لارادة الله وقدره ، على الرغم من كل شيء ، عمل كل ما استطاع من أجل التحرر ، وذهب ضحية الاستقلال ألوف مؤلفة تاركين وراءهم يتامى ، ومساكين ، وبؤساء ، ومشردين عاملين بالمبدأ القائل « إن شجرة الحرية لابد أن ترويها دماء الابرياء » .

لا تجد ، أيها القارىء الكريم ، ولا سيما بين القرميين أسرة لم تفقد شهيدين أو أكثر في عهد الشيوعيين . فالهيا كل البشرية المكومة في أرض القرم وفي مجاهل سيبريا التي طالما أزهقت فيها الارواح كانت أشباحها تحوم حول الآباء والأمهات والابناء وتعاتبهم عتاب الآخرة لو أنهم تسامحوا في حقوق ضحاياهم وحقوق الوطن الذي من أجله ضحوا بأنفسهم في ميادين الحروب ، والثورات ، والتطاحنات ، والاضرابات في بلاد القرم .

الروس يقضون على ٦٣٫٣٥١٫٠٠٠ شاب وشابة فى عهد الشيوعية :

إن قتل الناس فى روسيا هو أهون من قتل الذباب، نحن الذين شاهدنا الموت بأعيننا ، وذقنا مرارة العذاب فى الاتحاد السوفييتى فى ذلك « الفردوس » الذى لا يريد العالم الشرقى أن يفهمه ، ننقل ما نعانى فى هذه « الجنة » من آلام فهمها الاوروبيون، وجاء مثلا فى جريدة «روسكايا ميسل» وهى لسان حال إتحاد العمال المسيحيين فى فرنسا والصادرة بتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧ أن الروس جنوا فى ظرف ثلاثين عاماً على حياة ٦٣٫٣٥١٫٠٠٠ نفس من الشبان ، وهذا العدد قليل بالنظر إلى الواقع ، ومع ذلك أضف إليه عدد من زج بهم فى معسكرات السخرة فى سيبريا وهى مقامة فى كل منطقة من مناطقها بغرض تعذيب ملايين وملايين من بنى البشر الذين يعدمون فيها كما تعدم الحشرات . وقد عرض هذه المأساة على الجمهور التركى حضرة صاحب المعالى جعفر سيد أحمد قريمر فى خطب مثيرة ألقاها فى ربوع الجمهورية التركية بدعوة من حكومتها فى نهاية عام ١٩٤٨ وذكر العدد فى صحيفة ٩٩ من كتابه المسمى « دفع الروس إلى الانقلاب والبلشفية فالى الانقلاب العالمى » كما يلى :

السنة	عدد المجنى عليهم	الأسباب
١٩١٧ — ١٩٢١	٤٫٥٠٠٫٠٠٠	فى الحروب فى داخلية روسيا
١٩١٨ — ١٩١٩	١٦٠٫٠٠٠	فى الهجوم على فنلنديا ولتونيا واستونيا ولاتفيا

السنه	عدد المجنى عليهم	الاسباب
١٩٢٠	٦٠٠ر٠٠٠	فى الحروب ضد بولونيا
١٩٢١ — ١٩٢٢	٢٠ر٠٠٠	فى الحرب ضد جمهورية الكرج
١٩٢٥ — ١٩٣١	٣٠ر٠٠٠	فى الحروب ضد الصين
١٩٣٦ — ١٩٣٩	٨٥ر٠٠٠	فى الحرب الأهلية فى اسبانيا
١٩٣٩	٤٦٣ر٠٠٠	فى الحروب ضد بولونيا وفنلنديا
١٩٤١ — ١٩٤٥	١٣ر٠٠٠ر٠٠٠	فى الحروب ضد ألمانيا وايطاليا والمجر ورومانيا واليابان وبلغاريا .
١٩٢١ — ١٩٢٢	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	فى المجاعة
١٩١٧ — ١٩٢٣	١٦٠ر٠٠٠	فى اضطهاد الشيوعية لأعضاء الأكاديمية والأساتذة، والاخصائيين، والمحررين، والرسامين، والمعلمين، والطلبة، والتلاميذ، والموظفين، والضباط .
	٧٤٠ر٠٠٠	والقازاق
	٥٠ر٠٠٠	وموظفى البوليس
	٤٠ر٠٠٠	وعلماء الدين
	١ر٣٠٠ر٠٠٠	والقرويين والعمال
١٩٢٣ — ١٩٣٠	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	فى براثن البوليس السياسى تشيكا - أوغبو
١٩٣٠ — ١٩٣٣	٧ر٠٠٠ر٠٠٠	فى المجاعة
١٩٣٠ — ١٩٣٣	٧٥٠ر٠٠٠	فى عمليه التطهير بحجة الرجعية فى صفوف الاغنياء
١٩٣٣ — ١٩٣٧	١ر٦٠٠ر٠٠٠	فى اضطهاد أوغبو — أنكافيدى
١٩٣٧ — ١٩٣٨	٦٣٥ر٠٠٠	فى عملية التطهير، وتناولت طبقة المثقفين والعمال والقرويين
	٣٤٠ر٠٠٠	فى عملية التطهير فى الحزب البلشفى
	٣٠ر٠٠٠	فى عملية التطهير بين قواد الجيش الاحمر وساسته
١٩٣٨ — ١٩٤٧	٢ر٧٢٠ر٠٠٠	فى إضطهاد أنكافيدى لعموم الناس
	٥ر٠٠٠	في اضطهاد رجال الدين

	٢٣٫٠٠٠	فى عملية تطهير رجال الجيش الاحمر
١٩١٧ — ١٩٤٧	٢١٫٠٠٠٫٠٠٠	فى المعتقلات والسجون

والمجموع ٦٣٫٣٥١٫٠٠٠

ظلت القرم تجاهد ، مع احترامها العظيم لحقوق الأقليات الرومية والاوكرانية واليهودية فيها ، فجاءها الألمان ووقفت البلاد بجانبهم على حد التعبير القائل « عدو العدو صديق » ، إذ اشتركت مصالح الألمان بمصالح القرم القومية وهكذا عادت إلى القرم حمامة السلام ولكن ! لم تحمل هذه المرة فى منقارها غصناً أخضر ، فأسف الشعب للتاريخ الذى أعاد نفسه ، ولكنه لم ييأس من رحمة رب السموات والأرضين القائل ولا تقنطوا من رحمة الله .

التاريخ يعيد نفسه :

سواء قلنا إن القيادة الألمانية زلت قدمها لنشوة الانتصارات التى أحرزتها فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، أم أن سياسة الألمان لم تكن بعد ناضجة ، فان الدولة الألمانية أعادت فى القرم ، وفى الجبهة الشرقية كلها ، نفس الأخطاء التى وقعت فيها دولتهم القديمة إبان الحرب العالمية الأولى بسبب عدم اعترافها بحقوق أهل القرم ، واوكرانيا ، وبولونيا ، وغيرهم من شعوب كانت هى بمثابة قنبلة ذرية فى القضاء على الروس وبيد هذه الشعوب وحدها كان مفتاح السر الذى لم يرد هتلر وأعوانه أن يفهموه قط .

إن الدولة الألمانية لم تأخذ درسا من سابق عهدها ، واعتمد أبناؤها على قوتهم المادية ، وآمنوا بفلسفتها ، وبها وحدها أرادوا أن تدس أقدامهم

أرض العالم ، ولكن الشعوب المحكومة فى روسيا كانت أبعد نظرا من الألمان ، وظهرت فلسفتها فى إدراك المسائل ومعالجتها أقوى وأصدق بكثير من فلسفة روزنبرغ وصدق الزعيم جعفر سيد احمد قريمر فيما أجابه به من «أن القوة ليست كل شىء فى حياة الشعوب». ولم يمض زمن طويل حتى تبين أن الحق فى القرم ، واوكرانيا ، وبولونيا كان أقوى فعلا من قوة الألمان ، فمضوا بنانهم عند ما أفهمتهم فى روسيا وأكدت لهم أن الحق متبوع والقوة تابع تجاربهم . ولكن هيهات !! بعد أن فاتت الفرصة الذهبيه السانحة ، واعترف كثير من الضباط الألمان وساستهم بسوء تصرف الالمان وقصر نظرهم بعد أن غلبت القيادة الهتارية على أمرها فى جبهة إستسلم فيها ما يزيد على أربعة ملايين أسير سوفيتى ، وذلك بأمل التحرر من الجحيم الشيوعى البلشفى . ولكن ماذا كانت الجائزة الالمانية لهذه المساعدة السلبية التى قام بها أبناء الشعوب المستعبدة فى روسيا ؟ ! إعدامهم بالجملة ، وإبادتهم بالطوائف ، وتمرين الاحداث الالمان على التنشين فى أجسام الاسرى الذين لبوا جميعاً نداء الالمان بالاستسلام . وقد قام الالمان بهذه العمليات بطريقة يستنكرها الحق والشرع والقانون أشد الاستنكار وتملأ نفس الانسان ألماً وأسى !! .

وإنى أسجل هنا هذه السطور لا رفقا بالروسيين وشفقة عليهم ، وهم الذين سببوا كارثتنا الاسلامية فى القرم ، ونكبات إخواننا المسلمين البالغين عددهم ما يزيد على ثلاثين مليون نفس فى المقاطعات الاسلامية مثل

القوقاز، وايديل- اورال ، والتركستان ، وإنما أكتبها إظهاراً للحق ، وحسرة لهذه الانسانية المذبة ، ورحمة بالاسرى الذين لبوا على اختلاف مذاهبهم نداء الدولة الالمانية بالقاء السلاح وأسرعوا بالمساعدة ليعجلوا بها القضاء على روسيا الشيوعية ، فاذا بهم يجدون أنفسهم فى بحر من الدماء بواد لن تجف دموعه ! ! وكان أشرف للقيادة الالمانية أن تبيدهم لا فى الاسر بل فى ميادين الحرب قبل استجابتهم للنداء الالماني .

ألمانيا تشن حرباً على الروس دون سابق استعداد سياسى:

لايهمنا فى القليل أو الكثير معاملة موسكو للالمان أو لمن سار فى ركابهم لأن الروس أناس جردوا نفوسهم من معانى الانسانية بأكملها، كما تبرءوا من الاديان بكل مافىهذه الكلمة من معنى، وقد أقاموا براهينها فى روسيا قديما وحديثا حتى فى أهدأ الاوقات باقتراف الفظائع والوحشيات التى أقمنا أدلتها بصور أخذناها من صميم حياة الشعب القرمى والشعوب البائسة الاخرى فى عهد القياصرة والشيوعيين معا . ولكنه أمر جدمؤسف أن تصدر هذه المعاملة نفسها من الالمان ، من الذين وقفوا يصرخون فى وجه العالم ويتحدون فيه كل من ادعى تفوقه عليهم فى الانسانية وخدمتها !. . فألوف مؤلفة من أبناء المسلمين الذين ألقوا السلاح بمحض إرادتهم تاركين صفوف الجيش الاحمر ومعرضين أسرهم للخطر سيقوا إلى ماوراء خطوط النار مئات الكيلومترات كقطيع الغنم حفاة الاقدام وعراة الاجسام والرؤوس دون أن يقدم اليهم طعاماً ولا شراباً

أو غطاء ، ومن تأخر منهم بضع خطوات ولو لعذر قاهر مثل المرض أو التعب ، فكان نصيبه رصاصة ترديه قتيلا دون سؤال أو جواب !!.

وأقل احتجاج أو تذمر من المعاملة الالمانية القاسية كان كافياً للجندى أن يودع هذه الدنيا الفانية إلى الابد ، وذلك لأن ساسة الالمان عجزوا عن فهم روح القرميين، والقوقازيين ، وايديل - اوراليين، والتركستانيين ، وتناسوا مايزيد على ثلاثين مليون نفس كانت موسكو قبلا تعمل حسابهم بكل حذر واحتياط شديدين . نعم ، حرم المسلمون فى عهد الشيوعيين من إقامة الشعائر الدينية حرماناً كاملا لاسيما بعد ١٩٣١، وبدأ الناس يقيمون الصلاة ويصومون سراً فى مأواهم قدر الامكان ، وأما الآباء الذين لحقوا أن يختنوا أبناءهم جرياً على سنة الاسلام فأدوا ما عليهم من سنة الرسول ، ثم منعت عملية الختان بعد تزايد الاضطهاد الدينى ، واعتبر البلاشفة كل من قام بعملية التطهير عدو الشيوعية وخارجاً على القانون الشيوعى الثورى ، فلم يجرؤ لذلك الآباء أن يقوموا بتطهير أطفالهم (١) الذين بلغوا فيما بعد سن الجندية ، فجندوا وألقوا السلاح فى الميادين أو أسروا فيها ، ثم سيقوا إلى معسكرات الالمان وراء الخطوط حيث أعدموا اجماعات يعيد ذلك إلى الاذهان كارثة الجنود البولونيين الذين قتلهم الروس فى كاتين وهم مشدودو الوثاق.

كانت الادراة الالمانية تقوم بهذه العملية ضد الاسرى المسلمين الابرياء بعد فرزهم من بين عموم الاسرى فى المعسكر الذى هم سيقوا

---

(١) مسلمو الشمال وأوربا يختنون أبناءهم عامة فى سنهم التاسع أو العاشر.

إليه ، وكان معيارها الوحيد فى الاهتداء إلى مثل هؤلاء « اليهود » فى اعتقادها ختانهم أو جناية الدين الاسلامى عليهم فى نظر دعاة الشيوعيين الذين اتخذوا من هذه الكارثة الاسلامية مادة غزيرة لنشر مبادئهم الشيوعية الهدامة ودليلا مادياً على ما كانوا يقولون قبلا من أن الختان سنة رسول خداع لا تنخدعوا به ولا بدينه .

ثم انتهت هذه الكارثة عندما تدخل فى الامر رجال الأتراك بفضل توسط جعفر بك سيد أحمد قريمر وغيره من الزعماء للدفاع عن مسلمى الشمال .

حاربت ألمانيا موسكو الحمراء لا لانقاذ البشرية المعذبة فى « الجحيم » السوفيتى كما ادعاه قادة الالمان فى أول الامر إنما حاربتها لتحل هى محل الروس فى الشرق ولتبسط سلطانها على القارة الآسيوية طالبة أن يسجد أهلها لهتلر كما سجد الملائكة لآدم ، ولكن ستالين الذى مثل دور الشيطان المارد كان أقدر من رجالها فى دراية قوة الشرق المعنوية واتجاهاتها السياسية.

إختمرت فى رءوس قادة الالمان ، مع الاسف الشديد ، فكرة استعمار الشعوب بحجة أن الامة الالمانية فوق الجميع. لذلك لم يرض روزنبرغ قطعاً، ذلك الفيلسوف الالمانى القصير النظر والحاكم المطلق على مناطق الاتحاد السوفيتى المحتلة ، الاعتراف بحقوق المسلمين أو بحقوق الشعوب الاخرى من البولونيين والاوكرانيين أو غيرهم بل كان يستبد برأيه بشكل غريب ويعتبر شعوب روسيا السوفيتية من جنس واطىء كان مفهومه أن لا حق

لهم فى الحياة ! ولقد أمر من فى إدارته بمعاملة الاسرى والاهالى السوفييت معاملة الشيوعيين لهم قبلا لو لا أشد منه . وبنى نظريته على أن الشعب المحتل أو الأسرى لو أنهم نالوا حق المساواة مع الالمان أو من فى ركابهم وتحرروا من ربقة الذل الذى هم يرزحون تحته لفهموا معنى الحياة ولن يمكن بعده تسخيرهم لخدمة المانيا ، فأدى هذا التفكير إلى قطع الطعام والشراب من الأسرى السوفييت وتدميغهم فى جباههم بختم الجنس الواطى، ثم زج بهم رجال روزنبرغ فى معتقلات أقاموها فى بولونيا ، وروسيا ، واوكرانيا ، والقرم ، ولم يكن بينها وبين معتقلات الروس أى فرق على الاطلاق .

ظن روزنبرغ ورؤساؤه أنفسهم أنهم فى صفوف المتضلعين بشئون روسيا ، واستكبروا عن الاخذ برأى المتبحرين فى سياسة روسيا من أبناء تلك البلاد بل لم يأخذوا أيضاً بآراء ضباط الالمان الكبار ثم تبخرت القوة الالمانية التى هم آمنوا بها واعتمدوا عليها دون أن يقيموا أى وزن لقوة الحق ، فبدأ رجال الدولة من فون پاپن وفون منده وغيرهما راجعون فى إستامبول جعفر سيد أحمد قريمر وغيره من الزعماء ولكن الفرصة الذهبية كانت قد أفلتت هذه المرة أيضاً من يد الالمان كما نبههم إليه زعيم القرم العبقرى عام ١٩٣٧ .

زار سعادة الزعيم جعفر بك قريمر ألمانيا عام ١٩٣٧ للتوسط بينها وبين بولونيا عند ما اشتد الخلاف بين الدولتين واتصل بكبار الالمان فى برلين وأخذ يشرح لهم ، لله ، خطورة روسيا الشيوعية على الدولتين ولكنه لم يستطع أن يغير شيئاً من فكر الالمان وبعد أن ذهبت جميع المحاولات سدى

وأعلنت الحرب كتب فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ مقالا هاماً عنوانه « بولونيا فى سبيل الشرف » بمجلة « أمل مجموعهسى » الصادرة فى رومانيا تحققت فيه نبوءته فيما قال عن ألمانيا الهتلرية وظهرت بوادر تكهناته فيما ذهب إليه من الحكم على روسيا الشيوعية واستهل الزعيم مقاله بقوله :

« قال آدم ميكيفيتش الشاعر البولونى العظيم فى بيت شعر له :
« أيها الوطن المقدس ! ما مبلغ قيمتك وقدرك ؟!
فالشخص الوحيد الذى يقدرهما لك هو من ضحت عنه وحرم منك » .

إن كارثة الشعب البولونى التى دامت مائة وخمسين سنة ، والتى أنهكت قواه ، حملته على تقدير وطنه أكثر من أى شعب آخر ، مع إقناعه بأن دعامة السلام الحقيق والحرية الصادقة إنما تقام على أرض الوطن المستقل لا غير .

لقد لمست روح الأدب البولونى، والموسيقى البولونية ، والفلسفة البولونية مدة قرن ونصف قرن مضى مرارة الكوارث ، وذاق الشعب طعم النكبات المتوالية فثارت لذلك ثائرته وانقلبت مقاومته إلى قوة أبت أن تلين للجبار العنيد .

بولونيا الفتية المناهزة العشرين من عمرها ورثت الكوارث التاريخية والنكبات المؤلمة التى دامت قرناً ونصف قرن . نعم، إنها وارثتها جيلا بعد جيل. وارثة الوطن ، ووارثة الحق والشرف ، وفى كلمة جامعة وارثة استقلالها ومجدها وبطولتها .

أية دولة سواها ضحت فى سبيل استقلالها وفى مثل هذه الفترة الوجيزة بأبنائها الامجاد الذين لا يحصى عددهم ؟ وإذا أخذت الالسنة تسرد كوارث بولونيا يثور الانسان على التاريخ ، ويخجل من صفحاته التى سجلها الطغيان على الانسانية المطالبة بحقوقها . فالابطال البولونيون الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل بولونيا واستقلالها وفى سبيل الشعوب المجاهدة الاخرى ، لو أنهم أطلوا رءوسهم من مراقدهم كم من شعوب عالمية تملى عليها ضمائرها وقفة الاحترام أمام أولئك الشهداء المطلين إلى هذا العالم من وراء القبور .

كان الامر طبيعياً أن يجد الشخص الفاسد النية فى طريقه بولونيا والبولونيين حجر عثرة لأنه لو لم يهدم كيان بولونيا ولم يقض على مقاومة أبطالها الذين يدافعون

عن الشرف والاستقلال لن يجد لنفسه طريقاً يشقها إلى الاستعمار . وهتلر الجبار على الرغم من اعتماده على أقوى جيش مجهز بأحدث الأسلحة الفتاكة قام بتخيف بولونيا عن طريق السياسة مرة وعن طريق تذكير الماضى مرة أخرى ، وأخيراً نفذ وعيده بمد يده للجيش الاحمر وبخطبه ود روسيا، عدوته التاريخية ، ضد شعب مسالم مظلوم لاذنب له سوى وطنيته . وتصرفه هذا هيج شعور البولونيين هياجا كما أحيا فى وعى الطائفة المترددة منهم ذكرى حوادث الماضى وعلى الاخص أعاد إلى أذهانها خطر تقسيم بولونيا للمرة الرابعة . نعم ، تصرف هتلر كاشاءت له نفسه ، ولكنه لم يجن من اتفاقه مع موسكو ماكان يمنيه لنفسه من ثمار وآمال ، إذ أن البولونيين ما ألقوا السلاح كما لم يتزحزح إيمانهم عما كانوا يؤمنون به ، وقد رفضوا جميعا الرضوخ للظلم والجبروت، وساروا قدما فى طريق الدفاع التى رسمها أبطالهم وشهداؤهم ، وهذبتها كوارثهم ، وصلبتها نكباتهم . واليوم يدافع البولونيون البواسل عن استقلالهم وعن كل شبر من أرض بولونيا الحرة مبتسمين للقدر ساخرين من الموت وسجل التاريخ دفاعهم فى أروع صوره . وأبطالهم الذين استشهدوا فى ربوع العالم منذ قرن ونصف قرن كأنهم انبعثوا من جديد ووقف كل منهم فى وجه العدو كقلعة ربانية تصد الهجات الجنونية التى يشنها المغيرون على أرض الوطن البولونى . وبذلك ضربوا للعالم أروع مثال فى الرجولة والبطولة هو فأل الظفر ورمز النصر النهائى إن شاء الله .

نحن نحس بثورة أولئك الشهداء وكأنهم يصيحون لبولونيا فيقولون « إذا انهار كيانك ، وزال استقلالك ، وقضى على حقك ، وهوجم شرفك، ومزقت وحدتك فثيقنى أن أوصافك زائلة عن التاريخ فانية إلى الأبد . أيها البولونيون، إنكم بدفاعكم هذا لاتعملون على إنقاذ الوطن وصيانة الشرف بل تعملون أيضا على نصرة الحق على الباطل وتجاهدون فى سبيل رقى التاريخ الانسانى وتحرير الامم وحفظ الاخلاق وتقديس الشرف » . نعم، تصادمت القوة بالحق ، فانبرى كل منهما يهاجم الآخر حتى يقضى على غريمه قضاء مبرما ! .

« أيتها الامم ! إننا نطالب بالحرية » ، أرادت القوة أن تقضى على هذه الصيحة الشريفة التى انطلقت من أفواه رجال أقاموا الثورة الفرنسية الكبرى . هتلر الذى راح يتعصب لاعادة الامبراطورية الجرمانية والذى انتحل بمذهبه الاشتراكى الوطنى أوضاعا مختلفة يحاول تقسيم العالم شطرين ، ويداعبه خياله بالتملك على مقاليد حكمه وتدفعه

فشوته الى استعمال العنف دون أى مبرر ليصل عن هذا الطريق إلى ما يمنيه لنفسه . يطمع هتلر وأتباعه فى التحكم على مصير العالم ، ويريدون القضاء التام على بولونيا باعتبارها أضر دولة تقف فى طريقهم حجر عثرة . أتستطيع الاعمال غير المشروعة ، التى يقترفها اليوم الفوهرير المحروم من قوة الادراك العلمى والفلسفى المتصف بها فريديريك الثانى ومن البصيرة التى امتاز بها بسمارك الشهير ، أن تمنع التاريخ من أن يأخذ مجراه الطبيعى وهل أنها تملك إعادة الشعوب الى الوراء فى عالم شب من عظة حوادث العشرين قرنا وانتصر بتجاربه على الكوارث والمشكلات ؟ ! لا يكتفى هتلر اليوم بتخطيط الخريطة الجديدة فقط بل أنه يطمع فى التملك على زمام العالم مع تطابق أمره لما فى مخيلته من صور وأشكال فلا تقتنع نفسه الطموحة بضم مدينه دانزيغ والممر البولونى أو لا ترتضى بتحكمها على بولونيا أو على أوربا فقط بل إنها تصر على نشر جناحى صاحبها على العالم بأسره . لا يقف أدولف هتلر عند حد قلب النظام الاجتماعى والسياسى بل إنه يصر على صوغ أسسه الروحية صوغا يهدم دين المجتمع فيطابق أفكاره الشاذة وآراءه الخاصة وقد وصلت اليوم شدة تعصبه لقضيته الجرمانية إلى أعلى الدرجات كلها وقد أباحت له نفسه استعمال العنف والجبروت كما يشاء . لذلك لا يتردد لحظة فى الالتجاء إليهما فى سبيل نوزه ولا يقيم أى وزن لوثائقه ولا لمفاوضاته ولا لمعاهداته ولا لمواثيقه ، ويستهتر بالأسس التى تستند عليها الحقوق الدولية ، وكل هذه الأشياء فى نظره تافهة لا قيمة لها إطلاقا ، لذلك بينما نراه فى هذه اللحظة يعلن بصفة رسمية تأكيده لقوله « لن أعمل » وتقديسه للكرامة الانسانية وللصداقة المتبادلة ويبنى مفاوضاته ومعاهداته على هذه الأسس ، نجده فى لحظة تالية قد انقلب وتبدل وأنكر ما أيده قبلا وأكده سلفاً ، وضرب كل شىء عرض الحائط ، ووصف كل شىء قدسه قبل برهة بأشنع تعابير وقذفه بأقذرها . ومنذ أن بدأ الفوهرير يلعب دوره فى مصير الأمة الألمانية لم نجد له فكرة من أفكاره المنشورة فى « كفاحى » لم يحدث عكسها . فقال مثلا ذات مرة « . . . رأيت كوارث الحرب ، وذقت مرارتها ، وشاهدت أهوالها ، وإنى بشر ، ففكرة الصلح هى التى تسيطر على نفسى . . . » وقال فى عبارة ثانية : « . . . إن البلشفية أكبر كارثة للعالم ، وأعظم آفة له . إنها استبداد قاس يعذب الناس ، ويعبث بالحضارة وأخطر مبدأ يخشى جانبه . . . » وقال فى عبارة ثالثة : « . . . إن حقوق الأمة البولونية العظيمة التى لها مكانتها التاريخية والثقافية مشروعة قدسية . وتأكدوا أن خلافاً لن يحدث

بيننا مدة عشرة أعوام ، ولو ظهر كان حله على أساس مفاوضات ودية . . » ولا حاجة بعد هذا العرض إلى الاسترسال فيما قاله ذلك المستشار بهذا الشأن ، ولنطرح متناقضاته جانبا ، إذ أن العالم أدرك حقيقة أمره ، وسجل التاريخ على صفحاته الخالدة خطواته .

لا يخفى على أحد اخلاص تشمبرلين الانجليزى ودالاديه الفرنسى للوصول مع هتلر الى تفاهم ينقذ الموقف ويبعد العالم من شرور الحرب وويلاتها . وبولونيا فى دورها كانت على استعداد تام لقبول مناقشة مشكلها بشرط ألا تمس سيادتها بسوء . ومساعى روزفلت بجانب توسلات الدول المحايدة ورجاء البابا لتجنب الحرب حينما اشتدت فى البداية خطورتها وتطورت أزماتها قد أوضحت للعالم مواقف الدول من الحرب بشكل من العبث أن نسأل اليوم من هو المسئول عن الحرب ؟ فى الحقيقة للحرب مسئولان ، أحدهما ستالين والآخر هتلر ، إذ أن بركانها انفجر بعد توقيع الاتفاق السوفيتى — الالمانى . وهذا برهان يكفى لتعيين مرتكبى هذه الجناية العالمية . اشتعلت نار الحرب فى أول سبتمبر وهى حرب كان يخافها العالم ، ويتمناها هتلر ، وينفخ فيها ستالين . شن هتلر هجومه على بولونيا هائجاً ، صائحاً ، كاسراً ولكن البولونيين قابلوه ساكتين ببرود وجرأة على حد قول شاعرهم العظيم كراسينسكى الذى قال : « إن الشىء الذى يلعب دوره فى مصير شعب من الشعوب هو البطولة الساكتة وهى عنوان القوة فى تاريخ أمة من الأمم » بهذا المعنى قابل البولونيون هجوم هتلر ، وقذفوا بأنفسهم إلى أتون الوغى ساكتين مدافعين عن شرفهم وحقوق وطنهم ببطولة أصبحت مضرب الأمثال . قام الشعب قومة رجل واحد دفاعا عن تاريخه ، فأسرع إلى الميدان ، وأخذ يصارع الموت ضارعا إلى الله كما ضرع إليه شاعرهم الخالد ميسكيفيتش بدعائه المأثور عنه : « إلهى ، أرنا ميادين الحرب التى تتمخض عنها حريتنا ، وافتح لكل منا فى أرضنا المقدسة قبراً عزيزاً نيراً ! » . قامت بولونيا وأخذت تدافع عن حدودها دفاع الأبطال وكانت كل نفس فيها تستذكر قول الماريشال العظيم يوسف بيلسودسكى الذى قال : « أرى فى الخيال الحائم فوق قبور أجدادى شبح جندى بولونى بقى غريباً عن وطنه تحن نفسه اليه وتتحسر له » .

يحس الانسان فى الصيحات الالمانية بجبروت وظلم بينما يشعر فى الصيحات البولونية ببطولة وإقدام ، ينتحر كثير من الالمان فى بيوتهم بالغاز ، وتلقى الامهات بأنفسهن تحت القطر باكيات قائلات « نريد أبناءنا » ، بينما نرى فى بولونيا الأمر بالعكس

فتجد الشيوخ والنساء والأولاد فيها يسرعون إلى ميدان الوغى خشية حرمانهم من شرف الاشتراك فى الدفاع عن الوطن . ولا تفكر المرأة البولونية فى حياة ابنها أكثر مما تفكر فى حياة بلادها . ولا تطالب الدولة بما تطالبها به زميلتها الألمانية . بل تعتبر مجرد مطالبتها بتجنيد ابنها عاراً على أسرتها . نعم ، نرى اليوم أن البطولة تصارع القوة فثلاثة وثلاثون مليون بولونى قد كشفوا عن صدورهم للموت واتخذوا منها تروساً يصدون بها هجوم تسعين مليون ألمانى . ولا يغمضون عيونهم أمام تهديد الألمان ووعيدهم . هتلر على الرغم من اعتماده على تسعين مليون ألمانى أسرع إلى البلاشفة لطلب مساعدتهم ، فسحق بذلك مبادئه وكرامة أفكاره ، واستهتر بماضيه وحاضره . ولكن بولونيا التى هذبتها الكوارث وأدبتها النكبات لم تقم للمناورات الألمانية وزنا ولم تعتبر قوة ألمانيا أمراً فوق طاقة البشر كما أنها رفضت الاشتراك فى مؤتمر موسكو على الرغم من الدعوة التى وجهتها إليها الدول المتحالفة الصديقة لها . وكانت بولونيا فى موقفها على بصيرة ، ويعترف لها اليوم العالم كله منطقها السليم فى إدراك سياسة موسكو ونيتها أحسن من أية دولة أخرى . فمنطقها السليم هذا هو نتيجة لمقدمات الدروس التى تلقاها البولونيون من تجارب حياتهم المنكوبة . رفضت بولونيا مساعدة البلاشفة التى اقترحتها عليها روسيا ، وجاء ذلك فى تصريح مولوتوف نفسه ، وكما أنها لم تناقش مسألة مساعدة الحلفاء لها حتى فى ساعاتها العصيبة بل اكتفت بالاشارة إلى معاهدة تربط إياها والحلفاء .

تثور نفوس الأمم فى ساعاتها العصيبة ، ويقيم تاريخها برهان مجدها وشرفها ، فتتناقله الألسنة ، ويخلد ذكراه الناس ، وحينئذ تتحكم هذه النفوس فى مصير شعوبها وتسيطر على أفكارها الهائجة وعلى إحساساتها وقراراتها . تحيا هذه القوة الكامنة فى نفوس تلك الشعوب وتوجهها توجيها خاصاً . فاذا كان الأمر كذلك كيف كان للبولونى أن يلبي شيئا آخر غير نداء الحق والشرف وهما الشيئان اللذان ثارت من أجلهما النفوس البولونية ؟ فماذا يستطيع أن يسمع هذا البولونى أمام هذه الصواعق الظالمة الهادمة لدولته غير بطولة وصيحات تتعالى من أنفاس دولة مزقتها كارثة مزمنة دامت مائة وخمسين سنة ؟! أوليس الدافع الذى حمل الماريشال بيلسودسكى على النطق بجملته الخالدة القائلة « إن المغلوب غالب ما رفض التسليم » ، وأولم ينشأ هذا من الكارثة البولونية الكبرى ومن التاريخ البولونى العظيم ؟! ومن أين استلهم الجيش

البولونى تدبير الاحتياط فى حرب الاستقلال وهو الجيش الذى أقام صرح الجمهورية بعد أن حرر بولونيا ؟ فماذا كان العامل المؤثر على قوة الجيش البولونى حين انتصر على الجيش الأحمر عام ١٩٢٠ غير تاريخه وكارثته ؟ أوليس الجيش المحارب اليوم هو نفس الجيش الذى تخرج فى نفس المدرسة ؟ ماذا يتحكم فى روح الجيش ، وفى أفكار رؤسائه وفى مصير بولونيا غير ذكريات الانتصارات التاريخيـة وعظمة البطولة وصيحات الأجداد التى تردد هذه الأوصاف الجيلة كلها ؟ ! ألم يضرب الجيش البولونى حتى فى حداثته أروع مثال بهر به العالم كأنما أتى بمعجزة عجز غيره عن الاتيان بمثلها ؟

نعم ، زعم هتلر صحة ما ذهب إليه من تقدير القوة البولونية الظاهرة وقطع برأيه فى إمكانية القضاء عليها عن طريق تسخير الملايين من جنوده ، وطياراته ، ودباباته ثم آمن بانتصاره عليها وبظفره النهائى . ولكن قوة بولونيا الروحية التى عجز عن إدراك معانيها هتلر ، مضافا إليها الغليان الذى يولد فى النفوس الثائرة توجيهات خاصة فى مثل هذه الظروف ، وروح التاريخ البولونى ، والنتائج المبهرة التى تلى هذه التطورات الفكرية ستثبت لا لهتلر وحده بل للعالم كله أن الايمان أقوى من المادة والبطولة أشجع من القوة . أجل نكرر أن القوة والبطولة قد تقابلا على المسرح مرة أخرى ، ويعتمد القوى على مجموع جيشه ، وعلى عدد طياراته وما لديه من غازات سامة قاتلة ، وعلى إنتاج مصانعه الحربية ، وعلى مقدرته لقذف شعب بأسره إلى الموت كأنما هو أسيره الطائع الخاضع لا يعارض صاحبه ولا يدافع عن نفسه ، ولكن البطل الباسل على الرغم من قلة جنوده ، ومدافعه ، وطياراته ، وغازاته ، ومصانعه الحربية يسخر من الموت ويبتسم له ولا يخاف منه شيئا ، إذ أنه يؤمن ببطولته ويعتمد على قوته الكامنة فى نفسه ويعز شعبه الذى ينصب منه حاكما على بلده ووطنه . ونحن نتساءل الآن أية جبهة ستنضم اليها الدول العالميه ؟ وإلى أيهما سيضع الضمير الانسانى قيمة وثمنا ؟ وأية جبهة منهما ستنال الشرف الأبدى ؟ إن أيدنا القوة وقبلنا مبدأ انتصارها على الحق فعلى العالم أن يرجع القهقرى إلى القرون الوسطى وأن يستنكر إلغاء العبودية ، وانهيار نظام الاقطاعيات ، وقلب نظام الاستبداد وتبديله ، واحترام حقوق الانسان . و . و . الخ . لو لا نسلم فى هذا الصراع تفوق الحق على القوة ونعتقد فيه تحتم علينا أن نحكم بلا ارتياب أننا سائرون إلى الذل والفناء . آراؤنا نحن الأتراك فى هذه المسألة قد عبر عنها تاريخنا أبلغ تعبير وأثبتت صحتها انتصاراتنا

أحسن إثبات . لو لم ينظر الأتراك إلى القوة باعتبارها أضعف من البطولة ، ولو لم يكونوا من مؤيدى هذه الفكرة بالذات لما ترعرع تاريخنا اليوم ، ولما ازدهرت الحضارة التركية بل وجدنا تركيا والأمة التركية قد أصبحتا أثرا بعد عين . دعنا نراقب ونحن مازلنا فى بداية الحرب . لا الجيوش الجرارة حشدت أو عبئت ولا القوات الجبارة أظهرت نفسها فى الميادين . ننتظر قليلا . فلننتظر حتى تبدأ حروب الميادين الكبرى . وأما الأمر الذى يلفت الانظار ويستوقفها الآن فهو صمود أصغر وحدة بولونية وثباتها فى وجه العدو فى فستربلات بشكل يحير المرء ، يقدم أعظم أمل فى إمكانية تغيير مجرى الحرب فيما بعد . الامة ، والوطن ، والاستقلال أمور ثلاثة تتمثل فى الجيش أثناء الحروب بأجلى صورها وتحيا فيه ما بقى مؤمناً برسالته ، آمنا بدعوته . وقد يضطر الجيش البولونى بسبب الظروف العسيرة المقبلة عليه أن يترك للعدو أراضيه وأن يغادرها إلى الخارج . فيجد العدو فى نفسه شجاعة للزحف حتى فارسو ونخطها ، ولكنه مع ذلك لن يتمكن من وضع يده على بولونيا ولا النملك على مصيرها إذأن بولونيا دولة تتمثل روحها فى جيشها ويحيا الوطن فيه . فروحها باعثة بجيشها ومصيرها مرتبط به ، لجيشها مركز تجتمع فيه الافكار ، وتتحد فيه الارواح ، وتتلألأ عين العالم بالنظرة إليه ، وجميع من لهم مقدسات يتمنون انتصار الجيش البولونى وهو أول جيش رفع لواء الثورة عالياً ضد الظلم ، وأخذ على عاتقه مهمة الدفاع .

إن الله بنصر الجيش البولونى إنما ينصر الحق والعدل ويسر ذلك كل شخص يعتبر الحق والبطولة أساسا للحضارة ويؤمن بهما . ومن تردد فى قبول هذا الاساس فليس هو إلا من أنصار رجال يسوقون الحضارة الانسانية إلى كوارث ونكبات . إن دولتى روسيا وألمانيا المسئولتين عن الحرب واللتين تعاديان الحرية والحق، تسخران من شرف غيرهما سوف تعاقبان ولا شك بالقضاء عليهما قضاء مبرما . وأعتقد اعتقاداً جازما انهما ستنهاران بسبب الطرق التى سلكتاها فى هذه الازمات العالمية الكبرى كأية قوة أخرى تناوىء الحق ، وتعرقل سير التاريخ الطبيعى ، وتحاول تجريد العالم من معناه الانسانى . ولو أراد العالم أن يطمئن على سلامته وأن يؤمن لنفسه صلحا شريفا فلن يأتى إلا عن طريق استئصال الشأفة الهتلرية فى الغرب والبلشفية فى الشرق ، ولولا هذا لن يصل العالم إلى سلامه المنشود مادامت أسرته تضم هاتين الدولتين . لقد كان كراسينسكى البولونى يقول فى قطعة شعر له كتبها بعنوان « فليكن

ما يكن » : « فليكن مايكن ، وليحدث مايحدث ، إلا أنى أعتقد فى شىء واحد وهو أن ساعة العدل آتية فى طريقها الينا وستعود إلى بولونيا حياتها من جديد » .

ونحن نقول فى دورنا أمام الحوادث ، فليكن ما يكن ، وليأت مايأت ! . . فاننا نؤمن بعقيدة راسخة فى انتصار الحق والبطولة . .

إن انتصار الحق والبطولة لن يسر بولونيا وحدها ولن يسعدها فقط بل انه سيعود على الانسانية جمعاء بخير وهناءة وسلام وسعادة .

تعش بولونيا عنوان البطولة الفريدة والرافعة للواء الحق والمدافعة عن الشرف ويعش جيشها الباسل القوى الشكيمة ، والمؤمن برسالته » .

إنهارت ألمانيا ونشرت فى أنحاء العالم كتب ومقالات كثيرة تبحث عن حقيقة الأسباب التى أدت إلى فشل الألمان فى روسيا ومنها ما كتبه الماجور جنرال غلابيش البولونى [1] فى مقال طويل ألخصه فى النقط السبع الآتية :

١ — كثرة الأيدى العاملة فى روسيا زادت من قوتها ولاسيما بعد أن شدت الدول الغربية من أزرها .

٢ — إطراد الزيادة فى الانتاج وتموين الجيش المنتظم خصوصا بعد نقل المصانع عبر أورال بعيدة عن الغارات الجوية الألمانية .

٣ — التغير النفسانى الذى طرأ على الجيش السوفيتى بسبب بطولة قادة البلاشفة وبسبب معاملة الألمان السيئة للأقليات ولأسرى الحرب فى المناطق المحتلة وظهور العصابات خلف الخطوط الألمانية .

٤ — دخول الألمان فى الحرب الروسية دون الاستعداد لها على الرغم من تجارب نابليون السابقة واضطرارهم إلى محاربة البلاشفة فى طقس بارد قارص فى مقاطعات واسعة الأطراف .

٥ — أخطاء هتلر فى السياسة والاستراتيجى ، مثلا

تأجيل هجومه على روسيا إلى النصف الثانى من شهر يونيه ،

بدء الهجوم على موسكو فى نوفبر ،

---

(١) « مجلة الشرق » لبولونيا الحرة ، ص ٣٠ ، يوليو ١٩٥٠ ، لندن

تأجيل هجوم ١٩٤٢ الكبير إلى شهر يوليو ،
منع الجنرال باولوس من فك الحصار فى ستالينغراد للتقهقر ،
عدم إقامة دول أوكرانيا ، ولاتفيا ، وليتوانيا ، واستونيا ، وروسيا البيضاء بل القضاء على حكوماتها الجديدة ، وعدم السماح للبلاد المحتلة بانشاء الجيش ، والاكتفاء باستبدال قولخوز الشيوعى بمنظمات ألمانية مماثلة تسمى « كورنكامر » و « لبنسراوم » .

٦ — مساعدة الغرب لروسيا بصفة مستمرة إلى نهاية الحرب ، بينما لم تنل ألمانيا من متفقيها سوى ٢٣ فرقة عام ١٩٤١ ، وزيدت هذه المساعدة إلى ٦١ فرقة عام ١٩٤٢ ، ونقصت إلى ٣٠ فرقة عام ١٩٤٣ .

٧ — سلبية موقف اليابان ساعدت روسيا عام ١٩٤١ على إنقاذ العاصمة بعد أن جلب الروس اليها قوتهم من الشرق الأقصى بحيث لم يبق فيه سوى ١٠ فى المائة من مشاتهم ، بينما اضطر الألمان على ابقاء ٣٥ فى المائة من قوتهم فى الغرب » .

وأما ما نشره المستر ليدل هارت باسهاب فى جريدة « فيغارو ليتيرير » الفرنسية بباريس وما جاء فيها بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٨ تحت عنوان « وثائق انهيار الألمان فى الجبهة الروسية على لسان جنرالاتهم » فمهم للغاية أيضاً وألخصه فيما يلى :

« قام هتلر بهجومه على روسيا دون سابق استعداد سياسى أو عسكرى مما أدى إلى فشله الذريع فى هجومه الخاطف نظرا لطبيعة الأراضى غير المدروسة بحيث اضطر الألمان إلى تغيير خططهم الحربية مرات فأخر ذلك كثيرا تقدمهم المتوقع فى الحساب. كان أحد هذه التغييرات التى أدخلت على الخطط الموضوعة مثلا ضرورة استعمال الزحافات الميكانيكية بدل السيارات المصفحة التى كانت القيادة ارتكنت عليها فى حساب الهجوم ، فالجيش الألمانى المنظم والمسلح بأحدث الأسلحة فى العالم عجز قادته الأقوياء فى مهنهم والضعفاء فى منطقهم عن الاستفادة من خبرة من خاض غمار الحربين العالميتين من ضباطهم العظام . وصرح جميع الجنرالات تقريبا وعلى الأخص فون كلودج ، و بلومنتريت ، و يودل ، وهالدر ، و براوتشيتش وغيرهم بأن الفيلد

ماريشال فون رونشدت كان أشدهم معارضة لفكرة هتلر وخطته وكان أول من أنذره بسوء العواقب بعد أن وجه إليه قوله التاريخي الآتي : « هل فكرتم جيداً فيما أنتم بادئون فيه ؟ » . ولكن الفوهرير لم يأخذ برأيه ولا بآراء غيره ، وكاشفهم بنية هجومه على السوفييت بمدة بسيطة قبل التنفيذ ، يعني في فبراير سنة ١٩٤١ ، وطرح أيضا على الجانب ذلك التقرير القيم الذي رفعه إليه الجنرال كوسترينج، الملحق العسكري الألماني في موسكو ، عن مدى قوة الجيش السوفييتي . وفي النهاية أمر هتلر جيوشه الشرقية بالانقضاض على الروس وبدأ هجومه التاريخي متوكلا على قوته العسكرية وعالقا أمله في أن الثورة بداخلية روسيا قائمة ولابد فدخل المعمعة بمائة وواحد وعشرين فرقة مزودة بستمائة زحافة مقابل مائة وخمس وخمسين فرقة سوفييتية مزودة بألفين وأربعمائة زحافة في قيادة الجنرال بوديني . كان الهجوم يفقد كثيراً من سرعته لطبيعة البلاد إذ أن هطول الامطار لمدة ربع ساعة كان يكفي لحمل القواد على حشد قواتهم بالكثرة في مركز واحد للسيطرة على الموقف » .

حطم هتلر الخطوط الروسية بشجاعة، واندفع إلى داخلية روسيا حيث خاض غمار معارك جنونية ، ثم دافع دفاع المستميت اليائس، وفي آخر الأمر اضطر إلى الاعتراف بعجزه ، فتراجع بعد التقدم ، واختفى بعد أن جرت أخطاؤه الويل على بلاده وشعبه .

نعم ، فات هتلر وأعوانه القطار ، وانجرت الأمة الألمانية من بعده إلى ما تورطت فيه اليوم من مشاكل وصعوبات إنتقاماً من رجال هتلر لمن أعدموهم جماعات في المعسكرات الالمانية المقامة في أراضي السوفييت دون ذنب ولا إثم ارتكبوه . كان ذلك موتاً وهذا موتاً ، ولكن مع الفارق العظيم بين موت الاسرى المسلمين الذين كانوا يصيحون في وجه جلاديهم الالمان مدافعين عن حقوقهم بأعلى صوتهم والدموع تسيل من وجوههم

المظلومة وبين موت روزنبرغ الذى أعدمهم بكل شجاعة وهم أسرى بين يديه ومثل شخصياً أمام الحلفاء دور ضحاياه خائر القوى دون القدرة على أن يبوح سوى بكلمة « لا » التى ماتت بين أسنانه .

وإليكم أيها القراء الكرام مثل من أمثلة معاملة الالمان لأسراهم فى روسيا ينقلها إلينا من كتبت لهم الحياة بعد العيش فى المعسكرات الالمانية التى اقيمت فى أرض الاتحاد السوفييتى المحتلة ولم تكن فظاعتها أقل من فظاعة المعسكرات الشيوعية الحمراء .

جنود مسلمون كثيرون لبوا نداء الالمان وقرروا إلقاء السلاح يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤١ من تلقاء أنفسهم وكان استسلامهم بكامل معداتهم بجوار تاغنروك فى الحروب الدامية التى دارت رحاها هناك . فما لبث أن جردهم الالمان من كل ما يملكونه على علمهم السابق بأمرهم فساقوهم بعد ذلك بدون طعام ولا شراب مسافة مائة وخمسين كيلو متر وبعد قطع هذه الرحلة ماشين على الاقدام وجدوا أنفسهم يوم ١٨ اكتوبر سنة ١٩٤١ فى معتقل محصن بسياج من الاسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة وكان الالمان قد اتخذوا هذا المعتقل من أبنية جامعة الهندسة والصناعات الثقيلة فى مدينة ماريوبول باوكرانيا . كان حينئذ فى المعتقل إثنا عشر ألف أسير فى حالة يرثى لهم ، إذ لم يكن يقل عدد موتاهم يومياً عن مائة شخص وذلك لسوء التغذية ، ونقص الخبز ، وانعدام الماء ، والاغطية ، والعلاج ، والاطباء .

وفى شهر نوفمبر زادت الحالة سوءاً إلى درجة أن خمسة وعشرين أرمنياً ، وخمسة عشر اوكرانيا ، وثمانية تركستانيين أعدموا رمياً بالرصاص ، لأنهم أكلوا لحوم إخوانهم الذين ماتوا فى المعتقل جوعا . وأما فى شهر ديسمبر فوصل عدد الأسرى إلى خمسه وستين ألف أسير ، نقل عشرة آلاف منهم إلى المعتقل الشيوعى القديم المسمى فوزوشيلوف ويقع على بعد عدة كيلو مترات من المدينة . ثم اشتدت الحالة سوءاً ، وبدأ الجوع والمرض يفتكان بالأسرى فتكا فظيعاً حتى بقى من خمسة وستين ألف أسير ٣٥٠٠ شخص فقط ، كان ٤٥٠ منهم مسلمين بقوا مع مجموعة الثلاثة آلاف وخمسمائة شخص، من ذلك العدد الضخم للأسرى الذين لقوا حتفهم فى ذلك المعتقل الصغير بالنسبة للمعسكرات الأخرى . وزار هذا المعتقل فى شهر مارس سنة ١٩٤٢ مدرس بافاري برتبة اليوزباشى التابع لمدينة ليندا او بادنسى واسمه ميلخيور بابتيست فى مهمة تفتيشية فتألم لحالة الاسرى كثيراً ووعدهم بأنه سيحاول إفهام جهات الاختصاص الألمانية وإقناعها بحقيقة ما تجيش به صدور الأسرى وسلامة أفكارهم الانسانية والقومية ووجهة نظرهم فى أصول الحرب وتوجيه السياسة.

ماكان الأهالى والأسرى السوفييت يطلبون من الألمان شيئاً أكثر من الاعتراف باستقلالهم ولو مبدئياً ، ثم تركهم أحراراً فى تأليف جيشهم ليحاربوا به الشيوعيين ويطردوهم بأسلحة موسكو نفسها دون الحاجة إلى عتاد ألمانى . وكان زعماؤهم الذين يتفاوضون مع الالمان يضيفون إلى مايقولون إن القيادة الالمانية لو أنها تشك فى أمرهم أو تخشى الامن أو الاضطراب

فى مؤخرة الجيش فليس عليها الا أن تحتفظ بقواتها المسلحة فى الاحتياط وأن ترابط وراء الخطوط مع احتلال النقط والقلاع التى ترى من صالحها احتلالها للاطمئنان على نفسها حتى تتأكد من حسن نيات الاهالى الذين يريدون تمزيق موسكو الشيوعية . ولكن النفس الالمانية أبت إلا أن تجيبهم بأن ألمانيا ستستولى على الاتحاد السوفييتى بدماء الالمان الطاهرة النقية. وحقاً أمرت ألمانيا بتنفيذ ما قالته ، فامتثلت القيادة أمرها وانصاعت إليه ، ثم دُكت، فأدركت حينئذ خطأها ، وعرضت على القرميين والاوكرانيين وغيرهم عروضها السخية ولكن هيهات ! فاتتها الفرصة الذهبية ،إذ آثر الروس والاوكرانيون كفة الذل الروسى الشيوعى ما دامت ألمانيا لا تختلف فى أساليبها عن الشيوعية ، فانقلب الشعور ضد الالمان الذين خيبوا آمال الشعوب المستعبدة فى الاتحاد السوفييتى ، ومن هنا تولدت فكرة العصابات ، وكانت مصدراً من أهم مصادر القوة الشيوعية التخريبية التى كانت تقوم بنشاط كبير فيما وراء الخطوط الالمانية وتذيق الجيوش الالمانية النظامية الامرين .

وبالعود إلى القضية القرمية كانت معاملة الالمان للقرميين من نفس الطراز الذى عاملوا به الشعوب الاخرى فى مناطق الاتحاد السوفييتى المحتلة . عبرت القوات الالمانية المسلحة حدود القرم يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١ إثر مهاجمتها خلال اورقابى « بيريكوب » ، ولم يرغب الالمان فى الاعتراف بحقوق القرم ، وعارضهم لذلك أهلها فى الداخل والخارج ، وانتقدوا سياسة الدولة الالمانية أشد الانتقاد دفاعاً عن وطنهم القومى ، وكان الامر المرير

تجاهل الالمان لهذه الجزيرة ولتاريخها الاسلامى الحافل بالبطولة ناسين أن أهلها ظلوا ثائرين ضد الروس منذ أن وطئت أقدام هؤلاء الاخيرين أراضى القرم . داست أقدام الالمان أرض القرم وفكرة تجريدها عن أهلها مختمرة فى أذهانهم وقد أنذرهم مراراً زعيم القرم حضرة صاحب المعالى جعفر سيد أحمد قريم بسوء عاقبة معاملتهم الخاطئة والمماثلة لتلك التى صدرت منهم إبان الحرب العالمية الاولى ووقعت فى شركها المانيا نفسها إلا أن الدولة الهتلرية لم تقم للعدل أى وزن فمضى رجالها فى أعمال حفر القبور لغيرهم فما لبثوا أن وقعوا هم فيها بأنفسهم .

يقول ريموند كارتيير فى كتابه (١) « . . . هناك وثيقة جد مهمة ورقمها ١٠١٧ ب . س . ، تحتوى على كلام هتلر الذى يكشف الستار عن الطموح الألمانى كل الكشف . قال هتلر إن واجبنا يقضى بأن نعرف غاياتنا جيداً وبألا ننشر عنها شيئاً . يجب أن نعمل كما عملنا فى نرفيج ، ودنمرك ، وبلجيكا ، وهولندا وسنعلن للناس أننا مضطرون للاستيلاء على هذه البلاد وإدارتها لنقيم الأمن فيها . ونتذرع فى عملياتنا بكون الاستيلاء لصالح الشعب ، إذ أننا نسهر فى بلادها على الأمن والنقل والتموين وسنظهر أمامهم بمظهر المخلص المنقذ ، وكما يجب ألا يعرف أحد شيئاً عن أسرار الخطط النهائية وذلك لا يمنعنا من أن نأخذ أيضاً الاحتياط اللازم لنفى المعارضين وإعدامهم . وسنعمل فى هذه البقاع كما لو كنا نطالب أهلها بحمايتهم لا غير مع عزمنا الاكيد أننا لن نجلو عنها فيما بعد . ويجب علينا قبل كل شىء أن نطمئن تماماً على كيان ألمانيا العظمى ، لذلك لن نسمح فى المستقبل بأن تقوم غربى اورال قوة عسكرية لمدة مائة سنة . كما يجب أيضاً أن يعرف خلفائى من بعدى أن ألمانيا لن تسلم من الخطر إلا إذا نفذت هذه الفكرة ، فمبدأنا هو ألا يحمل السلاح غير الألمان ولو أدى الأمر إلى تجنيد من فى حكمنا ، فأبناء الالمان وحدهم هم الذين يجب أن يحملوا الاسلحة لا السلاف ولا التشيك ولا

(١) « أسرار الحرب التى كشفت عنها محكمة نورمبرغ » ، ص ٢٧٦-٢٧٧ المطبوع فى باريس .

القوزاق ولا الاوكرانيين » .

ثم عدد هتلر البلاد التى سيمسحها عن الوجود فقال عن القرم : « إن القرم يجب أن تنظف من أهلها باحلال الالمان محلهم وستصبح جزأ من أرض المانيا » .

كان الموقف القرمى عام ١٩٤١ مرا ، عصيبا ، مبكيا . تحولت البلاد كلها إلى شعلة نار بتقهقر تحت ألسنة لهبها الجيش الأحمر صوب آفيار « سباسطوبول » الشهير بحصونه المنيعة ، وصوب شبه جزيرة كرتش دون أن يترك وراءه سوى الخراب والدمار والنار بقصد حرمان الجيش الألمانى الزاحف من كل شىء إلى درجة أنه لم ينج من هذه الهمجية الروسية حتى المستشفيات الغاصة بالجرحى والآمنة المصونة فى عرف الدول ، وقد أحرقوا امثلا من ضمن المستشفيات الكثيرة ومستشفى قاراصوبازار الكبير وفى داخله الجرحى بسكب البترول بعد أن مسحت الشيوعية من قلوب الروس مفهوم الانسانية والرحمة والشفقة . كان الروس أثناء تقهقرهم يجبرون الأهالى على الجلاء معهم إلى القوقاز ، وايديل — أورال ، ثم يكرر الألمان نفس العمليات معكوسا ، فاضطر الشبان للالتجاء إلى الجبال بمعداتهم الكاملة ، ثم عادوا إلى مساكنهم ليبحثوا ابين أطلالها عن أهليهم وذويهم ، فما كان من الألمان إلا أن يعتقلوهم ويزجوا بهم فى أعماق السجون كرهائن على الطريقة الروسية الشيوعية نفسها ! ولو قتل أحد من الجنود الألمان فى قرية أو مدينة أو فى أى مكان خلف الخطوط كان القائد الألمانى يدخلها ليأمر أهلها نساء وشبانا وأطفالا وأحداثا وشيوخا بالوقوف صفوفا ليختار القائد من بينهم

عشرة أشخاص أو إثنى عشر شخصاً عن كل جندى ألمانى قتيل ، ثم يأمر جنوده بخلع ثيابهم وتصفيفهم وراء بعضهم أمام حائط ويأمرهم باطلاق الرصاص عليهم من الخلف هائجاً وصائحا على مشهد من أهل القرية أو المدينة « بأن الرصاصة خسارة فيهم » ، وبعد تنفيذ الاعدام يلتفت الضابط إلى الأهالى ويأمرهم بدفن الموتى تحت الحائط دون إجراء المراسم الدينيـة .

تصور معى ، أيها القارىء الكريم ، أن إنكارا وإهانة وإعداما كانت الجائزة الالمانية المقدمة إلى القرم المجاهدة فى سبيل إسترداد حقوقها والتى أعلنت الحرب على الدولة القيصرية والشيوعية قبل أن يعلنها الالمـان بزمن . لم يكن فى القرم من مسلم واجه الالمان بسوء أو إغتال جنودهم ، والله عليم سميع بصير ، لأن التوصيات الصـادرة إلى الشعب ، من زعيمه العبقرى جعفر بك بعدم خلق أسباب من طبيعتها أن تشوه سمعة البـلاد أو أن تحتك بالقوات الالمانية ، كانت محل تقديس القرميين كبارا وصغارا ، فكل ماحدث من سوء إنما حدث إما بفعل الألمـان أنفسهم أو بفعل الـكوماندوس الروسى الشيوعى أو بفعـل قرمى يئس الحياة إثر إهانة غير مغفورة إرتكبها الالمـان ضده أوضد أسرته أو ضد قومه . ولشرح الحالة سأسرد على القراء الـكرام أربع وقائع من جملة حوادث كثيرة خلدها الالمان فى القرم أثناء الاحتلال .

حدث فى صبيحة إستيلاء الالمان على شبه جزيرة القرم ، إلا جزءاً

منها، أن وجد أحد جنودهم الثلاثة قتيلا في قرية «ماماشاى» الواقعة على ضاحية من ضواحي مدينة باغجة سراى . فطير الخبر إلى مركز القيادة الفرعية في المدينة ، وحضر إلى مقر الحادث ضابط ألمانى عبوس برتبة الماجور ، وأمر سكان القرية بالتجمع في ميدان من الميادين العامة ، وانصاع الناس إلى أمر الضابط ، وفي موعد محدد تم حضور السكان جميعاً دون التخلف ثم أمرهم الضابط بالوقوف صفوفا ، وما لبث أن مر بها حتى اختار إثنى عشر شابا من أقوى فتيان القرية ، وأمرهم بخلع ملابسهم ، وتصفيفهم وراء بعضهم أمام حائط ، وبعد تنفيذ الاعدام أمر الاهالى بدفنهم تحت الحائط وردمه عليهم وقال لهم معقباً على فعله الشنيع : « هذا جزاء من يتشجع في قتل الجندى الالمانى ، وإياكم أن تكرروا الحادثة فانى سأحرق القرية عن بكرة أبيها » . وانصرف عائداً إلى مركز القيادة من حيث أتى .

عاد أهل القرية إلى منازلهم متألمين غاضبين ، وأخذ تحقيق القيادة مجراه من العدالة في الايام الثلاثة التالية ليشاهدوا الضابط نفسه موفدا إلى القرية من قبل القيادة العليا لتقديم عذرها عما حدث وتعزية أقارب المتوفين باسمها وذلك بعد أن ثبت للقيادة أن الجندى القتيل لقى حتفه على أثر طعنة قاضية تلقاها من أحد زميليه اللذين كانا يجالسانه أثناء مشادة حادة قامت بينهما أثناء لعب الورق ، قدم الضابط اعتذاره للقرية على لسان القيادة مع بيان أسفه الشديد وحزنه العظيم وندامته الكثيرة على ما صدر منه

قبل التحقيق ، وأذن لها بنبش التراب حتى تستخرج جثث المتوفين الراقدين وتدفنها حسب طقوس دينية كما تأمر بها تقاليد الاسلام فى القرم ، ولكن القرية اكتفت بتقبل العذر مع العتاب وأضافت قولها بأن « المتوفين سيرقدون إلى الأبد حيث هم الآن ، إذ أنهم دخلوا فى عداد الشهداء ، وضمتهم أرض القرم إلى صدرها الحنون » .

وأما الحادثة الثانيـــة فأسردها على ضوء واقعة من الوقائع المماثلة الكثيرة الأخرى التى عمت البلاد القرمية . وقعت هذه الحادثة فى مدينة كوزلوه عقب الاغتيالات التى قام بها رجال الكوماندوس الشيوعى الذين هجموا على المدينة من جهة البحر ليلة نجاح البحرية الشيوعية فى إنزالهم إليها فقامت معركة حامية الوطيس كان يخشى جانبها الألمان وأسفرت عن القتلى واختفت القوة الألمانية وتوارت فى الظلام وتراجع رجال الكوماندوس الشيوعى قبل الفجر إلى قواعدهم بعد أن ارتكبوا فظائعهم واغتيالاتهم ، وبعد قليل وصلت إلى المدينة قوة ألمانية كبيرة حاصرتها من كل جانب ، فسلطت عليها عند الشروق كتائبها لتحصد رجال المدينة دون تمييز ولا تفريق ، وبعد أن علمت انسحاب العصابات وابتعادها عن المدينـة أمرت بوقف إطلاق النيران وإعادة السكون فيها على أن يتجمع سكانها جميعا فى ميدان يقع بجانب القبور فى ضاحيتها الشمالية ، واضطر الأهالى المساكين الذين تملكهم الذعر أن يذعنوا إلى أمر القيادة فتجمعوا فى الميدان حيث أعدم عشرة أشخاص عن كل قتيل ألمانى ، ثم تكررت هـذه الحادثة وبدأ الشبان أن

يهربوا إلى الجبال ويعتصموا بها ، يكرهون الشيوعيين ويمقتون الألمان ، ولا سيما بعد أن عزم هؤلاء الأخيرون التنكيل بسكان المدينة بأساليبهم التى قضوا بها على اليهود فى القرم واوكرانيا ، ولتمت جنايتهم هذه لولا قدر الله ولطفه إنجلى فى اللحظة الأخيرة إذ أن القيادة الالمانية فى القرم تلقت أمراً بالكف عن التنكيل بالاهالى المسلمين ولا سيما أنهم أظهروا استعدادهم للتعاون مع ألمانيا ووعدوها مساعدتهم فى انتزاع سباسطوبول ومنطقة كرتش من يد الشيوعيين الذين أذاقوا الالمان عذاب الجحيم فى هاتين المنطقتين .

وأما الحادثة الثالثة فأشرحها على ضوء واقعة من الوقائع الأليمة التى حدثت دفاعاً عن الشرف وذوداً عن كرامة الوطن ، فهى وقعت كرد فعل مباشر لاهانة ارتكبها جنود الألمان ضد شابين فى مدينة آلوشتا . شابان من خول آلوشتا إستحقرهما الألمان ، وهزءوا بهما عند ما واجهاهم بالحقيقة المرة السافرة عن اعتدائهم على النفوس البريئة من أهل الوطن . تركت هذه الاهانة أثراً فى نفسيهما ، فما كان منهما إلا الهروب إلى جبال القرم والاعتصام بها حيث أسرهما رجال العصابات الاوكرانية واستجوبوهما فقص عليهم الشابان قصة الاهانة التى ألحقها الألمان بهما حين اعترضوا عليهم ، فتمخضت عن ذلك مناقشة حادة حول حقوق القرم وأهلها ، أدت هى مضافاً إليها المسألة الأولى إلى ضربهما ، فلم يجدا بداً من اللجوء إلى الجبال والانتقام لهما . لم يصدق رجال العصابات فى بادىء الامر كلام

الشابين وللاستوثاق من أمرهما كلفهما رئيس العصابات بنسف مبنى سينما آلوشتا المتين على أن تتم عملية النسف فى الليل أثناء العرض الثانى لأنه كان خاصاً بضباط الالمان وجنودهم وساستهم المدنيين . فزود الشابان بما يلزم لهما من أسلحة ممتازة والقنابل اليدوية ، وفى حذر واحتياط تسللا إلى أسوار المدينة فى جنح الظلام يراقبهما رجال العصابات ، فنجحا حسب الخطة المرسومة فى الصعود على سطح المبنى ولبثا منتظرين ساعة العرض السينمائى المطلوب . ولكن الاجل حين تأتى الساعة لا يتقدم لحظة ولا يتأخر ، فكشف مراقب دار السينما أمرهما بعثوره على رصاصة روسية سقطت من أحدهما عفواً دون أن يحس بسقوطها صاحبها على الممر الواقع بين الكراسى ، ثم أبلغ الامر الى مدير السينما وهذا إتصل بدوره حسب التعليمات التى عنده بجهات الاختصاص المطلوبة فأسرع رجال الالمان لمعاينة المكان الذى وجدت فيه الرصاصة بينما كان الشابان يراقبان من أعلى السطح ما يدور فى داخل المبنى بكل جلد وصبر وشجاعة إلى أن كلف أحد الالمان بالصعود على السطح لمعاينته . وهم هذا بامتثال الامر فاذا به يهوى على الأرض جثة هامدة بفعل رصاصة استقرت فى نفسه ، فأمر الثانى والثالث بالصعود ولم يكن حظهما أقل نكبة من حظ الاول ثم ماهى إلا بضع دقائق حتى حاصرت قوة مسلحة المبنى فجرح الشابان بعض جنودها من مكمنهما فى أعلى السطح وأخذا يصيحان فى وجه القوة الالمانية بسخرية ووعيد وضرب النار على كل من يتقرب اليهما ونسف الدار بما لديهم من كفاية الديناميت والقنابل

والرصاص لو أن رجال القوة الالمانية حاولوا دخول المبنى أو الصعود على سطحه . وقالا إنهما سينتقمان منهم لهما جزاء ما اقترفت يد الألمـان من اعتداء صارخ ، وكانا يضيفان إلى مايقولان ان الألمان مسئولون مثل غيرهم عن جرائمهم في القرم ، وظلا ينشنان فى رجال الكتيبة وينذرانهم بين حين وآخر بقنبلة يدوية ، لذلك لم يستطع أحد من الالمان القرب من المبنى ولا الفلاح فى الصعود على سطحه ، وحاولوا إزالهما منه والقبض عليهما أحياء بالقاء القنابل المسيلة للدموع ، غير أنهما بقيا عليه كشوكتين فى حنك القوة المحاصرة إلى أن استقر الرأى على نصب أحد المدافع المضادة للدبابات على تل مشرف على المبنى ودكهما به ، ولـكن الجنود لم ينجحوا ولا فى عمليتهم هذه ، وبعد أن زاد الموقف تحرجا ويئســوا من القبض عليهما قرروا إحراق المبنى عن آخره ، وتمكنوا من سكب البترول فيـه تحت ستار الضرب المتواصل من كل جانب ونفذوا مافـكروا فيه ، ولكن الشابين ظلا يجاوبانهم بالمثل فاحترق المبنى عن آخره ورئى أحدهما يقوم من مكمنه المشتعل ناراً ليتخذ له مكمنا آخر للمقاومة ، وأخيرا احترقت جثتاهما احتراقا فتحولتا إلى الرماد ، ولم يبق منهما سوى العناصر الحديدية لما كانا يحملانه من مسدس وذخائر مستنفدة .

وهنا حادثة رابعة أيضاً تصور قساوة معاملة الالمان لأهل القرم بتكليفهم بجر عربات كانوا يركبونها من مدينة كفه «فيودوسيا» إلى قاراصوبازار وأحلوهم محل الاحصنة وكانوا يضربونهم بسياط أومقارع فى حالة

امتناعهم أو تباطئهم فى القيام بأداء هذه الخدمة المستنكرة . وبعد وصول الضباط إلى حيث يريدون كانوا يدخلون منزلا يحاول صاحبه إكرام ضيوفه الضباط قدر طاقته فيضحى بفرخة وحيدة كانت كل ماتبق له من عهد الشيوعية فاذا به يجازى من قبل ضيوفه المكرمين الذين يلتهمون الطعام المقدم إليهم بصفعةمؤلمة تسأله كيف أنه جرؤعلى ذبح الفرخة دون أخذ رأى القيادة فيها ؟ ! .

هذه هى وقائع أوردتها على سبيل المثال وهى تصور معاملة الألمان للشعب القرى المظلوم : هذه هى تصرفات قيادتهم العامة ولو أنها غيرت سياستها بعد فوات الأوان . ومئات من الحوادث من هذا النوع أثبتت أن هتلر شن حرباً جشعة على إمبراطورية ظالمة دون سابق استعداد سياسى ودون دراسة القوة النفسية والسرية الكامنة فى صدور العناصر التى تتكون منها الامبراطورية البغيضة المراد القضاء عليها .

لم يشن هتلر الحرب على الشيوعية فقط بل أنه شنها أيضاً على الشعب الروسى الذى تتولد منه مشاكل أوربا الشرقية والجنوبية ، ومع ذلك كان غريباً منه أن يأتى الروس على يده ممتازين فى الترتيب الجنسى على صدر قائمة درجات الأجناس فى الاتحاد السوفييتى ، بينما وضع الأتراك المسلمين الذين يزيد عددهم على ثلاثين مليون نفس فى الدرجة الخامسة ، ونالت ألمانيا لقاء ذلك من الروس طعنة قاتلة فى ظهر جيشها المتقهقر ، فى حالة أن المسلمين القرميين وغيرهم أخلصوا لها وساعدوا الجيش الألمانى على مرارة الحوادث

والمعاملات المرة التى لاقوها من القيادة الألمانية فى بلادهم واستحملوا كل ذلك لصدق جهادهم ضد الروس والشيوعية اللعينة ، وأخيراً أدرك هتلر ورجاله خذلانهم ، كما أثبتت تصريحات ضباطه الكبار ظلمهم للقرم والقرميين عند ما شاهدوا فى الميادين إخلاص جيش القرم وتفانى شعبها فى الدفاع عن كل شبر من أراضيها إلى أن اعترفوا نادمين أن ألمانيا ظلمت القرم والقرميين .

والالمان فى أوائل زحفهم إلى القرم فى ٣ نوفمبر ١٩٤١ تقدم جيشهم صوب الجنوب بسرعة ثمانية عشر كيلومتر فى اليوم ثم ما لبث أن هدأت سرعة هذا الزحف عند ما بدأت المقاومة الشيوعية اليائسة — وكثيراً ما كان اليأس مصدر القوة — فصد بها الروس كل هجوم ألمانى بمدار تكازهم على خطى آقيار « سباسطوبول » - كرتش مدة ثمانية أشهر ولم تنزع ، ولاسيما مدينة آقيار المحصنة إلا على أسنة حراب جيش المتطوعين القرميين الذين دخلوا المدينة فى مقدمة الجيش الالمانى الزاحف وقد كافأتهم القيادة الالمانية لبسالته الممتازة ، التى أظهرها فى معارك الميادين والشوارع والمنازل ، بتقديمه نياشين البطولة كما أهدت إلى قيادته علماً قومياً ارفعه على قيادتها العليا . حارب القرميون الملة الروسية الشيوعية بمرارة لا توصف إنتقاماً لشهدائهم الذين سقطوا فى الجهاد وضاقت بهم أرض القرم على رحبها ، وبذلك قطعوا أيضاً دابر العصابات التى كانت ترعب القيادة الالمانية لا سيما فى هجماتها الليلية ، فلم يفلت من أيديهم أحد من جنود الكوماندوس الروس الذين أزلتهم

البحرية الروسية بالكثرة مرتين فى كفه ثم فى كرتش وبعد ذلك فى صوداق فى فترات متعددة . وحدث أن أنزلت مرة فى صوداق مايقرب من ١٠٫٠٠٠ آلاف فدائى فى باخرتين حربيتين روسيتين فاصطادهم المتطوعون القرميون باستدراجهم إلى الشاطىء إصطيادا لم يفلت من الفدائيين إلا عدد يعد على الأصابع مما حمل ستالين ومنياريف على إصدار منشورات مختلفة ولكم مقتطفات من بعضها .

قال ستالين فى أحد منشوراته فى شهر مارس سنة ١٩٤٢ : « أيها القرميون ! كفوا عن القتال ، فنحن سوف ننتصر ، ويذهب الألمان إلى ألمانيا مغلوبين ، ويهرب الرومانيون إلى رومانيا مهزئين ، فالى أين ستذهبون أنتم ؟! » .

وجاء فى منشور آخر له : « نرجو ألا تتعاونوا مع الألمان ، فمن يتعاون معهم إنما هم كلاب مثلهم » .

ثم قال فى منشوره الأخير عند ما لمس فداحة الخسارة بين رجال العصابات الاوكرانية الذين اصطادهم القرميون وأبادهم فى صوادق ، وقايسقور ، وآيسه‌ريس ، وشيلن ، وآربات : « أيها القرميون ! إن الدولة السوفيتية تطلب منكم بقاءكم على الحياد . فرجاؤنا ألا تحاربوا رجالنا . لولا أنتم ، أيها القرميون ، نحن على استعداد لاسترداد القرم فى بحر أيام قلائل » .

وكان رد الشعب القرمى لستالين فى هدوء واتزان : « نحن شعب قرمى إسلامى ودرسنا الروس على دماء شهدائنا وأبريائنا طيلة الاستعمار

القيصرى والشيوعى ، فأنت ياموسكو ! أينها الجائرة التى طالما أزهقت أرواح أبناء القرم الذين طالبوا بحقوقهم فنالوا لذلك منك العذاب ، وكيف لنا أن نسلم إليك رقابنا من جديد ؟!! »

وهكذا تخلصت الحياة فى القرم عام ١٩٤١ من الظلم ، وتنفس الناس الصعداء بعد القضاء على النظام الشيوعى اللعين ، وبدأوا بفتح المدارس والمساجد المحولة سابقاً إلى أندية وسينما واصطبلات خيول ومخازن ومراقص بيد أن التحول فى مجرى الحرب بعد معركة ستالينغراد وبدء الزحف الروسى المضاد صوب القوقاز أضاعت على القرم استقلالها من جديد ، فحارب أبناؤها دفاعا عن حريتهم وذودا عن كرامتهم وشرفهم ووطنهم المقدس ، وواصلوا الجهاد مهما كانت العواقب ، وأخيرا اضطر الجيش القرمى المتطوع إلى الانسحاب وهو يدافع عن كل شبر من أرض القرم ، فسقطت آقيار (سباسطوبول) فى يد الروس يوم ٩ - ٥ - ١٩٤٤ كآخر حصن قرمى بعد معارك دامية حامية الوطيس ، وتراجع جنودنا خلال رومانيا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، والنمسا ، إلى بافاريا وهم يحاربون الروس بحد الجنون ويدافعون عن أراضى الألمان بل ويستبسلون أكثر من الجيش الألمانى نفسه بينما لم يفت قواد الالمان خيانتهم مثل ماحدث فى معركة دارت رحاها على ضفة الدانوب بالقرب من بودابست حيث وقف قسم من الجيش القرمى يصد هجمات الروس فاحتاج للذخائر وطلبها من الماجور شتانغل القائد الالمانى المسئول وهذا بدلا من تموين القوات المحاربة واسعافها

منع الجنود من استعمال قنابلهم ، وعندما استوضحوه الأمر أجاب إجابات واهية ثم لم تمض بضع ساعات حتى أحضر إليهم خراطيش تبينت عند استعمالها أن رؤسها كانت من خشب ، وقد أثار هذا غضب المقاتلين وحمل رياسة الجيش القرمى على الاحتجاج للمر لدى جهات الاختصاص فى الدولة ، فندب هتلر على أثر هذا ضابطا برتبة اليوزباشى لاجراء التحقيق ، فقام الضابط بواجبه خير قيام ورفع تقريره إلى رئيسه وأثبت فيه صحة ماجاء فى الاحتجاجات القرمية ولكنه مع الاسف مات بعد أيام مسموما لاشك أنه ذهب ضحية الماجور الظالم. ثم أمرت قيادة هتلر الجيش القرمى بالانسحاب إلى الخطوط الخلفية فى بافاريا واستدعى الماجور للتحقيق إلا أن بدء انهيار ألمانيا حال دون توقيع العقوبة عليه وهرب فى الآخر إلى شمال إيطاليا حيث لقى حتفه على أثر طعنة سكينة نالها من يد غادة ايطالية حسناء .

وأخيراً انهارت ألمانيا الهتلرية ودفنت معها آمالها التى داعب خيال رجالها ردحاً من الزمن ، وفضل جنودنا أسوة بالجنود التركستانيين ، والقوقازيين ، وايديل — اورالبين الاستسلام للانجليز والفرنسيين والأمريكان الذين سلموا القسم الكبير منهم أثناء الهرج والمرج إلى جلاديهم الروس على الرغم من مخالفة هذا الأمر لقوانين العدل الدولى. ولقد احتج زعيم القرم ورئيس اللجنة العليا جعفر سيد أحمد قريمر على تصرفات السلطات الأوربية أشد الاحتجاج ، وأمرنى بتاريخ ١٦ يونيه سنة ١٩٤٥ بأن أسرع فى مخاطبة رجال الدولة المصرية ودول الشرق الاوسط لايجاد

مأوى للاجئين القرميين وغيرهم من مسلمى الشمال مع إيفاده البكباشى حسين كوموز الشركسى بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ مندوباً خاصاً عن اللجنة العليا لمساعدتى . فما كان منا إلا أن نلجأ إلى مراحم جلالة الملك فاروق الأول ، كما اتصلنا برجال مصر العظام ، وتقدمنا إلى دول الشرق بطلب إيواء جنودنا اللاجئين مع رجائنا أن يخفوا لاغاثة هؤلاء البؤساء الذين كانوا يسلمون لجلاديهم الروس جماعات ، فاحتجت من حسن الحظ بعض الجمعيات والأوساط وإن جاءت احتجاجاتها متأخرة ـ لدى هيئة الأمم ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وأمريكا وسويسرا ، وفاتيكان ، وعزز كل ذلك صرخات لجنتنا العليا بوقف التسليم وقد أوقف التسليم فعلا نحو أواسط ١٩٤٧ ، ولكن يا للأسف لم يكن حينذاك قد بقى فى أركان أوربا سوى ما يزيد على ستة آلاف لاجىء سوفييتى مسلم ! إذ مات الكثير من عددهم البالغ قرابة أربعمائة ألف شخص فى ١٩٤٣ فى الميادين ، أو وقعوا فى الأسر فابيدوا ، أو سلموا قهراً لغاية ١٩٤٧ أو انتحروا فى معسكرات أوربا أو فى أديرتها بطرق تذيب القلوب وتدمع العيون .

وبهذه المناسبة لا أحب أن أمر دون أن أذكر ، ولو بالاختصار ، أنه من مفخرة الاسلام أن نجد فى مصر فضيلة الأستاذ محمد عبداللطيف دراز يدوى صوته فى قاعة البرلمان فى الرد على خطاب العرش عام ١٩٤٥ مدافعاً بكل حماسة وشجاعة عن حقوق القرم وعن اللاجئين السوفييت فى أوربا . وذلك بعد أن أعلن فى نشرة خاصة نداءه إلى ضمير الشعب المصرى النبيل وإليكم نصه :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » حديث

« إلى ضمير الشعب المصرى الكريم

إليك نرفع نداءنا أيها الشعب العزيز ، وعلى ضميرك الحى الحساس نعقد الآمال فى أن يستجيب عظماؤك ونبلاؤك ودولتك لهذا النداء المحزن المترجم عن أنات الأمهات وصرخات الأطفال وعن حيرة من طوح بهم القدر من الأبطال الذين جاهدوا فى سبيل الله ثم اضطروا إلى الهجرة . إن إخوانكم القرميين ومن معهم الذين ذاقوا مرارة الحكم القيصرى والشيوعى والذين تكبدوا مآس لايحدها الوصف ولايحيط بها اللسان لمن أعظم المجاهدين ظلوا يقاومون الروس الطغاة ويستنكرون مظالم الشيوعيين التى تزيد حدتها على مر الأيام وراء ذلك الحائط الذى صبغت جدرانه بدماء الأبرياء . « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

إن إخوانكم فى القرم وفى البلاد الاسلامية الأخرى فى روسيا لا يجاهدون لانقاذ أنفسهم فحسب بل يجاهدون فى نفس الوقت ومن أجلكم لايقاف التسرب الشيوعى والتعصب الروسى الأمران اللذان يفتكان بالحياة والدين فتك الذئاب الجياع بفرائسها . وليس أدل برهان على جهاد مسلمى روسيا الصادق من التاريخ الذى كتبوه بدمائهم ومن الهجرة التى قام بها القرميون خاصة إلى جهة تركوا تعيينها لربهم فراراً من الطاغين كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم . وما أشد تأثر المسلم وانفعاله عند ما يسمع أن الشيخ شامل أحد زعماء مسلمى روسيا الذى عاهد الله أن يوقف زحف الروس إلى بلاده فوقف ينازعهم نزاع الأبطال أكثر من ٢٥ سنة ولما غلبه القدر وتعذر الصمود ناجى ربه إذ قال : « يارب إننى قد جاهدت فى سبيل محمد رسولك الكريم . فالطف بى فى آخر عمرى حتى ألبى دعوتك بجانبه » وقد استجاب الله دعوته ومات فى المدينة ودفن فيها بجانب زعيمه محمد صلى الله عليه وسلم . فهذا مثال من الأمثلة الكثيرة العديدة التى ضربها الشعب الاسلامى فى جهاده ضد الروس . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وها كم مجاهدون من أبنائه . انظروا تروا جيشاً قرمياً كاملا هجر بلده العزيز دفاعا عن حقه . وها كم جيش المدنيين ذكوراً وإناثا ، أطفالا وشيوخا أبى إلا أن يلتحق

بالعسكريين ويجاهد فى صفوفهم بدون أقل تردد أو تشاؤم ، وكل هؤلاء آثروا الموت أو الهجرة بدلا من الاذعان للحكم الروسى الفاسد ، وها كم أبطال العقيدة الاسلامية فى عصرنا الحاضر ضربوا لنا فيها المثل الأعلى وعلى التاريخ أن يسجله . إن هذه الطائفة الممتازة التى رسخ فى نفسها الاسلام لجديرة بأن تنال حقها الشرعى فى الدنيا والآخرة .

وقد وجب على الأمة المصرية الكريمة البارة أن تسرع من جانبها على رأس البلاد الاسلامية الاخرى فى مساعدة هؤلاء المهاجرين القرميين وغيرهم الذين بقوا فى أوربا تحت رحمة الكنيسة فى إيطاليا وألمانيا مساعدة مالية وأن تؤلف لجانا خاصة من أبنائها المسلمين الكرام تسعى لايجاد مأوى لهم فى أرض لاتقع تحت النفوذ الروسى « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » .

وهؤلاء القوم أدوا فى الواقع واجبهم على أكمل وجه ثم هاجر من استطاع منهم ليتابع جهاده فى الخارج . والآن قد بقى علينا أن نمثل دور الانصار الكرام فى مدهم بالمساعدة المالية والسياسية بحيث نطلب حكومة وشعبا من السلطات الانجليزية والامريكية لكيلا تسلمهم إلى الروس أعداء البشرية ونحس المدنية . ونحن يامعشر المصريين لو أدينا هذا الواجب الانسانى فقد شاركناهم فى محنتهم ولعل الخير القليل يكون السبب الاول فى مواصلة الجهاد والكفاح والظفر الاسلامى . « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » . « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون » .

سنة ١٩٤٥ محمد عبد اللطيف دراز

السكرتير العام للجامع الازهر والمعاهد الدينية

وعضو مجلس النواب المصرى ،

وقد أقيمت فى مصر « لجنة إغاثة المسلمين المشردين فى أوربا » بلفتة ملكية كريمة وكلف سعادة كامل بك عبد الرحيم وكيل الخارجية والمسلم الغيور باقامتها من كرام الرجال فى أوائل ١٩٤٦ ولكنها لم تسر سيرها الطبيعى الحازم

أمام الصعوبات المختلفة الكثيرة ومنها المشكلة الفلسطينية إلا فى أواسط عام ١٩٤٧ عند ما أذن جلالة الملك لحضرة صاحب المجد النبيل عمرو إبراهيم بتولى رياستها ، وسمحت وزارة الشئون للجنة بجمع التبرعات ، فوصلت بفضل الرئيس النبيل إلى تسعة عشر ألفاً وسبمائة وخمسة جنيهات مصرية صرف نصف هذا المبلغ فى سبيل الهدايا المرسلة إلى اللاجئين فى أوربا ، ورصد الباقى للصرف منه على مائة وثلاثة وخمسين لاجئاً وصلوا إلى مصر كالدفعة الأولى. وقد كان موقف حضرة صاحب المجد النبيل من اللاجئين مشرفاً لمصر ولأسرتها المالكة ، إذ تحمل نبالته فى سبيلهم أتعاباً مادية وروحية ما لا يتحملها الا الهيئات والحكومات. وبصفتى كنت أحد سكرتيريه المنتدبين فى اللجنة قد لمست من نبالته حقائق هى عنوان الرجولة والضمير الحى . وكل ما أستطيع أن أقرر من غزارة عطفه على من ضمتهم اللجنة من إخوانه اللاجئين أنه لم يعمل فيها إلا كشخص سامى الأخلاق ، متواضع للغاية ، عطوف عليهم كأنهم أبناؤه ، وقد صرف عليهم من جيبه الخاص قرابة خمسة عشر ألف جنيه مصرى ، جزاه الله عن عمله الانسانى خير الجزاء.

إنسحب الجيش المتطوع من القرم عام ١٩٤٤ ، وانضم إليه من استطاع اللحاق به ، وبقى فى البلاد بعد القتل والذبح قرابة نصف مليون مسلم نكل بهم الجيش الأحمر تنكيلا ثم نفتهم موسكو جميعاً دون أن تترك فى الجزيرة مسلماً واحداً ، وعرضت قرار إجلائهم عن البلاد على هيئة رياسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتى فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٦ حيث وقف الرفيق باخوروف

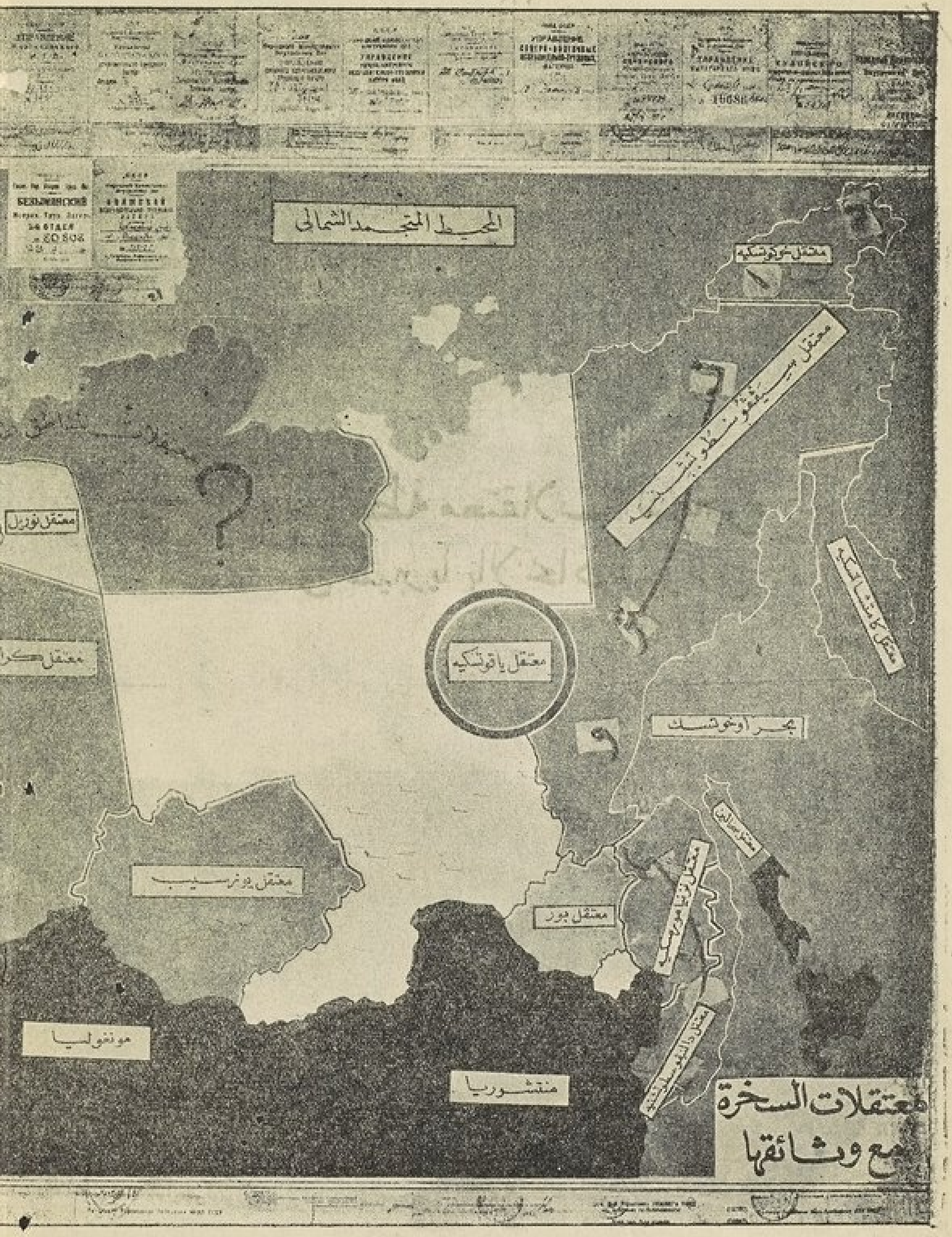
سكرتير الهيئة فى المجلس يدلى بالأسباب التى دعت موسكو إلى القيام بهذا العمل للقضاء على حركات القرميين وأهل شمال القوقاز الذين ظلوا ثائرين مدة أعوام طويلة لفصل القرم وشمال القوقاز عن الاتحاد السوفييتى لا سيما بالتعاون مع العدو.

نفت موسكو الشعب القرمى إلى مجاهل سيبريا فى أماكن متفرقة لا ندريها بالضبط ولو حملت إلينا الأنباء أن معظم الشبان سيقوا إلى معتقلات السخرة فى مناطق « كومى » المشئومة وأن البعض الآخرين إلى معتقلات فى مناطق اورال وأسكن الكرملين القرم من بعدهم اليهود، والروس، والاوكرانيين، والليتوانيين، وبذلك أسدل الروس فى سنة ١٩٤٦ الستار على الشعب القرمى الاسلامى العريق فى نسبه الذى يغايرهم فى أصلهم وجنسهم ولغتهم ودينهم وتقاليدهم وثقافتهم كل المغايرة وقضوا على القرم ليعودوا إلى تطبيق نفس السياسة النكراء وفى بلاد القوقاز، وايديل — اورال، والتركستان.

معتقلات السخرة :

تدين روسيا السوفييتية بنجاحها الاقتصادى قبل كل شىء لغنى طبيعتها بمواد خام والجيش المعتقلين والاسرى الذين يسخرون فى سبيل الانتاج تسخيراً. وتتضارب الأقوال فى العالم حول عدد المسخرين فى « معتقلات التأديب »، كما تعبر عنها موسكو، ولكن العدد الذى يكاد المرء يقطع به بالاستناد إلى مصادر وثيقة هو ما يزيد على خمسة وعشرين مليون شخص. فهذه المناطق الشاسعة التى ينتشر فى ربوعها هذه المعتقلات حملت روسيا على تنويعها، ولا تخرج حدودها فى معظم الاوقات عن حدود المناطق الادارية التى يسميها الروس

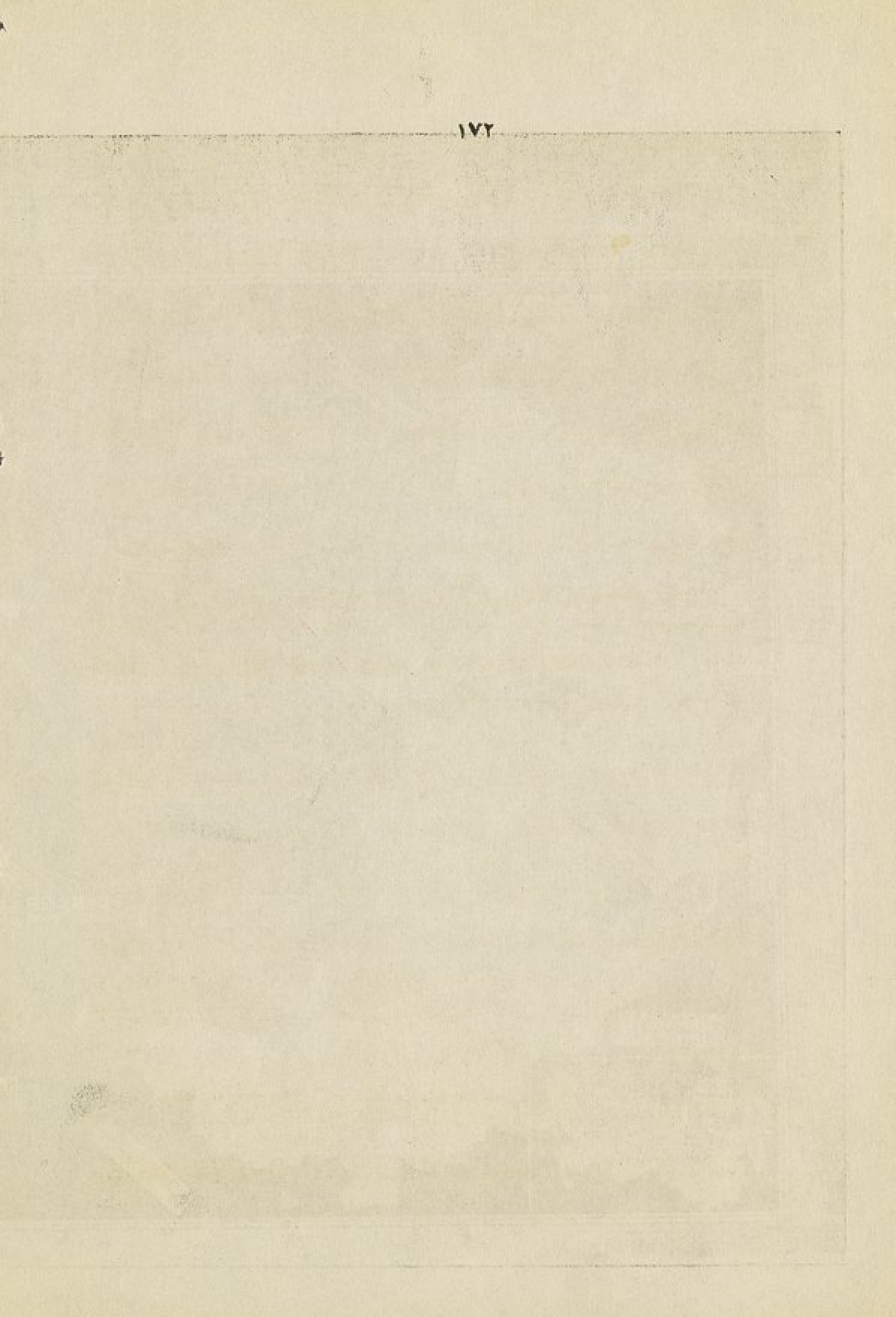
خريطة معتقلات السخرة
فى سيبريا بالاتحاد السوفيتى



المحيط المتجمد الشمالي
معتقل نوزل
معتقل ياقوتسكيه
بحر اوخوتسك
معتقل بورتسيب
معتقل بور
مونغوليا
منشوريا
معتقلات السخرة مع وثائقها



بحر البلطيق
البحر الأسود
ايران
معتقل قار
معتقل سيب
التركستان الشرقية



« اوبلاست » ويسمى مجلس إدارة هذه المعتقلات « غولاغ » ومركزه فى موسكو كما هو مبين فى الخريطة .

تقسم هذه المعتقلات بإشراف مجلس إدارتها إلى مناطق يسميها الروس « او تديلنيه » التى تقسم فى دورها إلى معسكرات أصغر تسمى « لاغبونكس » ويسخر معسكر من هذه المعسكرات من عدة مئات إلى عدة آلاف عامل . فلاغبونس الواحد مثلا يسخر على المتوسط من ٦٠٠ إلى ١٨٠٠ شخص ، وكل شعبة من هذه المعتقلات لها برنامجها الاقتصادى المطلوب إنجازه . وأما طعام المسخرين وكساؤهم فيتوقف على الكمية المقررة أو النسبة المئوية التى ينالونها مقابل أداء العمل المطلوب . وأما الامن الداخلى فى عموم المناطق فيقوم به جيش أنكافيدى الخاص بطريقته المعروفة عنها .

رسمت هذه الخريطة بناء على الوثائق الروسية السوفييتية الاصلية الرسمية التى سلمت للمعتقلين البولونيين كشهادة إخلاء السبيل عام ١٩٤٢ وتؤكد ما جاء فيها وأقوال الاسرى الذين عاشوا فيها قديما وحديثاً ولا سيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٢ . وفى الجزء العلوى منها صور الوثائق السوفييتية الرسمية من إدارة سلطات المعتقلات ، وأما فى الجزء السفلى فصور تنظيمها مع العلم أن الخريطة ليست كاملة بعد . إنها خريطة معتقلات اورال وسيبريا ، بينما توجد هناك معتقلات كثيرة أخرى مشتتة وخارجة عن هذا التنظيم . فهناك مثلا معتقلات فى اوكرانيا ، وروسيا البيضاء ، والقوقاز وفى جمهوريات أواسط آسيا ، لم تشر الخريطة مثلا إلى المعتقلات

الموجودة فى منطقة موسكو، ولا إلى الخط الحديدى « تابشت » الذى بدىء فى إنشائه موازيا لخط إركوت — شيتا — فلاديفوستوك، ولا إلى الخط الشمالى الماضى فى انشائه والذى سيصل مورمانسك بخليج بهرنج، ولا إلى المعتقلات التى أنشئت فى البلاد التى احتلها السوفييت مابين ١٩٣٩ و١٩٤١.

وحدود المعتقلات مخطوطة بينة. وكل عنوان فيها يرمز إلى اسم المعتقل بالاختصار و باللغة الروسية. وأما الخطوط الدائرية فترمز إلى معتقلات غير داخلة فى نطاق غولاغ وتابعة رأسا لسلطات أنكافيدى.

وفيما يلى أسماء المعتقلات الرئيسية واختصاصات عمالها المسخرين:

معتقل سوروك: يسخر عماله فى استحصال المعدن الخفيف، وصناعته، وإنشاء خطوط حديدية، والأنفاق، وحفر القنوات، وفى أعمال كهربية، وإنشاء مطارات، وصناعة الطوب، وفى المحاجر، وصناعة أخشاب البناء، وصيد السمك.

معتقل سيفيرونيكل: يقع جنوبى مورمانسك، ويسخر عماله فى المناجم لاستحصال الالمنيوم، والنيكل، والنحاس، والرصاص، والزنك، والصناعة الحديدية الخفيفة.

معتقل ب. ب. ك: يسخر عماله فى الانشاءات، والاعتناء بالقناة التى تربط بحر البلطيق بالبحر الابيض الشمالى.

معتقل فولغوستروى: يسخر عماله فى الانشاءات، ويقومون بالاعتناء بالقناة التى تصل نهر فولغا ببحر البلطيق، وفى إنشاء خطوط حديدية، وفى المحاجر وفى صناعة أخشاب البناء، وفى ايجاد بحر يسمونه بحر ربنسك بين نهرى مولوغا وشكسنا.

معتقل اونغ: يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء، وانشاء خطوط حديدية، وفى صناعة الطوب، وفى الزراعة.

معتقل كارغوبول: يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء، والزراعة، وإنشاء المطارات.

معتقل سيفدفين : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، والورق ، وفى إنشاء المدن، والطرق الحديدية ، وحفر القنوات ، وانشاء المطارات ، وفى المحاجر .

معتقل كولوى : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وجلاء الاثاث .

معتقل اوختزم : يسخر عماله فى استخراج البترول ، وفى مناجم الذهب ، والاسمنت والاسفلت ، والفحم ، والراديوم المستخرج من الماء ، وانشاء الطرق ، وفى المحاجر ، وفى صناعة أخشاب البناء ، وفى الزراعة فى صوفخوز .

معتقل اوستفم : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، والطوب ، وإنشاء الطرق .

معتقل بيخور : يسخر عماله فى إنشاء خطوط حديدية ، والمطارات ، وفى صناعة أخشاب البناء ، وفى المحاجر ، والزراعة .

معتقل فوركوتسترى : يسخر عماله فى إنشاء الطرق ، والسكك الحديدية ، والمطارات ومناجم الفحم .

معتقل سيفزلدور : يسخر عماله فى إنشاء السكك الحديدية بين كوتلاس وفوركوتا .

معتقل اونز : يسخر عماله فى إنشاء سكك الحديد ، وصناعة أخشاب البناء ، والطوب .

معتقل تيمنكوفسكيه : وهو معتقل كبير جدا تسخر فيه نساء كثيرات ديوتماء ، ويشتغلن فى صناعة أخشاب البناء ، وفى الزراعة فى صوفخوز ، وخياطة الملابس العسكرية المختلفة والصوفية . وفى المعتقل مصنع للالعاب والمسليات الاخرى المصنوعة من الخشب . وحول هذا المعتقل أثناء الحرب إلى مركز إنشاء الصناديق للذخائر الحربية .

معتقلا سامار و بسمين : يسخر العمال فيهما فى مصانع الذخائر ، وفى إنشاء مدينة بسمين الصناعية ، وإنشاء مطارات تحت الارض ، وحفر نهر فولغا ، وإنشاء الطرق ، وفى المحاجر ، وصناعة الطوب ، والزراعة .

معتقل اوسوبسترى : يسخر العمال فيه فى مصانع ذخائر حربية للتسلح الحرب .

معتقل يوز : يقع فى القوقاز جنوبى باكو ، ويسخر فيه العمال فى إنشاء السكك الحديدية الحربية بين لنكوران وصالانى ، وفى بناء المطارات ، وأعمال التسلح .

معتقل فيات : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق الحديدية ، والمطارات .

معتقل اوسول : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وانشاء الطرق ، وجلاء الاثاث .

معتقل سيفورال : يسخر عماله فى مناجم الذهب ، والمعادن الخفيفة ، والمعادن ذات القيم ، وفى مناجم الفحم ، وصناعة الحديد ، ومصانع الطائرات ، وانشاء المطارات

وفى المحاجر، وصناعة الطوب، وأخشاب البناء .

معتقل يفدل : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق .

معتقل قار : يسخر عماله فى مناجم الفحم ، والمعادن الخفيفة ، وبناء المصانع ، والآلات ، وفى المحاجر ، والطرب ، وإنشاء الطرق الحديدية ، وفى الزراعة .

معتقل طوبولسكيه : يسخر عماله فى مناجم الفحم ، والحديد ، وفى المحاجر ، وصناعة الطوب ، وإنشاء الطرق .

معتقل سيب : يسخر عماله فى مناجم الحديد ، وفى المحاجر ، وصناعة الطوب ، وإنشاء الطرق ، وصناعة أخشاب البناء ، والزراعة ، والمطاحن ، والنسيج ، ومصانع الحياطة ، والدباغة ، والاسبرتو .

معتقل طوماصن : يسخر عماله فى صناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق ، وحملاء الاثاث .

معتقل كراس : يسخر عماله فى مناجم الفحم ، وصناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق الحديدية .

معتقل نوريل : يسخر عماله فى مناجم الفحم ، وصناعة أخشاب البناء ، وإنشاء الطرق الحديدية .

معتقل بوزسيب : يسخر عماله فى إنشاء الطرق الحديدية ، والطرق العامة ، وفى المحاجر ، وصناعة أخشاب البناء .

وأما معتقلات منطقة دالستروى الواقعة فى أقصى شرق سيبريا فيرسل إليها السياسيون أو المجرمون الذين حكم عليهم مدى الحياة ومثلا :

معتقلات بوز ، ونزنيامورسكيه ، ودالنيقوستوجنيه : يسخر عمالها فى الموانى ، وإنشاء الطرق ، والسكك الحديدية ، والتسلح الحربى ، وإنشاء المطارات ، وتجهيز ذخائر الجيش والآلات ، وفى بناء المدن

معتقلات ياقوتسكيه ، وسيفوستوتشنيه ، وكوكوتا ، وكامتشاتكا ، وسخالين : يسخر عمالها فى مناجم الذهب وأغناها فى كوليما ، وفى مناجم البلاتين ، والرصاص ، وانشاء الطرق ، والمطارات ، وصناعة أخشاب البناء ، وفى المحاجر ، وصيد السمك ، وتعبئة علب كونسرفا .

معتقل نيولاند : يسخر عماله فى مناجم الفحم ، وصيد السمك .

وأما المعتقلات التى لا تدخل فى نطاق هذه المعتقلات والتى أشيرت اليها بخطوط

دائرية واقعة غربي روسيا وفى القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى فيعملون فى إنشاء المطارات ، والطرق ، وفى المحاجر ، وجميع أنواع المصانع ، وأعمال التسلح .

نفى الشعب القرمى التركى الاسلامى بأسره إلى سيبيريا وزج فى معتقلاتها المختلفة بتهمة الحركة الانفصالية ، وأصبح مع أهل التشيتشين - إنغوش وغيرهم منذ يونيه ١٩٤٦ يسخر فيها محروماً من كل حق إنسانى . وقد سكت العالم الشرقى فى هذا الموضوع وأمسك عن الكلام فى محل وجوبه فى حين أن المسيحية أسرعت تدافع عن الوجهة الاسلامية فى القرم وشمال القوقاز ولا سيما منذ ١٩٤٦ . فبم تفسر هذا الموقف الشرقى السلبى تجاه شعب إسلامى مظلوم ؟! بالضعف ؟! ليس الشرق بضعيف إلى درجة أنه يعجز عن رفع صوته باستنكار الوحشية الروسية خصوصاً أن هؤلاء البؤساء ما طلبوا منه تجريد جيوشه على الروس . بفتور همته ؟! نعم . لم يدرس الشرق روسيا وأساليبها ، والأغرب من ذلك أنه لا يريد أن يدرسها ، وللأسف ليس فيه قسم أو خلية تكرس فيها الحياة لدراسة موسكو على حقيقتها ، وقضايا الأقليات فى الاتحاد السوفييتى بما فيها مشكلة المسلمين ، والنظم الشيوعية بغية التوصل إلى ما تخفيه روسيا وراء ستارها من خطط للشرق الاسلامى . بينما حفنة من اليهود قد جلبوا لجامعتهم العبرية فى القدس قرابة خمسين ألف مجلد يبحث فى شئون الموضوعات المتقدمة الذكر وذلك لا ليصبحوا شيوعيين إنما ليعرفوا روسيا على حقيقتها وغايات أقلياتها وغرائز الشعوب والعناصر التى تتكون منها الامبراطورية الحمراء . وهذا هو السبب فى سر نجاحهم فى كسب تأييد المعسكرين المتعارضين

لدولتهم التى أقاموها غصباً فى قلب بلاد الاسلام !

قضى على القرم بأشنع صورة وتطالب اللجنة العليا للدفاع عن القرميين الدول الاسلامية باسم الاسلام ، والاوربيين باسم الانسانية ، باعادة الشعب المنفى المسخر فى سيبريا الى وطنه . فالدفاع عن القرم والقرميين ومن فى حكمهم ضرورى لتفادى حوادث المستقبل الأليمة التى ستتمخض عن السكوت أمام الظلم الموسكوفى . ورب قائل يقول ما لنا وحالة القرم ومسلمى الشمال مادام الخطر بعيداً عنا بمراحل ؟ فيجيب هؤلاء عليه أولا بأنهم أخذوا الاسلام عن العرب عن الذين نقلوا اليهم حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم القائل « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أين هم المسلمون ، وأين السهر ، وأين الحمى ؟

القرميون يرجون دول الجامعة العربية والاسلامية أن تهتم بهذه الكارثة الاسلامية فى بلادها وفى مجالس هيئة الأمم ، وأن تقف فى دورات مجالس هيئة الأمم للدفاع عن حق القرم كما وقفت المسز باربارا كاسل المندوبة الانجليزية الشجيعة المشكورة السعى تدافع على لسان الانجليز فى ليك سكسيس فى اكتوبر سنة ١٩٤٩ عن حقوق القرم وبلاد التشيتشين - انغوش حتى اندهش لمعلوماتها الأعضاء المسلمون مع إظهار تأثرهم العميق لما وصلت إليه حالة إخوانهم فى البلاد المذكورة .

وانهم يجيبون عليه ثانياً بأن الشيوعية لو أنها دامت لمدة ربع قرن آخر لن نجد فى روسيا وطنا قومياً حتى نقول هذا للمسلمين وذاك للمسيحيين . نعم ،

تقضى الدولة الشيوعية على المسيحيين أسوة بالمسلمين وتخلط الشعوب فى بعضها ولكن النتيجة تصل إلى إفادة العنصر السلافى أكثر من غيره إذ تذاب فيه العناصر الأخرى لأمور أتقنت الروس سياستها وهى جل ما كان يرجوه القياصرة من وراء الاضطهاد فى عهودهم السابقة . والنتيجة بالنسبة للعرب ولغيرهم من المسلمين ستكون أوخم لو أنهم فشلوا فى إلزام موسكو حدودها اليوم إذ أنها سوف تتمكن من القضاء على شعوب القوقاز ، وايديل - اورال ، والتركستان بتشريد أهلها كما قضت على القرم وسوف يخرج كل وليد فى البطن الثانى أو الثالث على العرب والمسلمين ليمثل دور من كان أجدادهم مؤمنين ثم انقلب أحفادهم بسبب الاضطهاد الذى لم يهتم به العالم الاسلامى أعداء الاسلام الألداء وعندئذ سيزحفون إلى الشرق للاستيلاء عليه بصفتهم روسيين كما سبق أن ذكرت أدلته بين جلدتى هذا الكتاب .

على الشرق الاسلامى أن يفهم خطورة الاضطهاد فى روسيا لا من حيث المقدمات العاطفية التى أصبحت تزول بمجرد الانتقال من موضوع الحديث ، بل عليه أن يفهمها من حيث النتائج التى وصلت إليها الحالة الاسلامية فى روسيا القيصرية والشيوعية ، وأن يدرس حالة الاتحاد السوفيتى لا عن ركن الاقتصاد الذى تستفيد منه موسكو فقط ، ولا عن العاصمة الروسية ، ولا خلال المنظار الشيوعى بل عليه أن يدرسها من ناحية لها خطورتها العظمى ألا وهى القضاء على كيان الدول وإذابة الأقليات فى

العنصر الروسي .

تقول موسكو إنها خلقت من أرض الاتحاد « جنة » . وهل من شخص عالم بحال شعوب الاتحاد السوفييتي فتح له الكرملين أبواب «جنته الموصدة» حتى يتسنى له زيارة المقاطعات الاسلامية وغيرها والخلوة مع أهلها ، والمراقبة والمقارنه ؟ ؟ لا ، لم يحدث شيء من ذلك قطعاً . وإذا كانت هنالك جنة لم تغلق أبوابها في وجه العالم ؟ ! أليس من الأحسن أن يدعو الشيوعيون لزيارتها الناس حتى يتكلم عنها الجمهور بأدلة واقعية أخذت من صميم الحياة في « الفردوس الشيوعي » ؟ !

فحقيقة الموضوع هو أن الشعوب والأقليات في روسيا مستعبدة معذبة ، والمسلمون مثل غيرهم يقاومون الاضطهاد ، ولكن مقاومة الانسان لاشك لها حدودها . فالجيل الحديث مثلا لقد نشأ وتربى في مدارس إلحادية بعيداً عن أصول الاسلام وهؤلاء لا يعرفون الآن عن الاسلام شيئاً ، هذا ما أنتجته الشيوعية من ثمار في ربع قرن مضى واحكموا أنتم أيها السادة على خطورة نتائجها بعد ربع قرن آخر .

أعود إلى خطورة الشيوعية فأكرر أن الاغترار ببعد الخطر الشيوعي البلشفي عن الشرق الاسلامي سيجر أهله إلى نكبات جد مؤلمة وأن الأخذ بنظرية بعد المسافة بينه وبين موسكو غير سليمة على الاطلاق . إذ هكذا اغتر في التاريخ رجال الامبراطورية العثمانية ببعد الخطر الموسكوفي على الرغم من مساعي ملوك القرم لافت أنظارهم إلى دنوه ولكنهم مع الأسف

ما أحسوا به إلا بعد فوات الأوان .

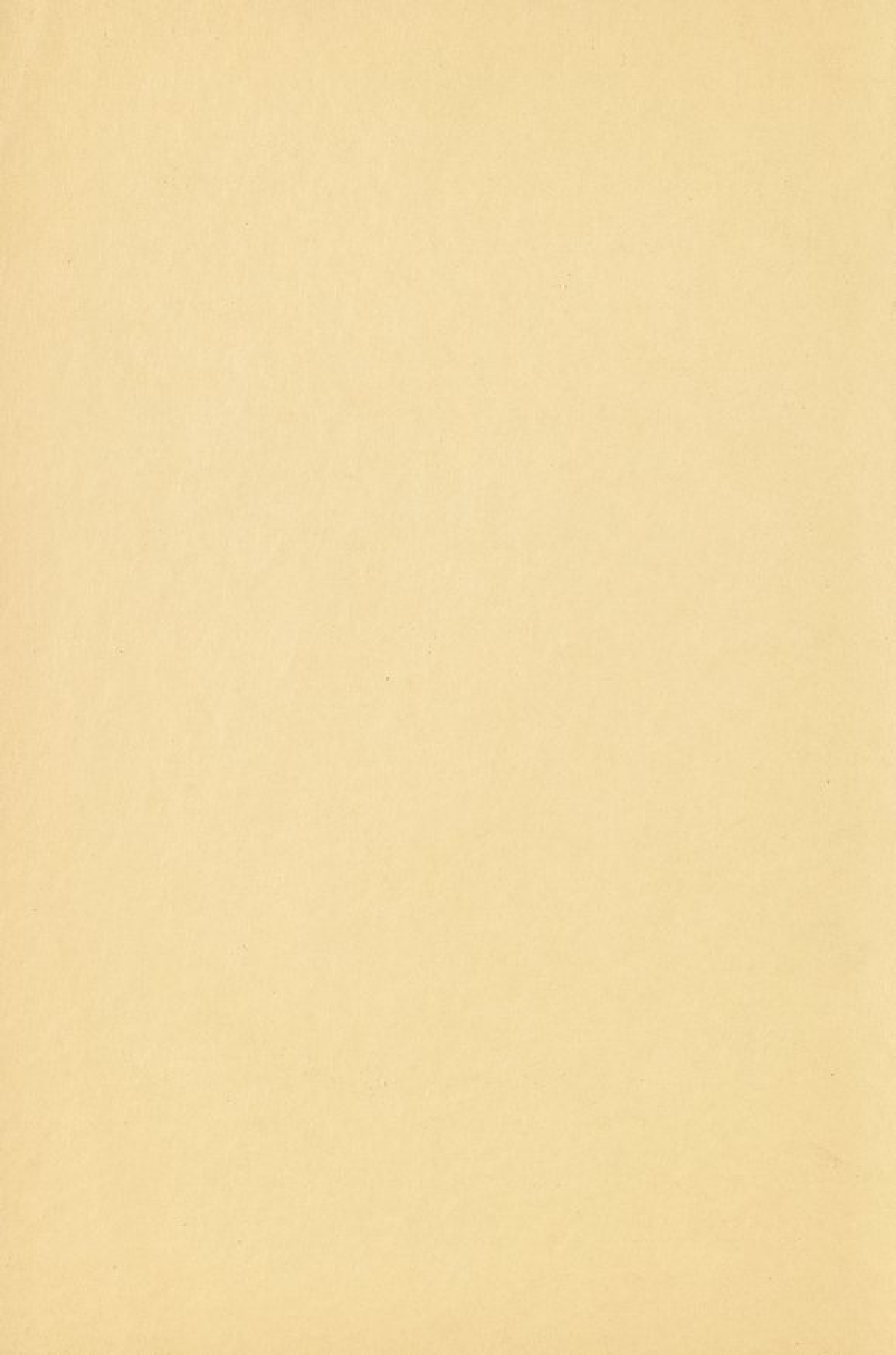
لم نتمكن من إنقاذ القرم على الرغم من المساعى الجبارة التى بذلناها بكل ما فى البذل من معنى ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وله عاقبة الامور .

وقد أثبتت المشاكل التاريخية والحديثة أن ذكاء الانسان وحده لا يجدى نفعاً حين يضطرب الموقف ويتحرج خصوصاً فى بلاد الروس ، وأنه يعجز بالمرة عن انقاذ الحالة واسعافها لاسيما لو بات صدى الاستغاثة عقيما لا تردده قوة خارجية بالايجاب ، فكم من معارك حربية يضيعها الجيش وكم من مواقع حامية تسجل على الجنود ، والساسة ولكنهم يسترجعون همتهم ونشاطهم من نور وطنهم ، وأما الروس فيقضون على الوطن الاصلى ، وهاهم الذين أطفئوا هذا النور المقدس فى القرم بنفى آخر مسلم فيها الى سيبريا وزجوه الى معتقلات السخرة . ولقد دافع هذا الشعب النبيل فى تاريخه الحديث القديم عن جناح الاسلام الايمن بكل فخر ، ولم يتوغل الروس فى الدول الاسلامية إلا بعد الاستيلاء على القرم . فالى دول الجامعة العربية والاسلامية التى عهدت للقرم من القديم الدفاع عن هذا الجناح باسم الاسلام ، وإلى الدولة التركية الشقيقة العظيمة التى وقف بجانب جيوشها فى كل معركة تقريباً مايزيد على خمسين ألف مقاتل فارس قرمى باسم الاخاء والدماء المراقة ، وإلى دول الغرب باسم الانسانية والمدنية يوجه اليوم الشعب القرمى الأسير والمسخر فى سيبريا نداءه الحزين على لسان لجنتها العليا طالباً فك أسره والعمل على إعادته إلى القرم .

أيها الشبان ، أيها المجاهدون الذين يتحملون آلام القرم فى سبيل

الحق ، وللحق نور في قلوب الذين آمنوا به ينير لهم أوعر المسالك ويدفعهم إلى بذل النفس رخيصة في سبيله ، وقد تزيد علينا الحياة مشقة ، وتضيق الأرض بما وسعت ، ولهذا قد نضطر طويلا إلى قرض الخبز الناشف ، ويتمثل فينا البؤس والشقاء في المهجر ولكن الله سينصرنا في النهاية وتذكروا دائماً أن التاريخ يكتبه المهاجرون بدمائهم الحمراء ، « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم » .

مطبعة الصاوي بعابدين بالقاهرة



يطلب من مكتبة الخانجى

بشارع عبد العزيز بالقاهرة

الثمن عشرون قرشاً

